

زواج النبي صلى الله عليه وسلم أم زوجته

المطهرات المطهرات

دار الشبهات

دراسة من إعداد الباحث

زهدي جمال الدين محمد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد: فإن الله تعالى بقدرته وسلطانه بعث نبينا محمد ﷺ وخصه وشرّفه بتبليغ الرسالة فكان رحمةً للعالمين وإماماً للمتقين وجعله هادياً للطريق القويم فلزم على العباد طاعته وتوقيره والقيام بحقوقه ومن حقوقه أن الله اختصه بالصلاة عليه وأمرنا بذلك في كتابه الحكيم وسنة نبيه الكريم حيث كتب مضاعفة الأجر لمن صلى عليه فما أسعد من وفق لذلك فالله صل وسلم على نبيك وخليفك محمد ما تعاقب الليل والنهار.

بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ألفين وواحد، شنت حملة على الإسلام وعلى نبي الإسلام في الولايات المتحدة التي سعت لإلصاق اللوم في تلك المأساة المروعة بالإسلام أكثر منه بسياساتها الخارجية. ويبدو أن هناك قطاعاً في المجتمع الأمريكي هم المسيحيون البروتستانت يسعون — نتيجة ما قيل إن تسعة عشر مسلماً فعلوه في هجمات واشنطن ونيويورك — لوصم الإسلام بأنه دين شرير، وبأن نبيه داعية عنف. ويشبه هذا المنهج إلقاء اللوم على المسيح عيسى بن مريم وعلى المسيحية فيما قيل إن هتلر إنما فعل فعلته باليهود في المحرقة النازية باسم المسيحية، أو ما فعلته الملكة إيزابيل بالمسلمين واليهود في محاكم التفتيش الإسبانية، أو ما فعله الأمريكيون للأمريكيين الأفارقة من عبودية وعنصرية.

فمنذ هجمات الحادي عشر من سبتمبر وقادة البروتستانت الأمريكيون ينعنون نبي الإسلام بالإرهابي (انظر ما كتبه جيرى فلوويل فاين)، وبأنه "شهواني مزواج مولع بالنساء تزوج اثني عشر زوجة".

في هذه الحملات يحاول البروتستانت الأمريكيون مواجهة التيار المتنامي لإقدام الأمريكيين على اعتناق الإسلام. وبوصمهم النبي بأنه شهواني ومزواج يحاولون تشويه صورة الإسلام ومن ثم تثبيط الأمريكيين العاديين الذين يتصفون بالانفتاح والتسامح عن القبول بالإسلام والتعايش مع المسلمين. ويأمل هؤلاء المسيحيون المتعصبون من وراء ذلك إلى الحد من تنامي أعداد المسلمين في الولايات المتحدة. فاستناداً إلى كثير من الباحثين، فإن الإسلام هو أسرع الأديان انتشاراً في أمريكا. إذ يُقبل على اعتناقه، وبشكل متزايد، أمريكيون من كافة قطاعات المجتمع الأمريكي ممن كانوا في معظمهم مسيحيين. وما يزيد من إحباط هؤلاء المسيحيين المتعصبين أنه في الوقت الذي يشهد الإسلام هذا الإقبال المتزايد من جانب المسيحيين على اعتناقه، فإن من يخرجون من الإسلام ويعتقدون المسيحية عدد هزيل للغاية ولا يكاد يُذكر.

إن موجة الكراهية من جانب المسيحيين البروتستانت هي مجرد حلقة في حملة مسيحية لتسفيه النبي ﷺ ورميه بأقذع النعوت. ودائماً أساء مفكرو المسيحية لنبي الإسلام.

ومن أشهر هؤلاء (دانتي) في (الجنة والجحيم) والتي يعتبرها الكثيرون ربما أبرز ما كُتب في الأدب الأوروبي في العصور الوسطى، وأحد أكثر الأعمال الأدبية تأثيراً في الحضارة الغربية. فقد جعل هذا المؤلف مرتبة النبي ﷺ في قاع الجحيم.

وكان أول مفكر مسيحي ينفث سمومه على النبي ﷺ (يولوجيوس قرطبة) وكان ذلك في القرن التاسع الميلادي حيث ألف كتاباً شن فيه حملة شعواء على النبي ﷺ.

ومن الكُتّاب المسيحيين الآخرين الذين أساءوا للمصطفى ﷺ (بطرس المبجل (أوف كلوني) و(ألكسندر ديو بونت).

ومن الملائم هنا أن نقارن ما كتبه هؤلاء مع ما كتبه بعض الكُتّاب المسيحيين في عصر النهضة، فقد أشاد أحدهم وهو (لايبنتز) في كتابه "تيودايز" عام ألف وسبعمائة وعشرة ميلادية بالنبي ﷺ بوصفه يدعو إلى دين ملائم لطبيعة الإنسان، وقال إن الإسلام يصف نفسه بأنه دين الفطرة.

أما فولتير فقد نشر في عام ألف وسبعمائة وستة وخمسين كتاباً اشتمل على فصل عن النبي ﷺ وصف فيه النبي ﷺ بأنه رجل حكيم، وفنان بارع، وقائد عسكري عبقرى وإنسان ذو نظرة ثاقبة، ومن هنا يتضح لنا بسهولة لماذا أطلق على فولتير وصحبه مفكرين مستنيرين.

وفي الوقت الذي اعترف فيه معظم المفكرين المسيحيين بعظمة النبي ﷺ، فإن كثيراً منهم نفثوا فيه سمومهم تماماً كما يفعل المتعصبون المسيحيون المعاصرون، وعادة ما يكون منطلقهم في ذلك تعدد زوجات النبي ﷺ ويقرنون ذلك بما يدّعون من تحقير الإسلام من شأن المرأة، وغني عن القول أن المسلمين يرفضون قطعياً هذه المزاعم ويختلفون معها كلياً.

ولما جرت الشبهات حول زواج النبي ﷺ وزوجاته الطاهرات رضي الله تعالى عنهن جميعاً وجدت أنه من المناسب أن ينقسم الحديث إلى مبحثين:

المبحث الأول: زواج النبي ﷺ وفيه فصلين، الفصل الأول يحتوي على مطلبين، المطلب الأول خاص بالمسلمين والمطلب الثاني خاص بغيرهم. أما الفصل الثاني فيختص بالحديث عن زواجه الشريف ﷺ ونعقد معه مقارنة بزواج أنبياء الله كما ورد ذكرهم في العهد القديم.

المبحث الثاني: زوجات النبي ﷺ .

هذا وبالله التوفيق وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم وعلى آله وأصحابه أجمعين....

صلالة – سلطنة عمان ١٠ / ١٠ / ٢٠٠٥ م الموافق ٦ رمضان ١٤٢٦ هـ.

زهدي جمال الدين محمد

المبحث الأول: زواج النبي صلى الله عليه وسلم.

الفصل الأول

المطلب الأول: الحديث عن النبي ﷺ والموجه للمسلمين :

بداية أنت قد آمنت بأن النبي محمد ﷺ رسول الله ﷻ بَشَرٌ وأُنْذِرُ، ووعد وأُوعِدُ، أنفذ الله به البشر من الضلالة، وهدى الناس إلى صراط مستقيم، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور. فإذا كان الأمر كذلك، عليك أن تؤمن بأن كل ما صدر عنه ﷺ هو الكمال كل الكمال، وأنه لا ينطق عن الهوى ، وأنه الصادق الوعد الأمين وأنه أُذُنُ الخير التي تلقت آخر إرسال السماء لهدى الأرض فأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الغمة وجاهد في الله حق جهاده حتى آتاه اليقين من رب العالمين، وأنه ﷺ الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراط الله المستقيم، ومن معاني محمد رسول الله ﷺ تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر والانتفاء عما نهى عنه .

وقد قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾
وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقالت السيدة عائشة — رضوان الله عليها — عندما سئلت عن خلق رسول الله ﷺ: (كان خلقه القرآن).

فلما أعطى الله سبحانه وتعالى لرسوله الشفاعة والدرجة الرفيعة، وهدى المسلمين إلى محبته، وجعل إتباعه من محبته تعالى فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، فكان هذا من الأسباب التي صيرت القلوب تهفو إلى محبته ﷺ، وتتلمس الأسباب التي توثق الصلة فيما بينها وبينه ﷺ.

فالحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، فجعله شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وجعل فيه أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً. اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وفجر لهم ينابيع الرحمة والرضوان تفجيراً.

قَدْرُ النَّبِيِّ ﷺ

١- إن المدقق في قوله تعالى [**مُحَمَّدٌ** رَّسُولُ اللَّهِ] (الفتح : ٢٩) يجد أن الله سبحانه وتعالى يريد أن يقول لقريش بكل بساطة: (**مُحَمَّدٌ**) - الذي تعرفونه - (رَّسُولُ اللَّهِ) ، فما معنى محمد إنها صيغة مبالغة من محمود والتي هي على وزن مفعول وهي صيغة مبالغة من الحمد فلو أننا قلنا فلان (**مُحَمَّدٌ**) كان معنى ذلك أن الحمد وقع عليه من غيره وهذا مصداقاً لقوله تعالى: **﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾** (الأحزاب : ٥٦). ﷺ

ولو تتبعنا اسمه الشريف أحمد **﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنَّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾** فإلما جاءهم بِالْيَقِينِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ **﴿ (الصف : ٦) لوجدناه مشتق من أفعل تفضيل ل- (حامد) ، فحامد على وزن فاعل أي أن الحمد وقع منه هو فلو قلنا أحمد (أفعل تفضيل) وهو أسلوب تفضيل بصيغة التعجب أي أن الحمد قد وقع منه هو فهو أكثرهم حمداً لله تعالى.**

﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الأنعام ١٩٧) ويقول سبحانه وتعالى **﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾** (الزخرف : ٨١) . وفي هذه الآية الكريمة تكريم للنبي ﷺ و نفي لإلوهية المسيح عليه السلام ، لأن الله سبحانه وتعالى قال:

﴿ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى مِمَّا خُلِقَ مَا يَشَاءُ سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ ﴾ **﴿ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾** (الزمر : ٤) ولأن النبي ﷺ أول العابدين لاصطفاه الله سبحانه وتعالى ولاتخذه ولداً ولأن النبي ﷺ عبداً لله تعالى

﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾ لَيْلًا مِنْ أَلْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى أَلْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ **﴿ (الإسراء: ١)**

وفي هذا نفي لإلوهية السيد المسيح ﷺ **وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا** ^ط **سُبْحَنَهُ** ^ط **بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَنِينٌ** ﴿٥٦﴾ (البقرة : ١١٦) ،

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٥٨﴾ **لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا** ﴿٥٩﴾ **تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا** ﴿٦٠﴾ **أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا** ﴿٦١﴾ **وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا** ﴿٦٢﴾ .

٢- القسم بحياة النبي ﷺ

يقول سبحانه وتعالى:

لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ (الحجر : ٧٢)

إعراب الآية: "لعمرك": اللام للابتداء، "عمرك" مبتدأ، خبره محذوف تقديره قَسَمِي. والجار متعلق بالخبر، وجملة "يعمهون" حال من الضمير المستتر في متعلق الجار.

تفسير الجلالين : (لَعَمْرُكَ) خطاب للنبي ﷺ أي وحياتك (إنهم لفي سكرتهم يعمهون) يترددون.

تفسير ابن كثير : قال الله تعالى: [لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ] يقول وحياتك وعمرك وبقائك في الدنيا [إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ] . رواه ابن جرير وقال قتادة في سكرتهم أي في ضلالتهم " يَعْمَهُونَ " أي يلعبون وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس " لَعَمْرُكَ " لعيشك [إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ] قال يترددون .

تفسير القرطبي : فيه ثلاث مسائل :

الأولى : قال القاضي أبو بكر بن العربي : قال المفسرون بأجمعهم أقسم الله تعالى هاهنا بحياة محمد صلى الله عليه وسلم تشريفا له ، أن قومه من قريش في سكرتهم يعمهون وفي حيرتهم يترددون . قلت : وهكذا قال القاضي عياض : أجمع أهل التفسير في هذا أنه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد صلى الله عليه وسلم . وأصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال . ومعناه وبقائك يا محمد. وقيل وحياتك. وهذا نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف .

والعمر (بضم العين وفتحها) لغتان ومعناها واحد ؛ إلا أنه لا يستعمل في القسم إلا بالفتح لكثرة الاستعمال. وتقول : عمرك الله ، أي أسأل الله تعميرك . و " لعمرك " رفع بالابتداء وخبره محذوف . المعنى لعمرك مما أقسم به .

الثانية: كره كثير من العلماء أن يقول الإنسان لعمرى ؛ لأن معناه وحياتي. قال إبراهيم النخعي : يكره للرجل أن يقول لعمرى ؛ لأنه حلف بحياة نفسه ، وذلك من كلام ضعفة الرجال . ونحو هذا قال مالك : إن المستضعفين من الرجال والمؤنثين يقسمون بحياتك وعيشك ، وليس من كلام أهل الذكران ، وإن كان الله سبحانه أقسم به في هذه القصة ، فذلك بيان لشرف المنزلة والرفعة لمكانه ، فلا يحمل عليه سواء ولا يستعمل في غيره . وقال ابن حبيب: ينبغي أن يصرف " لعمرك " في الكلام لهذه الآية.

الثالثة : قد مضى الكلام فيما يحلف به وما لا يجوز الحلف به في " المائدة " ، وذكرنا هناك قول أحمد بن حنبل فيمن أقسم بالنبي ﷺ لزمته الكفارة . قال ابن خويز مناد : من جوز الحلف بغير الله تعالى مما يجوز تعظيمه بحق من الحقوق فليس يقول إنها يمين تتعلق بها كفارة ؛ إلا أنه من قصد الكذب كان ملوما ؛ لأنه في الباطن مستخف بما وجب عليه تعظيمه . قالوا: وقوله تعالى " **لَعَمْرُكَ** " أي وحياتك. وإذا أقسم الله تعالى بحياة نبيه فإنما أراد بيان التصريح لنا أنه يجوز لنا أن نحلف بحياته . وعلى مذهب مالك معنى قوله: " **لَعَمْرُكَ** " و " التين والزيتون " [التين: ١]. " والطور . وكتاب مسطور " [الطور : ١ - ٢] " والنجم إذا هوى " [النجم : ١] " والشمس وضحاها " [الضحى . ١] " لا أقسم بهذا البلد . وأنت حل بهذا البلد . ووالد وما ولد " [البلد : ١ - ٢ - ٣] كل هذا معناه : وخالق التين والزيتون ، وبرب الكتاب المسطور ، وبرب البلد الذي حلت به ، وخالق عيشك وحياتك ، وحق محمد ؛ فاليمين والقسم حاصل به سبحانه لا بالمخلوق .

وجاء في كتاب [إمعان في أقسام القرآن العلامة عبد الحميد الفراهي رحمه الله] تحت

عنوان " القسم على وجه الإكرام: للمقسم به ، والمتكلم ، والمخاطب " ما نصه:
لما كان الصدق من أحب سجايا العرب - لا سيما إذا عاهدوا على أمر ، وأعطوا له أيمانهم ، وأشهدوا عليه - فإذا صاروا حلفاء ، أو عقدوا عقد الجوار ، أو نذروا بأمر ، أو فؤوا ذمتهم ، وعدوا الكذب فيها بعد القسم عاراً عظيماً وذلة كبيرة ، لأنفتهم وللحمية التي جبلوا عليها.
وكان في رهن أيديهم للعقود عندهم آية على أنهم يخاطرون لها أنفسهم، فتضمن القسم مخاطرة النفس.

ولذلك كثر قسمهم بقولهم: لعمرى، أي أنا أخطر على هذا القول حياتي. وربما بينوا هذا المراد كما قالت ريطة بنت العباس السلمي :

لعمرى وما عمرى عليّ بهين لنعم الفتى أرديتم آل خثعما

وقال النابغة الذبياني :

لعمري وما عمري عليّ بهين لقد نطقت بطلا عليّ الأقارع

وهذا كثير ، ومن هذه الجهة انضم مفهوم الإكرام بالمقسم به. فإن المتكلم لا يدل على تأكيد قوله بهذا الطريق إلا إذا أقسم بما يكرمه ويضن به. فهذا أصل هذا النوع من القسم، ثم تجاوزوه إلى قولهم (لعمرك) أو ما يشبهه لما فيه من إكرام المخاطب. كأن القائل أراد أني لا أقسم بعمري بل بعمرك الذي هو أعز وأكرم عليّ. وهذا هو الأصل، ثم ربما لا يراد به إلا تأكيد القول مع إكرام المخاطب، ولما كان هذا أحسن في التحاور كثر قولهم في القسم: لعمرك ولعمر أبيك، أو وَجَدَكَ وبِعِزَّتِكَ، وأمثالها.

وهذه الكلمات التي ذكرنا كثر استعمالها للقسم فلا حاجة إلى نقل السند لها. ولكن يهمننا في هذا القسم النظر إلى أمور:

الأول: أن المقسم به في هذه الأقسام ، وإن كان عند المتكلم كريماً ومضموناً به ، لكنه لا يكون مما يعبده ويقدسه.

الثاني: أنه إذا أضيف المقسم به إلى المخاطب دل على إكرامه ، كقوله تعالى: (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) (الحجر : ٧٢) فأكرم الله نبيه ﷺ بهذا الخطاب. ومنه قوله تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك).

وإذا أضيف إلى المتكلم دل على عزته ومنعته، كأنه قال: إن حياتي وعزي منيع لا يرام. ومن هذه الجهة لا ينبغي هذا القسم لعباد الله الخاشعين المتواضعين.

الثالث: أنه لما كان من بعض وجوه القسم الدعاء بالسوء على الحانث ، وربما انضم بهذا النوع ذلك المفهوم ، كأن الحالف قال: إن كنت كاذباً أبىد عمري ، وأهينت عزتي. ولا يخفى عليك مما ذكرنا أن هذا النوع من القسم لا يكون إلا بإضافة المقسم به، إما إلى المتكلم أو إلى المخاطب، ولا يكون إلا بألفاظه الخاصة التي ذكرناها. ولا يكون إلا بأمور عرف عزتها على المتكلم. فبين أن أقسام القرآن بالذاريات والعاديات والخنس الجوار الكنس وأمثالها لا يكون من هذا النوع.

واعلم أن هذه الأقسام ليست من جهد أيمانهم ، وعلى الأكثر تستعمل لمحض التأكيد بمعنى أقسمت ، ولذلك ربما قالوا: لعمر الله ، فلا يريدون بها تمام معناها الأصلي إلا إذا بينوه كما مر في قول ربيعة السلمية والنابعة.

٣- القسم بكلامه ﷺ

﴿وَقِيلَ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٨٨) فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ

يَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ (الزخرف : ٨٨)

إعراب الآية : الواو حرف قسم وجر ، و"قيله" اسم مجرور مقسم به متعلق بـ أقسم المقدر ، والقول والقيل والقال بمعنى واحد. وجملة "إن هؤلاء قوم" جواب النداء لا محل لها مستأنفة ، وجملة "يا رب إن هؤلاء قوم" مقول القول ، وجواب القسم محذوف أي : لأفعلن بهم ما أريد ، وجملة "لا يؤمنون" نعت لقوم.

تفسير الجلالين :

(وَقِيلَ) أي قول محمد النبي ونصبه بفعله المقدر أي وقال (إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ)

تفسير ابن كثير :

أي وقال محمد ﷺ قيله أي شكا إلى ربه شكواه من قومه الذين كذبوه فقال يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون كما أخبر تعالى في الآية الأخرى " وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا " وهذا الذي قلناه هو قول ابن مسعود رضي الله عنه ومجاهد وقتادة وعليه فسر ابن جرير قال البخاري وقرأ عبد الله يعني ابن مسعود رضي الله عنه " وقال الرسول يا رب " وقال مجاهد في قوله " وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون " قال يؤثر الله عز وجل قول محمد ﷺ وقال قتادة هو قول نبيكم ﷺ يشكو قومه إلى ربه عز وجل ثم حكى ابن جرير في قوله تعالى " وقيله يا رب " قراءتين إحداهما النصب ولها توجيهان أحدهما أنه معطوف على قوله تبارك وتعالى " نسمع سرهم ونجواهم " والثاني أن يقدر فعل وقال قيله والثانية الخفض وقيله عطفا على قوله " وعنده علم الساعة " وتقديره وعلم قيله .

تفسير القرطبي :

في **(وَقِيلَ)** ثلاث قراءات : النصب ، والجر ، والرفع . فأما الجر فهي قراءة عاصم وحزمة . وبقية السبعة بالنصب. وأما الرفع فهي قراءة الأعرج وقتادة وابن هرمرز ومسلم بن جندب . فمن جر حملة على معنى : وعنده علم الساعة وعلم قيله . ومن نصب فعلى معنى : وعنده علم الساعة ويعلم قيله ؛ وهذا اختيار الزجاج . وقال الفراء والأخفش : يجوز أن يكون " قيله " عطفا على قوله : " أنا لا نسمع سرهم ونجواهم " [الزخرف : ٨٠] . قال ابن الأنباري : سألت أبا العباس محمد بن يزيد المبرد بأي شيء تنصب القيل ؟ فقال : أنصبه على " وعنده علم الساعة ويعلم قيله " . فمن هذا الوجه لا يحسن الوقف على " ترجعون " ، ولا على " يعلمون " . ويحسن الوقف على " يكتبون " . وأجاز الفراء والأخفش أن ينصب القيل على معنى : لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله ؛ كما ذكرنا عنهما فمن هذا الوجه لا يحسن الوقف على " يكتبون " . وأجاز الفراء والأخفش أيضا : أن ينصب على المصدر ؛ كأنه قال : وقال قيله ، وشكا شكواه إلى الله عز وجل ، كما قال كعب بن زهير : تمشي الوشاة جنابيها وقيلهم إنك يا ابن أبي سلمى لمقتول أراد : ويقولون قيلهم . ومن رفع " قيله " فالتقدير : وعنده

قيله ، أو قيله مسموع ، أو قيله هذا القول . الزمخشري : والذي قالوه ليس بقوي في المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضاً ومع تنافر النظم . وأقوى من ذلك وأوجه أن يكون الجر والنصب على إضمار حرف القسم وحذفه . والرفع على قولهم : أيمن الله وأمانة الله ويمين الله ولعمرك ، ويكون قوله : " إن هؤلاء قوم لا يؤمنون " جواب القسم ؛ كأنه قال : وأقسم بقيله يا رب ، أو قيله يا رب قسمي ، إن هؤلاء قوم لا يؤمنون . وقال ابن الأنباري : ويجوز في العربية " وقيله " بالرفع ، على أن ترفعه بإن هؤلاء قوم لا يؤمنون . المهدوي : أو يكون على تقدير وقيله قيله يا رب ؛ فحذف قيله الثاني الذي هو خبر ، وموضع " يا رب " نصب بالخبر المضمر ، ولا يمتنع ذلك من حيث امتنع حذف بعض الموصول وبقي بعضه ؛ لأن حذف القول قد كثر حتى صار بمنزلة المذكور . والهاء في " قيله " لعيسى ، وقيل لمحمد ﷺ وقد جرى ذكره إذ قال : " قل إن كان للرحمن ولد " [الزخرف : ٨١] . وقرأ أبو قلابة " يا رب " بفتح الباء . والقليل مصدر كالقول ؛ ومنه الخبر [نهى عن قيل وقال] . ويقال : قلت قولاً وقيلاً وقالاً . وفي النساء

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

٤- مكانته ﷺ في الملأ الأعلى

﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [٢] إِنْ تَوْبًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلَحُ الْمُسْلِمِينَ وَالْمَلَكُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ [التحریم: ٤]

(وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ). وكان النبي ﷺ قد أسر لزوجته السيدة عائشة رضي

الله تعالى عنها بأن أباهما سوف يخلفه بعد مماته، ومن شدة فرحها أنبأت السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما بما أسر لها النبي ﷺ ، ومن النص نطلع على نموذج من تلك الفترة العجيبة في تاريخ البشرية. الفترة التي يعيش فيها الناس مع السماء والسماء تتدخل في أمرهم علانية وتفصيلاً. ونعلم أن الله قد أطلع نبيه على ما دار بين زوجيه بشأن ذلك الحديث الذي أسره إلى بعض أزواجه. وأنه ﷺ حين راجعها فيه اكتفى بالإشارة

إلى جانب منه. ترفعا عن السرد الطويل، وتجملا عن الإطالة في التفصيل ؛ وأنه أنبأها بمصدر علمه وهو المصدر الأصيل:

﴿ فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ ۖ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ ۖ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ ۖ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ۖ ۞ ﴾

والإشارة إلى العلم والخبرة هنا إشارة مؤثرة في حالة إفشاء الأسرار من وراء الأستار ! ترد السائلة إلى هذه الحقيقة التي ربما نسيها أو غفلت عنها (قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا) ، وترد القلوب بصفة عامة إلى هذه الحقيقة كلما قرأت هذا القرآن .

ويتغير السياق من الحكاية عن حادث وقع إلى مواجهة وخطاب للمرأتين كأن الأمر حاضر :

﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ۖ ۞ ﴾

وحين نتجاوز صدر الخطاب، ودعوتهما إلى التوبة لتعود قلوبهما فتميل إلى الله، فقد بعدت عنه بما كان منها. . حين نتجاوز هذه الدعوة إلى التوبة نجد حملة ضخمة هائلة وتهيدا رعييا مخيفا . .

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ۖ ۞ ﴾

ومن هذه الحملة الضخمة الهائلة ندرك عمق الحادث وأثره في قلب رسول الله ﷺ حتى احتاج الأمر إلى إعلان موالاته وجبريل وصالح المؤمنين. والملائكة بعد ذلك ظهير ! ليطيب خاطر الرسول ﷺ ويحس بالطمأنينة والراحة من ذلك الأمر الخطير ! ولا بد أن الموقف في حس رسول الله ﷺ وفي محيطه كان من الضخامة والعمق والتأثير إلى الحد الذي يتناسب مع هذه الحملة.

ولعلنا ندرك حقيقته من هذا النص ومما جاء في الرواية على لسان الأنصاري صاحب عمر - رضي الله عنهما - وهو يسأله بعد أن سمع عن هذه الحملة الربانية: أجاءت غسان؟ .

فيقول لا بل أعظم من ذلك وأطول. وغسان هي الدولة العربية الموالية للروم في الشام على حافة الجزيرة، وهجومها إذ ذاك أمر خطير. ولكن الأمر الآخر في نفوس المسلمين كان أعظم وأطول ! فقد كانوا يرون أن استقرار هذا القلب الكبير، وسلام هذا البيت الكريم أكبر من كل شأن. وأن اضطرابه وقلقه أخطر على الجماعة المسلمة من هجوم غسان عملاء الروم ! وهو

تقدير يوحى بشتى الدلالات على نظرة أولئك الناس للأمور . وهو تقدير يلتقي بتقدير السماء للأمر ، فهو إذن صحيح قويم عميق .

٥- فضل الصلاة على النبي ﷺ

معنى الصلاة والسلام على النبي ﷺ:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

قال ابن كثير رحمه الله: (المقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملائكة الأعلى بأنه تصلي عليه الملائكة ثم أمر الله تعالى العالم السفلي بالصلاة والسلام عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعاً) أ. هـ. قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - في جلاء الأفهام: (والمعنى أنه إذا كان الله وملائكته يصلون على رسوله فصلوا عليه أنتم أيضاً صلوا عليه وسلموا تسليماً لما نالكم ببركة رسالته ويمن سفارته، من خير شرف الدنيا والآخرة) أ. هـ.

وقد ذكر في معنى الصلاة على النبي ﷺ أقوال كثيرة، والصواب ما قاله أبو العالية: إن الصلاة من الله ثناؤه على المصلي عليه في الملائكة الأعلى أي عند الملائكة المقربين - أخرجه البخاري في صحيحه تعليقاً مجزوماً به - وهذا أخص منه في الرحمة المطلقة - .

والسلام: هو السلامة من النقائص والآفات فإن ضم السلام إلى الصلاة حصل به المطلوب وزال به المرهوب فبالسلام يزول المرهوب وتتفي النقائص وبالصلاة يحصل المطلوب وتثبت الكمالات.

حكم الصلاة على النبي ﷺ:

أما في التشهد الأخير فهو ركن من أركان الصلاة - عند الحنابلة. وقال القاضي أبو بكر بن بكير: (افترض الله على خلقه أن يصلوا على نبيه ويسلموا تسليماً، ولم يجعل ذلك لوقت معلوم. فالواجب أن يكثر المرء منها ولا يغفل عنها). المواطن التي يستحب فيها الصلاة والسلام على النبي ويرغب فيها:

١- قبل الدعاء:

قال فضالة بن عبيد: سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو في صلاته فلم يصل على النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: [عجل هذا!] ثم دعاه فقال له ولغيره: [إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه، ثم يصلي على النبي، ثم ليدع بعد بما يشاء] [رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وأخرجه أحمد بإسناد صحيح وصححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي].

وقد ورد في الحديث: [الدعاء محبوب حتى يصلي الداعي على النبي ﷺ] [رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات].

وقال ابن عطاء: (للدعاء أركان وأجنحة وأسباب وأوقات. فإن وافق أركانه قوي، وإن وافق أجنحته طار في السماء، وإن وافق مواقيته فاز، وإن وافق أسبابه نجح. فأركانه: حضور القلب والرقّة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه الأسباب، وأجنحته الصدق، ومواقيته الأسرار، وأسبابه الصلاة على النبي ﷺ).

٢- عند ذكره وسماع اسمه أو كتابته:

قال ﷺ: [رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليّ] [رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب من هذا الوجه والحاكم وقال الألباني إسناده صحيح ورجاله رجال الصحيح].

٣- الإكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة:

عن أوس بن أوس قال، قال رسول الله ﷺ: [إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا عليّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليّ..] الحديث [رواه أبو داود بإسناد صحيح وأخرجه أحمد وصححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي].

٤- الصلاة على النبي ﷺ في الرسائل وما يكتب بعد البسملة:

قال القاضي عياض: (ومن مواطن الصلاة التي مضى عليها عمل الأمة ولم تنكرها: ولم يكن في الصدر الأول، وأحدث عند ولاية بني هاشم - الدولة العباسية - فمضى عمل الناس في أقطار الأرض. ومنهم من يختم به أيضاً الكتب).

٥- عند دخول المسجد وعند الخروج منه:

عن فاطمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: [إذا دخلت المسجد فقول بسم الله الرحمن الرحيم والسلام على رسول الله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واغفر لنا وسهل لنا أبواب رحمتك فإذا فرغت فقول ذلك غير أن قل: وسهل لنا أبواب فضلك] [رواه ابن ماجه والترمذي وصححه الألباني بشواهد].

كيفية الصلاة والتسليم على النبي ﷺ:

قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [الأحزاب: ٥٦] فالأفضل أن تقرن الصلاة والسلام سوياً استجابةً لله عز وجل فهذا هو المجزئ في صفة الصلاة عليه الصلاة والسلام.

وعن أبي محمد بن عجرة قال: خرج علينا النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك؟ فقال: { قولوا اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد } [متفق عليه].

وعن أبي حميد الساعد قال: قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ قال: [قولوا اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى أزواجه كما باركت على إبراهيم، إنك حميد مجيد] {متفق عليه}.

وفي هذين الحديثين دلالة على الصفة الكاملة للصلاة على النبي ﷺ.

فضيلة الصلاة على النبي ﷺ والسلام عليه:

عن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: [إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول وصلوا علي فإنه من صلي علي مرة واحدة صلى الله عليه عشراً ثم سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة] [رواه مسلم].

قال ﷺ: [من صلي علي حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتي] [أخرجه الطبراني في الكبير وحسنه الألباني].

وقال ﷺ: [من صلي علي واحدة صلى الله عليه بها عشراً] [رواه مسلم وأحمد والثلاثة]. وعن عبد الرحمن بن عوف قال: أتيت النبي ﷺ وهو ساجد فأطال السجود قال: [أتاني جبريل وقال: من صلي عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه فسجدت شكراً لله] [رواه الحاكم وأحمد والجهضمي وقال الحاكم: صحيح ولم يخرجاه وقال الألباني: صحيح لطرقه وشواهده].

وعن يعقوب بن زيد بن طلحة التيمي قال: قال رسول الله ﷺ: [أتاني آت من ربي فقال: ما من عبد يصلي عليك صلاة إلا صلى الله عليه بها عشراً] فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله أجعل نصف دعائي لك! قال: [إن شئت]. قال: ألا أجعل ثلث دعائي! قال: [إن شئت]. قال: ألا أجعل دعائي كله قال: [إن يكفيك الله هم الدنيا والآخرة] [رواه الجهضمي وقال الألباني هذا مرسل صحيح الإسناد].

وعن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: [إن لله ملائكة سياحين يبلغونني من أمتي السلام] [رواه النسائي والحاكم وصححه ووافقه الذهبي وقال الألباني إسناده صحيح ورجاله رجال الصحيح].

وقال ﷺ: [من صلي علي واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات] [رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد والنسائي والحاكم وصححه الألباني].

وعن ابن مسعود مرفوعاً: [أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة] [رواه الترمذي وقال حسن غريب رواه ابن حبان].

وعن جابر بن عبد الله، قال: قال النبي : [من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له الشفاعة يوم القيامة] [رواه البخاري في صحيحه].

نم من لم يصل على النبي ﷺ :

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : [رغم أنف رجل ذُكرت عنده فلم يصلّ عليّ، رغم أنف رجل دخل رمضان ثم انسلخ قبل أن يُغفر له، ورغم أنف رجل أدرك أبواه عند الكبر فلم يُدخله الجنة] قال عبد الرحمن وهو أحد رواة الحديث وعبد الرحمن بن إسحاق وأظنه قال: [أو أحدهما] [رواه الترمذي والبخاري في صحيح الترمذي حسن صحيح].
وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: [البخيل كل البخل الذي ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ] [أخرجه النسائي والترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع].
عن ابن عباس عن النبي ﷺ : [من نسي الصلاة عليّ خطئ طريق الجنة] [صححه الألباني في صحيح الجامع].

وعن أبي هريرة قال أبو القاسم ﷺ : [أيما قوم جلسوا مجلساً ثم تفرقوا قبل أن يذكروا الله ويصلوا على النبي كانت عليهم من الله ترة إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم] [أخرجه الترمذي وحسنه أبو داود].

وحكى أبو عيسى الترمذي عن بعض أهل العلم قال: (إذا صلى الرجل على النبي ﷺ مرة في مجلس أجزأ عنه ما كان في ذلك المجلس).

الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة عليه ﷺ :

ذكر ابن القيم ١٩ فائدة للصلاة على النبي ﷺ امتثال أمر الله سبحانه وتعالى منها:

- ١- حصول عشر صلوات من الله على المصلي مرة.
- ٢- يكتب له عشر حسنات ويمحو عنه عشر سيئات.
- ٣- أن يرفع له عشر درجات.
- ٤- أنه يرجى إجابة دعائه إذا قدمها أمامه فهي تصاعد الدعاء إلى عند رب العالمين.
- ٥- أنها سبب لشفاعته ﷺ إذا قرنها بسؤال الوسيلة له، أو إفرادها.
- ٦- أنها سبب لغفران الذنوب.
- ٧- أنها سبب لكفاية الله ما أهمه.
- ٨ - أنها سبب لقرب العبد منه ﷺ يوم القيامة.
- ٩- أنها سبب لصلاة الله على المصلي وصلاة الملائكة عليه.
- ١٠- أنها سبب لرد النبي ﷺ الصلاة والسلام على المصلي.
- ١١- أنها سبب لطيب المجلس، وأن لا يعود حسرة على أهله يوم القيامة.

١٢- أنها سبب لنفي الفقر .

١٣- أنها تنفي عن العبد اسم (البخيل) إذا صلى عليه عند ذكره ﷺ .

١٤- أنها سبب لإلقاء الله سبحانه وتعالى الثناء الحسن للمصلي عليه بين أهل السماء والأرض، لأن المصلي طالب من الله أن يثني على رسوله ويكرمه ويشرفه، والجزاء من جنس العمل فلا بد أن يحصل للمصلي نوع من ذلك .

١٥- أنها سبب للبركة في ذات المصلي وعمله وعمره وأسباب مصالحه لأن المصلي داع ربه أن يبارك عليه وعلى آله وهذا الدعاء مستجاب والجزاء من جنسه .

١٦- أنها سبب لعرض اسم المصلي عليه ﷺ وذكره عنده كما تقدم قوله ﷺ : [إن صلاتكم معروضة عليّ] وقوله ﷺ : [إن الله وكلّ بقبري ملائكة يبلغونني عن أمتي السلام] وكفى بالعبد نبلاً أن يذكر اسمه بالخير بين يدي رسول الله .

١٧- أنها سبب لتثبيت القدم على الصراط والجواز عليه لحديث عبد الرحمن بن سمرة الذي رواه عنه سعيد بن المسيب في رؤيا النبي ﷺ وفيه : [ورأيت رجلاً من أمتي يزحف على الصراط ويحبو أحياناً ويتعلق أحياناً، فجاءته صلاته عليّ فأقامته على قدميه وأنقذته] [رواه أبو موسى ألمديني وبنى عليه كتابه في "الترغيب والترهيب" وقال: هذا حديث حسن جداً] .

١٨- أنها سبب لدوام محبة الرسول ﷺ وزيادتها وتضاعفها، وذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يتم إلا به لأن العبد كلما أكثر من ذكر المحبوب واستحضاره في قلبه واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه فسيتضاعف حبه له وتزايد شوقه إليه، واستولى على جميع قلبه، وإذا أعرض عن ذكره وإحضار محاسنه يغلبه، نقص حبه من قلبه، ولا شيء أقر لعين المحب من رؤية محبوبه ولا أقر لقلبه من ذكر محاسنه، وتكون زيادة ذلك ونقصانه بحسب زيادة الحب ونقصانه في قلبه والحس شاهد بذلك .

١٩- أنها سبب لهداية العبد وحياة قلبه، فإنه كلما أكثر الصلاة عليه ﷺ وذكره، استولت محبته على قلبه، حتى لا يبقى في قلبه معارضة لشيء من أوامره، ولا شك في شيء مما جاء به، بل يصير ما جاء به مكتوباً مسطوراً في قلبه ويقتبس الهدى والفلاح وأنواع العلوم منه، فأهل العلم العارفين بسنته وهديه المتبعين له كلما ازدادوا فيما جاء به من معرفة، ازدادوا له محبة ومعرفة بحقيقة الصلاة المطلوبة له من الله .

محبة النبي ﷺ

محبة الرسول ﷺ أصل عظيم من أصول الدين ، بل إن إيمان العبد متوقف على وجود هذه المحبة ، فلا يدخل المسلم في عداد المؤمنين الناجين حتى يكون الرسول ﷺ أحبَّ إليه من نفسه التي بين جنبيه ومن ولده ووالده والناس أجمعين ، قال عز وجل :

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ
 اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنْ آلِهِ
 وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
 الْفَاسِقِينَ ﴾ (التوبة ٢٤).

وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (لا يؤمن أحدكم حتى
 أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين) .
 وهذه المحبة وإن كانت عملا قلبيا ، إلا أن آثارها ودلائلها لا بد وأن تظهر على جوارح الإنسان
 ، وفي سلوكه وأفعاله ، فالمحبة لها مظاهر وشواهد تميز المحب الصادق من المدعي الكاذب
 ، وتميز من سلك مسلكا صحيحا ممن سلك مسالك منحرفة في التعبير عن هذه المحبة .
 وأول هذه الشواهد والدلائل طاعة الرسول ﷺ وإتباعه ، فإن أقوى شاهد على صدق الحب -
 أيا كان نوعه - هو موافقة المحب لمحبيه ، وبدون هذه الموافقة يصير الحب دعوى كاذبة ،
 ولذلك كان أكبر دليل على صدق الحب لرسول الله ﷺ هو طاعته وإتباعه ، فالإتباع هو دليل
 المحبة الأول ، وشاهدها الأمتل ، بل كلما عظم الحب زادت الطاعة له ﷺ ، فالطاعة إذا هي
 ثمرة المحبة ، ولذلك حسم القرآن دلائل المحبة لله ولرسوله ﷺ في آية المحبة وهي قوله جل
 وعلا :

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ
 رَّحِيمٌ ﴾ (آل عمران: ٣١)، فإذا كان الله ﷻ قد جعل إتباع نبيه دليلا على حبه
 سبحانه ، فهو من باب أولى دليل على حب النبي ﷺ ، قال الحسن البصري رحمه الله " زعم
 قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية .
 وصدق القائل :

تعصي الإله وأنت تزعم حبه هذا لعمرى في القياس بديع
 لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

فالصادق في حب النبي ﷺ ، هو من أطاعه واقتدى به ، وأثر ما يحبه الله ورسوله على هوى
 نفسه . ومن دلائل محبته ﷺ تعظيمه وتوقيره والأدب معه ، بما يقتضيه مقام النبوة والرسالة
 من كمال الأدب وتمام التوقير ، وهو من أعظم مظاهر حبه ، ومن أكد حقوقه ﷺ على أمته ،
 كما أنه من أهم واجبات الدين ، قال تعالى :

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ **وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ**

وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ (الفتح: ٩). فالتسبيح لله ﷻ ، والتعزير والتوقير للنبي ﷺ ، وهو بمعنى التعظيم .

ومن الأدب معه ﷺ تقديمه على كل أحد ، والثناء عليه بما هو أهله ، وتوقير حديثه ، وعدم رفع الصوت عليه أو التقديم بين يديه ، وكثرة الصلاة والسلام عليه .
ومن دلائل هذه المحبة أيضا الاحتكام إلى سنته وشريعته ، فقد أقسم الله عز وجل بنفسه أن إيمان العبد لا يتحقق حتى يرضى بحكم رسول الله ﷺ في جميع شؤونه وأحواله ، وحتى لا يبقى في صدره أي حرج أو اعتراض على هذا الحكم ، فقال ﷻ :

﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي**

أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (النساء: ٦٥) ، وجعل الإعراض عن سنته وترك التحاكم إليها من علامات النفاق والعياذ بالله ، فقال تعالى :

﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ**

يُرِيدُونَ أَن يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ

يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (٦٠-٦١) **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ**

الْمُنْفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴾ (النساء: ٦٠-٦١) .

ومن الدلائل أيضا على محبته ﷺ الذبُّ عنه ، والدفاع عن سنته ، ضد كل مبطل ومشكك ، والحرص على نشرها بين الناس صافية نقية من كل ما علق بها من شوائب البدع .
وإن مما يؤسف له أن مفهوم محبة الرسول ﷺ قد فسد وانحرف عند كثير من المسلمين ، وخصوصاً في هذه العصور المتأخرة ، فبعد أن كانت هذه المحبة تعني إثارة الرسول ﷺ على كل مخلوق ، وطاعته واتباعه ، صار مفهومها عند البعض عبادته ودعاؤه ، وتأليف الصلوات المبتدعة ، وعمل الموالد ، وإنشاد القصائد والمدائح في الاستغاثة به ، وصرف وجوه العبادة إليه من دون الله ﷻ ، وبعد أن كان تعظيم الرسول الله ﷺ بتوقيره والأدب معه ، صار التعظيم عندهم هو الغلو فيه بإخراجه عن حد البشرية ، ورفعته إلى مرتبة الإلهوية ، وكل ذلك من الفساد والانحراف الذي طرأ على معنى المحبة ومفهومها .
قال الله ﷻ :

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ
اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ (الأحزاب: ٢١).

اللهم أكسبنا حبك وحب نبيك محمد ﷺ وارزقنا مرافقته في الجنة . اللهم وابعثه المقام المحمود
الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد .

ثانيا:المطلب الثاني

محمد ﷺ في الكتاب المقدس

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ (الرعد: ٤٣).

و يقول في سورة الشعراء ١٩٧ — ١٩٩ :

﴿ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُرُ عُلَمَتُؤَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾ ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْمَىٰ ۖ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

أولاً: المولد والنشأة

وُلِدَ النبي صلى الله عليه وسلم بوادي بكة، فهل في الكتاب المقدس ما يشير إلى ذلك؟
كما تحدثت المزامير عن مدينة المسيح المخلص، المدينة المباركة التي فيها بيت الله، والتي تتضاعف فيها الحسنات، فالعمل فيها يعدل الألف في سواها، وقد سماها باسمها (بكة)، فجاء فيها: [٤ طُوبَى لِلسَّكِينِينَ فِي بَيْتِكَ أَبَدًا يُسَبِّحُونَكَ. سِلَاة. ٧ طُوبَى لِلنَّاسِ عِزُّهُمْ بِكَ. طُرُقُ بَيْتِكَ فِي قُلُوبِهِمْ. ٦ عَابِرِينَ فِي وَادِي الْبُكَاءِ — في الترجمة الإنجيلية: " through the valley of Ba'ca make it a well" فذكر أن اسمها بكة، وترجمته إلى وادي البكاء صورة من التحريف — يُصَيِّرُونَهُ يَنْبُوعًا. أَيْضًا بِبَرَكَاتٍ يُغْطُونَ مَوْرَةً. ٧ يَذْهَبُونَ مِنْ قُوَّةٍ إِلَى قُوَّةٍ. يُرَوْنَ قُدَّامَ اللَّهِ فِي صِهْيُون. ٨ يَا رَبُّ إِلَهَ الْجُنُودِ اسْمَعْ صَلَاتِي وَاصْنَعْ يَا إِلَهَ يَعْقُوبَ. سِلَاة. ٩ يَا مَجَنَّنَا انْظُرْ يَا اللَّهُ وَانْتَفِتْ إِلَى وَجْهِ مَسِيحِكَ. ١٠ الْأَنَّ يَوْمًا وَاحِدًا فِي دِيَارِكَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ. اخْتَرْتُ الْوُقُوفَ عَلَى الْعُتْبَةِ فِي بَيْتِ إِلَهِي عَلَى السَّكَنِ فِي خِيَامِ الْأَشْرَارِ. ١١ الْأَنَّ الرَّبَّ اللَّهُ شَمْسٌ وَمَجَنٌّ. الرَّبُّ يُعْطِي رَحْمَةً وَمَجْدًا. لَا يَمْنَعُ خَيْرًا عَنِ السَّالِكِينَ بِالْكَمَالِ. ١٢ يَا رَبُّ الْجُنُودِ طُوبَى لِلْإِنْسَانِ الْمُتَّكِلِ عَلَيْكَ!] (المزمور ٨٤/٤-١٠).

وقد سماها النص العبري بكة، فقال: [בֵּיתֵנוּקָה]، وتقرأ : (بعيمق هبكا)، أي وادي بكة، وهذا النص بالذات أخرج الكنيسة فغيرته وبذلت كلمة وَادِي الْبُكَاءِ وَالتّي هي محرفة أصلاً إلى كلمة (7يعبرون في وادي الجفاف،)وهذا الاسم العظيم (بكة) هو اسم بلد محمد ﷺ الاسم الذي استخدمه القرآن للبلد الحرام ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ (آل عمران: ٩٦).

ورد في سفر تثنية الآيات ١-٣ من الإصحاح ٣٣ والتي تشكل المقدمة، والتي تقرأ كما يلي: [وَهَذِهِ هِيَ الْبَرَكَةُ الَّتِي بَارَكَ بِهَا مُوسَى رَجُلُ اللَّهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَبْلَ مَوْتِهِ ٢ فَقَالَ: جَاءَ الرَّبُّ مِنْ سِينَاءَ وَأَشْرَقَ لَهُمْ مِنْ سَعِيرَ وَتَلَّالًا مِنْ جَبَلِ **فَارَانَ** وَأَتَى مِنْ رِبَوَاتِ الْقُدْسِ وَعَنْ يَمِينِهِ نَارُ شَرِيعَةٍ لَهُمْ. ٣ فَأَحَبَّ الشَّعْبَ. جَمِيعُ قَدِيسِيهِ فِي يَدِكَ وَهُمْ جَالِسُونَ عِنْدَ قَدَمِكَ يَتَقَبَّلُونَ مِنْ أَقْوَالِكَ].

والنص العبري كالتالي (أ וְזאת הברכה, אשר ברכך משה איש האלהים--את בני ישראל: לפני, מותו. ב ויאמר, יהוה מסיני בא וזרח משעיר למו--הופיע מהר פארן, ואתה מרכבת קדש; מימינו, אשדת אש דת למו. ג אף ח'בב עמים, כל-קד'שיו בידך; והם חכו לרגלך, ישא מדבר'תך.)

و من المعروف تاريخيا أن **فَارَانَ** هي مكة فالله ظهر في سيناء وهي رسالة موسى لليهود، وظهر في سعير، وسعير في فلسطين، فهي إذن رسالة يسوع إلى المسيحيين، وظهر في فاران وفاران هي مكة، أي نبوءة محمد إلى العرب.

وفي سفر حبقوق النبي ٣، ٣: "الله جاء من تيمان والقُدوس من جبل فاران. سلامه. جلاله غطى السموات والارض امتلأت من تسبيحه".

وفي هذا يقول سبحانه وتعالى:

وَالَّذِينَ وَالزَّيْتُونَ ۖ وَطُورِ سِينِينَ ۖ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٢٠﴾

في الغار

ويتوعد النبي إشعيا بني إسرائيل الذين يحرفون كتاب الله ولا يلتزمون شريعته، إن اعتكاف الرسول في الغار والطريقة التي أنزل إليه بها القرآن، وكون الرسول أميا لا يعرف الكتابة ولا القراءة، إنما هي انجاز في سفر إشعيا (٢٩ : ١٢) هذا نصها:

[١٢] أَوْ يُدْفَعُ الْكِتَابُ لِمَنْ لَا يَعْرِفُ الْكِتَابَةَ وَيُقَالُ لَهُ: «**اقْرَأْ هَذَا**» فَيَقُولُ: «**لَا أَعْرِفُ الْكِتَابَةَ**» أي "مَا أَنَا بِقَارِئٍ". [ومن لا يعرف الكتابة فهو لا يعرف القراءة، وأليس هذا هو عين ما نزل على النبي ﷺ في البدايات الأولى للوحي حينما نزل عليه جبريل عليه السلام وهو يتحنث في غار حراء فقال له: «**اقْرَأْ هَذَا**»].

ومن ألزم ما يجب أن تعرفه هو انه لم يكن هنالك نسخة عربية من الكتاب المقدس في القرن السادس الميلادي، أي حينما كان محمد ﷺ حيا، فضلا على ذلك فانه أمي . يقول القرآن الكريم عنه:

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي

سورة الأعراف: ١٥٧ - ١٥٨

﴿ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾

النص في جميع الترجمات العالمية: بمعنى : "لا أعرف القراءة" فيما سوى الترجمة العربية، ولا يخفى أنه أريد من تحريف الترجمة العربية، وتحويل العبارة من (لا أعرف القراءة) إلى (لا أعرف الكتابة) نوع من التحريف أريد منه صرف القارئ العربي عن تحقق القصة بألفاظها في غار حراء .

وفي النص العبراني: (**וְנָתַן הַסֵּפֶר، עַל אִשָּׁר לֹא-יָדַע סֵפֶר לְאִמֶּר--קָרָא נָא-יְהִי וְאִמֶּר، לֹא יָדַעְתִּי סֵפֶר**) ، ولفظة : (**קָרָא**) العبرانية والتي تلفظ (كرا) تعني القراءة، لا الكتابة.

وقوله: (١٢) **أَوْ يُدْفَعُ الْكِتَابُ لِمَنْ لَا يَعْرِفُ الْكِتَابَةَ وَيَقَالُ لَهُ: «اقْرَأْ هَذَا» فَيَقُولُ: « لَا أَعْرِفُ الْكِتَابَةَ»**، يسجل اللحظة العظيمة التي يبدأ نزول الوحي فيها على النبي ﷺ .

ففي صحيح البخاري (٤) عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت:

(حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ قَالَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْهُ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ وَكَانَ يَخْلُو بَغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَرَوَّدَ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَرَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي **غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ اقْرَأْ قَالَ مَا أَنَا بِقَارِئٍ (كَرَأ)** قَالَ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ قُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّلَاثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ :

﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** ﴿١﴾ **خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ** ﴿٢﴾ **اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ** ﴿٣﴾

الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ **عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴿٥﴾ ﴿العلق: ١-٣﴾.

خاتم النبيين ﷺ

مزامير داود عن الآتي باسم الرب: [٢٠ هذا الباب للرب. الصديقون يدخلون فيه. ٢١ أحمذك لأنك استجبت لي وصرت لي خلاصاً. ٢٢ الحجر الذي رفضه البنائون قد صار رأس الزاوية. ٢٣ من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا. 24 هذا هو اليوم الذي صنعته

الرَّبُّ. نَبَّهَجُ وَنَفَرَحُ فِيهِ. ٢٥ آه يَا رَبُّ خَلَصْ! آه يَا رَبُّ أَنْقِذْ! ٢٦ مُبَارَكُ الْآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ. بَارَكْنَاكَ مِنْ بَيْتِ الرَّبِّ. ٢٧ الرَّبُّ هُوَ اللَّهُ وَقَدْ أَنْارَ لَنَا. أَوْثَقُوا الذَّبِيحَةَ بِرَبْطٍ إِلَى قُرُونِ الْمَذْبَحِ. ٢٨ إِلَهِي أَنْتَ فَأَحْمَدُكَ. إِلَهِي فَأَرْفَعُكَ. ٢٩ أَحْمَدُوا الرَّبَّ لِأَنَّهُ صَالِحٌ لِأَنَّ إِلَى الْأَبَدِ رَحْمَتُهُ. [المزمور ١١٨/٢١-٢٥].

وقد قال ﷺ: [حَدَّثَنَا يَزِيدُ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ مُوسَى بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ ابْتَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَكْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ فَجَعَلَ النَّاسُ يُطِيفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَقُولُونَ مَا رَأَيْنَا بُنْيَانًا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا إِلَّا مَوْضِعَ هَذِهِ اللَّبَنَةِ فَكُنْتُ أَنَا هَذِهِ اللَّبَنَةُ] (رواه البخاري ح ٣٥٣٥، ومسلم ح ٢٢٨٦ ومسند أحمد ٧١٧٣)، إنه الحجر الذي تمت به النبوات.**

اسم النبي ﷺ

جاء اسمه صريحاً في نشيد الإنشاد الإصحاح ٥ "١٦ حلقه حلوة وكله **مشتهيات**. هذا حبيبي وهذا خليلي يا بنات أورشليم"، المعنى العبري الأصلي لكلمة مشهيات هو "محمد" وهذا نص الجملة بالعبرية :-

mahamadiym zeh dowdiy wzeh ree'iy bnawt Hikow mamtaqiyw wkulow"
".yruushaalaaim

لاحظوا " mahamadiym محمد " ؟؟؟

يقول العلامة شموئيل بن يهوذا بن أيوب، الذي سمي نفسه بعد إسلامه [السموعل بن يحيي] في كتابه (بذل المجهود في إفحام اليهود) تحت عنوان الإشارة إلى اسمه ﷺ ما نصه : قال الله تعالى في سفر التكوين ١٧ : ٢٠ مخاطباً إبراهيم ﷺ : [٢٠ وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأَكْثَرُهُ **كَثِيرًا جِدًّا**. اِثْنِي عَشَرَ رَئِيسًا يَلِدُ وَأَجْعَلُهُ **أُمَّةً كَبِيرَةً**.] ذلك قوله : [ولشيماعيل شمعتيخا هني بيراختي أوتو وهفريتي أوتو وهرييتي أوتو **بماد ماد**] فهذه الكلمة [بماد ماد] إذا عددنا حساب حروفها بالجمال فانه وجدناه اثنين وتسعين وذلك عدد حساب حروف [محمد] ﷺ فانه أيضا اثنان وتسعون، وإنما جعل ذلك في هذا الموضوع ملغزا، لأنه لو صرح به لبدلته اليهود وأسقطته من التوراة كما عملوا في غير ذلك، وهذا ينطبق على (**أُمَّةً كَبِيرَةً**) والتي تعني في اللغة العبرانية (لجوى جدول) والتي حروفها بالجمال اثنين وتسعين وذلك عدد حساب حروف [محمد] ﷺ تكوين ١٧ : [٢٠ وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأَكْثَرُهُ **كَثِيرًا جِدًّا**. اِثْنِي عَشَرَ رَئِيسًا يَلِدُ وَأَجْعَلُهُ **أُمَّةً كَبِيرَةً**.] وهذا يعني أن الله سبحانه وتعالى وعد إبراهيم بنينا محمد ﷺ . فما رأي النصارى الآن ؟

وإليك هذه الدراسة حول اسم الفرقليط كما هو بكتاب النصارى (المقدس) والذي هو أحمد.
إن اسم النبي محمداً والذي هو أحمد ﷺ قد ورد في الإنجيل استناداً إلى ما ورد في القرآن
الكريم بسورة الصف آية رقم ٦:

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ
يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ
قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٦﴾

والبشارة في الإنجيل كما هي في إنجيل يوحنا كالآتي:

يوحنا ١٦ : ٧- ١٦

٧صَدَّقُونِي، مِنْ الْخَيْرِ لَكُمْ أَنْ أَذْهَبَ، فَإِنْ كُنْتُ لَا أَذْهَبُ لَا يَجِيئُكُمْ الْمُعْزِي. أَمَّا إِذَا ذَهَبْتُ
فَأَرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ. ٨ومَتِي جَاءَ وَبَحَّ الْعَالَمَ عَلَى الْخَطِيئَةِ وَالْبِرِّ وَالذِّينُونَةِ: ٩أَمَّا عَلَى الْخَطِيئَةِ فَلَأَنْهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ بِي، ١٠أَمَّا عَلَى الْبِرِّ فَلَأَنِّي ذَاهِبٌ إِلَى الْآبِ وَلَنْ تَرَوْنِي، ١١أَمَّا عَلَى الذِّينُونَةِ
فَلَأَنْ سَيِّدَ هَذَا الْعَالَمِ أُدِينُ وَحُكْمٌ عَلَيْهِ. ١٢عِنْدِي كَلَامٌ كَثِيرٌ أَقُولُهُ لَكُمْ بَعْدُ، وَلَكِنْكُمْ لَا تَقْدِرُونَ
الآن أَنْ تَحْتَمِلُوهُ. ١٣افْتَمَتِي جَاءَ رُوحُ الْحَقِّ أَرْشِدُكُمْ إِلَى الْحَقِّ كُلِّهِ، لِأَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ مِنْ
عِنْدِهِ، بَلْ يَتَكَلَّمُ بِمَا يَسْمَعُ وَيُخْبِرُكُمْ بِمَا سَيَحْدُثُ. ١٤اسْمِجِدْنِي لِأَنَّهُ يَأْخُذُ كَلَامِي وَيَقُولُهُ لَكُمْ.
١٥وَكُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي، لِذَلِكَ قُلْتُ لَكُمْ: يَأْخُذُ كَلَامِي وَيَقُولُهُ لَكُمْ. ١٦بَعْدَ قَلِيلٍ لَا تَرَوْنِي، ثُمَّ
بَعْدَ قَلِيلٍ تَرَوْنِي.»

يوحنا ١٤ : ١٥- ١٧

١٥«إِذَا كُنْتُمْ تُحِبُّونِي عَمِلْتُمْ بِوَصَايَايَ. ١٦واسْأَلْتُ مِنَ الْآبِ أَنْ يُعْطِيَكُمْ مُعْزِيًا آخَرَ يَبْقَى
مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ. ١٧هو رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَقْدِرُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لِأَنَّهُ لَا يَرَاهُ وَلَا يَعْرِفُهُ. أَمَّا أَنْتُمْ
فَتَعْرِفُونَهُ، لِأَنَّهُ يُقِيمُ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ.»

والنص القديم المدون يستخدم **برقليط** بدلاً من **المُعزّي**، إلا أن الإنجيل الموجود بين أيدينا الآن
مبدل لأن هذه البشارة ليست فيه الآن، مع أنها لا تزال مدونة كما كانت في أيام محمد صلى
الله عليه وسلم في اللغة اليونانية.

حيث أن الكلمة في اليونانية هكذا ΠΕΡΙΚΛΗΤΟΣ وبالحروف الأفرنجية PERICLETOS
وتعريبها بركليطوس أي الأكثر حمداً وتم تعديل الكلمة في اليونانية هكذا ΠΑΡΑΚΛΗΤΟΣ
وبالحروف الإفرنجية PARACLETOS تعريبها باراكليتس أي المعزّي.

هي تترجم في اللغة اليونانية دائماً بكلمة بيريكليتوس و إنجيل يوحنا حالياً في الآيات ١٦ : ٧-
١٦ ، ١٤ : ١٥- ١٧ ، ١٤ : ٢٦ يستخدم كلمة COMFORTES **معزّي** اقتباساً من النسخة

الإنجليزية كترجمة للكلمة اليونانية باراكليتوس و التي تعنى شفيع أو مدافع و هو الشخص الذي يدعى لمساعدة آخر أو صديق رحيماً أكثر مما تعنى معزى والأساتذة المتخصصون في اللاهوت يقولون إن **باراكليتوس** **ΠΑΡΑΚΛΗΤΟΣ** هي تحريف في القراءة للكلمة الأصلية بيركليتوس **ΠΕΡΙΚΛΗΤΟΣ** ، وفى القول الأصلي ليسوع المسيح فيه تنبؤ لنبينا أحمد بالاسم وحتى لو قرأنا باراكليتوس فإنها تدل على النبي الكريم الذي كان رحيماً بكل الخلائق..

ونعود إلى شرح كلمة الفرقليط فالفهاء للكلمة هي **parakiyos** وقد جعلتها كتابات الكنيسة تعنى " شخص يدعى للمساعدة ،محام ، وسيط " لكن البديهي أن الكلمة اليونانية التي تقابل معنى المعزى ليست باراكليتوس (**paraklytos**) بل (باراكالون **parakalon**) وقد وردت هذه الكلمة الأخيرة في الترجمة السبعينية اليونانية مقابل كلمة (مناحيم) العبرية التي تعنى (معزى) (انظر سفر مراثي إرميا ١ : ٢ ، ٩ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢١ .. الخ) .

وهناك كلمة يونانية أخرى مرادفة لكلمة (معزى) وهى باريجوريتس (**paragorytys**) مشتقة من (أنا أعزى) أما المعنى الآخر وهو (الوسيط أو المحامى) الذي تعطيه الأدبيات الكنسية لكلمة برقليط فإن الكلمة اليونانية (باراكالون **parakalon**) أيضاً وليس باراكليتوس **paraklytos** هي التي تؤدي معنى مشابهها لذلك حيث أن الكلمة **parakalon** مشتقة من فعل باراكالو (**parakaloo**) الذي يعنى "ينادى، يدعو، يحث، يعزى، يرجو، يناشد " وهناك أيضاً كلمة **sunegorus** اليونانية التي تعنى (الوسيط) أو (الشفيع) ولقرون طويلة كتب الأوروبيون واللاتينيون الجهلة اسم **Muhammad** على أنه **Mahomet** وأسم **Mushily** على أنه **Moses** فهل من عجب أن يكون أحد الرهبان النصارى أو النساخين قد حرف اسم أحمد (

بيركليتوس **periklytos** **ΠΕΡΙΚΛΗΤΟΣ**) إلى (**paraklytos** **باراكليتوس** **ΠΑΡΑΚΛΗΤΟΣ**) ؟ ذلك أن أحمد يعنى (الأشهر ، أو الجدير بالحمد) أما الكلمة المحرفة فهي تعنى العار لأولئك الذين جعلوها تحمل معنى المعزى أو المحامى منذ ثمانية عشر قرناً . إن النص قبل التحريف هكذا " وسوف أذهب إلى الأب وهو سيرسل لكم رسولا آخر (أو الرسول الأخير) سيكون اسمه " البرقليطوس " لكي يبقى معكم إلى الأبد " . إن كلمة برقليطوس تعنى من الناحية اللغوية البحتة " الأمد والأشهر والمستحق المديح " ، ومعنى الكلمة بالفرنسية **perikleitos** وهو اسم مركب مكون من مقطعين الأول (**peri**) والثاني (**kleitos**) وهذا الاسم مشتق من التمجيد أو الثناء والاسم الذي أكتبه بالحروف الفرنسية أو الإنجليزية وهو " **perikleitos** " أو " **periklytos** " يعنى بالضبط ما يعنيه اسم أحمد باللغة العربية أي المشهور والممدد .

والصعوبة الوحيدة التي ينبغي حلها والتغلب عليها هي اكتشاف الاسم السامي الأصلي الذي استخدمه عيسى المسيح إما بالعبرية أو الآرامية فإن الصيغة الآرامية لا بد أنها كانت " مُحَامَدًا "

أو " حَمِيداً " و ذلك لتتناسب مع كلمة " محمد " العربية أو " أحمد " و البرقليط اليونانية لا يوجد أدنى شك أن المقصود " بالبرقليط " هو محمد أي أحمد - فالاسمان لهما نفس الدلالة بالضبط، واحد باليونانية و الآخر بالعربية، لهما معنى واحد هو " الأشهر أو أكثر حمداً " ورأينا أن ترجمة الكلمة إلي " معز " أو " محام " مستحيلة وخاطئة والصيغة المركبة لبرقليون " paraquion " مشتقة من الفعل المؤلف من " para-qulo " بينما " periqlyte " مشتقة من " peri-qlue " والفرق واضح كل الوضوح فلنفحص علامات الـ " periqlyte " التي لا توجد إلا في أحمد ومحمد من الواضح تماماً في وصف الإنجيل الرابع أن برقليط اسم شخص محدد المعالم وروح مقدسة مخلوقة، سنأتي جسماً بشرياً، لتؤدي العمل الهائل المحدد لها من قبل الله ذلك العمل الذي لم يقم به أو ينجزه قط أحد من الأنبياء بما فيهم موسى وعيسى وغيرهما أنه محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين.

مناقشة النص:

يوحنا ١٤: ١٥ - ١٧] «إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ ١٦ وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيَكُمْ **مُعْزِيًا** آخَرَ لِيَمَكِّنَ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ ١٧ رُوحَ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ لِأَنَّهُ لَا يَرَاهُ وَلَا يَعْرِفُهُ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لِأَنَّهُ مَآكْتُ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ.]

و في يوحنا ١٥: ٢٦] ٢٦ «وَمَتَى جَاءَ **الْمُعْزِي** الَّذِي سَأَرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَغِي فَهُوَ يَشْهَدُ لِي. ٢٧ وَتَشْهَدُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا لِأَنَّكُمْ مَعِيَ مِنَ الْإِبْتِدَاءِ» .

يوحنا ١٦: ٥ - ١٦] ٥ «وَأَمَّا الْآنَ فَأَنَا مَاضٍ إِلَى الَّذِي أَرْسَلَنِي وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَسْأَلُنِي أَيْنَ تَمْضِي. ٦ لَكِنِ لِأَنِّي قُلْتُ لَكُمْ هَذَا قَدْ مَلَأَ الْحُزْنَ قُلُوبَكُمْ. ٧ لَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ الْحَقُّ إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ لِأَنَّهُ **إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لَا يَأْتِيَكُمُ الْمُعْزِي** وَلَكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أَرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ. ٨ وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يَكُونُ الْعَالَمُ عَلَى خَطِيئَةٍ وَعَلَى بَرٍّ وَعَلَى دِينُونَةٍ. ٩ وَأَمَّا عَلَى خَطِيئَةٍ فَلَأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِي. ١٠ وَأَمَّا عَلَى بَرٍّ فَلَأَنِّي ذَاهِبٌ إِلَى أَبِي وَلَا تَرَوْنَنِي أَيْضًا. ١١ وَأَمَّا عَلَى دِينُونَةٍ فَلَأَنَّ رَئِيسَ هَذَا الْعَالَمِ قَدْ دِينَ. ١٢ «إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لِأَقُولَ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الْآنَ. ١٣ وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ رُوحُ الْحَقِّ فَهُوَ يُرْسِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ لِأَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ. ١٤ إِذَاكَ يُمَجِّدُنِي لِأَنَّهُ يَأْخُذُ مِنِّي لِي وَيُخْبِرُكُمْ. ١٥ كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي. لِهَذَا قُلْتُ إِنَّهُ يَأْخُذُ مِنِّي لِي وَيُخْبِرُكُمْ. ١٦ بَعْدَ قَلِيلٍ لَا تَبْصُرُونَنِي ثُمَّ بَعْدَ قَلِيلٍ أَيْضًا تَرَوْنَنِي لِأَنِّي ذَاهِبٌ إِلَى الْآبِ» .]

لقد قال عيسى عليه السلام (**وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لِأَنَّهُ مَآكْتُ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ**) وكان الصواب أن يقول (**وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَرُونَهُ وَتَعْرِفُونَهُ**) ولما كان قد حذف الرؤية دل على أن المقصود بالرؤية المعرفة الحقيقية، لا الرؤيا البصرية وهنا معناه " أن النبي إذا جاء لن يعرفه أهل العالم معرفة حقيقية، بينما يعرفه التلاميذ معرفة حقيقية، لأن عندهم خبر عنه.

(وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لِأَنَّهُ مَآكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ) قوله (مَآكِثٌ مَعَكُمْ) لا ينطبق على الروح الإلهي، لأن الروح الإلهي على زعم النصارى ما كان قد نزل بعد، ولو كان هو مآكث فلماذا وعدهم بنزوله عليهم؟ ولو كان هو مآكث ما كان من داع أن يطلب من الله أن يرسله ليمكث، وما كان يقول (إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لَا يَأْتِيَكُمُ الْمُعْزِي) وهذا القول من أقوى الإشارات على بطلان قول النصارى بنزول الإله والمعنى الصحيح لهذا القول تفسره الجملة التالية له وهي (وَيَكُونُ فِيكُمْ) أى : يكون مستقبلا وعلى ذلك فالمكث يكون مستقبلا أيضا وقول المسيح عليه السلام (وَمَتَى جَاءَ الْمُعْزِي الَّذِي سَأَرْسَلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الْآبِ رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي مِنْ عِنْدِ الْآبِ يَنْبِئُكُمْ فَهُوَ يَشْهَدُ لِي. ٢٧) وَتَشْهَدُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا لِأَنَّكُمْ مَعِيَ مِنَ الْإِبْتِدَاءِ) هذا الكلام لا يصح انطباقه على الروح الإلهي، لأن الإله لا يرسل إليها مثله، والمعنى أن هذا (الباراكليت) سيأتي من عند الآب وحده أي سيرسل من الله وحده.

[٨] وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيئَةٍ وَعَلَى بَرٍّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ. [فكلمة (يبكث) جاءت بمعنى (يفحم) و (أفحمه)، أسكته في خصومة أو غيرها والمعنى: أن النبي الآتي سيكون من شأنه توبيخ العالم بحيث يفحمهم عن الرد عليه، ولا يستطيعون مع هذا التوبيخ مناقضة كلامه، لكن من المقصود بالعالم؟ يقول النصارى "العالم اليهودي والأمم" ونقول معهم اليهود والأمم.

فهل لما نزل الروح الإله وبخ (يبين مساوئ) اليهود والأمم؟ [٩] وَأَمَّا عَلَى خَطِيئَةٍ فَلَأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ.] وهذا لا ينطبق على الروح الإله لأن التلاميذ ساعة نزوله على حد قولهم، كانوا مؤمنين بعيسى نبيا رسولا إنما ينطبق على نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم لأنه وبخ (يبين مساوئ) اليهود في عدم إيمانهم برسالة عيسى عليه السلام ووبخ غير اليهود الذين أَلْصَقُوا بعيسى صفة الربوبية، والذين أنكروه أصلا، وأنكروا رسالات السماء [٣] وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ رُوحُ الْحَقِّ فَهُوَ يُرْسِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ لِأَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ. [أي إذا جاء نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم فإنه سيرشدكم إلى جميع الحق، والحق الذي عرفتم به وأنا معكم، سيذكركم به وحق سيأتي به من عند الله، هذا كله سيخبركم به، لأن الله هو الذي سيوحى إليه، ولن يتكلم بشيء من تلقاء نفسه، والروح الإله لما نزل يوم الخمسين لم يتكلم كلاما حقا أو باطلا.

وفى النهاية يشهد عيسى عليه السلام شهادة قيمة لنبي الإسلام ﷺ بقوله [٤] إِذَاكَ يُمَجِّدُنِي] إنه يعظم رسالتي ويعترف بفضلي وعلى ذلك فلا تحقرُوا رسالته ولا تتكروا فضله، بل أتبعوه وعظموه ومجدوه، كما يمجدني وهذا التمجيد منه لي [لأنه يَأْخُذُ مِنِّي وَيُخْبِرُكُمْ]. إنه يأخذ من الله ما هو معد لي من علم الله، أي من نفس العلم الذي أخذت منه، ونسب لي لأنني أنا

الذي أتكلّم معكم. كلانا في الهدف سواء، ومن هذا المصدر الذي أخذته منه، سوف يأخذ ويخبركم.

وأما عن وصف عيسى لنبي الإسلام وهو (وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ). فهذا تشير إليه الآيات الكريّمات في سورة الروم ١ - ٦:

﴿الْمَٓ ؕ غُلِبَتِ الرُّومُ ۚ﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٢﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ لَا تُخْلَفُ ۚ وَوَعْدُهُ ۚ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾

وأيضاً قوله تعالى في سورة الفتح ٢٧: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۚ

لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ؕ آمِنِينَ ۚ مُخْلِقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا

تَخَافُونَ ۚ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ۚ﴾

وقول عيسى عليه السلام [ذاك يُمَجِّدُنِي] يشير إليه قوله تعالى (ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون) (٣) سورة المائدة (الآية ٧٥).

وبعد فهل من مزيد؟.

نعم هناك المزيد والمزيد.. فلقد أخبرتنا التوراة عن مكان مولده الشريف ﷺ فلقد عرفنا أنه ولد ببكة [בְּעַמֶּק הַכְּנָעַנִי]، وذكرنا لنا كما مر بك البدايات الأولى للوحي كانت في الغار كالتالي (וַיֵּלֶךְ הַסֵּפֶר، עַל אֶשֶׁר לֹא-יָדַע סֵפֶר לְאַמְרֵי-קְדָא נְאֻם-יְהוָה וְאָמַר،

לֹא יָדַעְתִּי סֵפֶר) .

والآن دعني أخبرك بأمر قد لا يخطر على بالك ولكنه معروف جداً لعلمائكم، فإذا قال الله ﷻ :

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي

التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ۚ﴾ سورة الأعراف: ١٥٧ - ١٥٨، فلا بد وأن يكون موجوداً عندكم

في التوراة والإنجيل كما سنرى بعد قليل، وإذا قال الله ﷻ في سورة الشعراء ١٩١ - ٢٠٦:

أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَأْتِيَهِمْ عَلَمًا مِنْ رَبِّهِمْ إِذْ يُنَادِيهِمْ فِي الْعَمَاءِ أَنْ يَسْمَعُوا قَوْلَ رَبِّهِمْ لَقَدْ أَهْلَكَ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِكُمْ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَأْتِيَهِمْ عَلَمًا مِنْ رَبِّهِمْ إِذْ يُنَادِيهِمْ فِي الْعَمَاءِ أَنْ يَسْمَعُوا قَوْلَ رَبِّهِمْ لَقَدْ أَهْلَكَ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِكُمْ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَأْتِيَهِمْ عَلَمًا مِنْ رَبِّهِمْ

الْأَعْمَى فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٨﴾

فما سوف نسوقه من آيات يعرفها علمائكم خير دليل وخير حجة عليكم، أتعرف أن التوراة قد ذكرت اسمه الشريف ﷺ كاملاً كالآتي: **محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب**، وهو مالم يذكر في القرآن الكريم ولقد ذكرته كتب السيرة فقط. ولسوف تدهش إذا عرفت أن التوراة قد ذكرت نص الحور الذي قد دار بين سيدنا محمد ﷺ وجبريل عليه السلام حينما دفع إليه الكتاب وطلب منه أن يقرأ ما فيه [١٢] **أَوْ يُدْفَعُ الْكِتَابُ لِمَنْ لَا يَعْرِفُ الْكِتَابَةَ وَيَقَالُ لَهُ: «اقْرَأْ هَذَا» فَيَقُولُ: «لَا أَعْرِفُ الْكِتَابَةَ»** أي **«مَا أَنَا بِقَارِئٍ»**. نعم لسوف تدهش حينما تعلم ماهو مكتوب ، ودعني أترج معك في النبوءات التوراتية كالتالي:

النبوءة (١) : **محمد بن عبد الله** وبالعبرية **حمدون ابن عوبيد إلهيم** "

يقول د. ف . كيزيتش [المسيح في اليونانية **Christos** وفي العبرية **Mashiah** ، فعندما قوي التعلق بالقومية اليهودية وخاصة في العصر الهليني ، أخذ الرجاء الماسياني معني سياسية فكان معاصرو يسوع يتوقعون مجيء زعيم قومي ، وملك قومي ، يلعب دور مسيح الرب ويخلص شعبهم من النير الروماني ، ويعيد الملك إلى إسرائيل، وكانت الجموع التي تقبلت بغبطة كلام يسوع وتلاميذه تشارك في هذا المفهوم لمجيء الماسيا وقد استمرت في هذا الفهم وهذا الرجاء حتى النهاية]، فمن هو الماسيا ؟ إن عيسى عليه السلام في الأنجيل يعترف بأنه جاء ليهيئ الطريق للماسيا كما هو وارد في إنجيل يوحنا ١ : ١٩ — ٢٦ [١٩] وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه: «مَنْ أَنْتَ؟» ٢٠ فاعترف ولم ينكر وأقر أنني لست أنا المسيح. ٢١ فسألوه: «إِذَا مَاذَا؟ **إِلِيَّا أَنْتَ؟**» فقال: «لَسْتُ أَنَا». «**النَّبِيُّ أَنْتَ؟**» فأجاب: «لَا». ٢٢ فقالوا له: «مَنْ أَنْتَ لِنُعْطِيَ جَوَابًا لِلَّذِينَ أَرْسَلُونَا؟ مَاذَا تَقُولُ عَنْ نَفْسِكَ؟» ٢٣ قال: «أَنَا صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: قَوْمُوا طَرِيقَ الرَّبِّ كَمَا قَالَ إِشَعْيَاءُ النَّبِيُّ». ٢٤ وَكَانَ الْمُرْسَلُونَ مِنَ الْفَرِيسِيِّينَ ٢٥ فسألوه: «فَمَا بِأَنَّكَ تَعْمَدُ إِنْ كُنْتَ لَسْتَ الْمَسِيحَ وَلَا إِلِيَّا وَلَا النَّبِيُّ؟» ٢٦ أَجَابَهُمْ يوحنا: «أَنَا أَعْمَدُ بِمَاءٍ وَلَكِنْ فِي وَسْطِكُمْ قَائِمٌ الَّذِي لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ. ٢٧ **هُوَ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي الَّذِي صَارَ قُدَّامِي الَّذِي لَسْتُ بِمُسْتَحِقٍّ أَنْ أَحُلَّ سُبُورَ حِذَائِهِ**. ٢٨ هَذَا كَانَ فِي بَيْتِ عَبْرَةٍ فِي عَبْرِ الْأُرْدُنِّ حَيْثُ كَانَ يوحنا يعمد.].

وفي متى ٢٣ : ٣٧ — ٣٩ [«يَا أُورُشَلِيمُ يَا أُورُشَلِيمُ يَا قَاتِلَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا كَمْ مَرَّةً أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلَادَكَ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاحَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا وَلَمْ تُرِيدُوا. ٣٨ هُوَذَا

بَيِّتُكُمْ يَتْرُكُ لَكُمْ خَرَابًا! ٣٩ لِأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ لَا تَرَوْنَنِي مِنَ الْآنَ حَتَّى تَقُولُوا: مُبَارَكُ الْآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! »[.]

وفي ملاخي ٤: ٤-٦ [4] اذْكُرُوا شَرِيعَةَ مُوسَى عَبْدِي الَّتِي أَمَرْتُهَا بِهَا فِي حُورِيبَ عَلَى كُلِّ إِسْرَائِيلَ. الْفَرَائِضَ وَالْأَحْكَامَ. 5] هَذَا أَرْسَلُ إِلَيْكُمْ إِبِلْيَا النَّبِيَّ قَبْلَ مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَالْمَخُوفِ ٦ فَيَرُدُّ قَلْبَ الْآبَاءِ عَلَى الْأَبْنَاءِ وَقَلْبَ الْأَبْنَاءِ عَلَى آبَائِهِمْ. لِئَلَّا آتِيَ وَأَضْرِبَ الْأَرْضَ بِلَعْنٍ[.]

وفي الإصحاح الثامن عشر من سفر التثنية ١٨/١٥-١٩:

[15] «يَقِيمُ لَكَ الرَّبُّ إِلَهَكَ نَبِيًّا مِنْ وَسْطِكَ مِنْ إِخْوَتِكَ مِثْلِي. لَهُ تَسْمَعُونَ. ١٦ أَحَسَبَ كُلُّ مَا طَلَبْتَ مِنَ الرَّبِّ إِلَهِكَ فِي حُورِيبَ يَوْمَ الْاجْتِمَاعِ قَائِلًا: لَا أَعُودُ أَسْمَعُ صَوْتَ الرَّبِّ إِلَهِي وَلَا أَرَى هَذِهِ النَّارَ الْعَظِيمَةَ أَيْضًا لِئَلَّا أَمُوتَ ١٧ قَالَ لِي الرَّبُّ: قَدْ أَحْسَنْتَ فِي مَا تَكَلَّمُوا. ١٨ أَقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسْطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ وَأَجْعَلُ كَلَامِي فِي فَمِهِ فَيَكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ. ١٩ وَيَكُونُ أَنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي لَا يَسْمَعُ لِكَلَامِي الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ بِاسْمِي أَنَا أَطَالِبُهُ. ٢٠ وَأَمَّا النَّبِيُّ الَّذِي يُطْغِي فَيَتَكَلَّمُ بِاسْمِي كَلَامًا لَمْ أُوصِهِ أَنْ يَتَكَلَّمُ بِهِ أَوْ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِاسْمِ إِلَهَةٍ أُخْرَى فَيَمُوتُ ذَلِكَ النَّبِيُّ. ٢١ وَإِنْ قُلْتَ فِي قَلْبِكَ: كَيْفَ نَعْرِفُ الْكَلَامَ الَّذِي لَمْ يَتَكَلَّمُ بِهِ الرَّبُّ؟ ٢٢ فَمَا تَكَلَّمَ بِهِ النَّبِيُّ بِاسْمِ الرَّبِّ وَلَمْ يَحْدُثْ وَلَمْ يَصِرْ فَهُوَ الْكَلَامُ الَّذِي لَمْ يَتَكَلَّمُ بِهِ الرَّبُّ بَلْ بِطُغْيَانٍ تَكَلَّمَ بِهِ النَّبِيُّ فَلَا تَخَفْ مِنْهُ.»[.]

منقول بتمامه من كتاب المسيح في الأنجيل للدكتور كيزيتش ص ٣٦ — ٣٨، منشورات النور بلبنان ١٩٨١، تعريب الأب ميشال نجم.

ويقول د. ف . كيزيتش في كتابه المسيح في الأنجيل ص ٧٩، ٨٠ : [من علماء العهد الجديد من يزعم أن يسوع لم يعلن أبداً أنه ماسياً ، وإنما الكنيسة اخترعت بعد قيام المسيح من الأموات (السر الماسياني) ويقولون بأن العبارات الماسيانية المدونة في الأنجيل ليست ليسوع بل من وضع الكنيسة] ويشير كيزيتش إلى مرجعه بالآتي **Wrede : The Messianic Secret in the Gospels 1901** في كتاب **Albeit Schweitzer; The Quest, of the Historical Jesus , New York. Macmillan, 1961, pp330-348.**

إنه باختصار شديد محمد رسول الله ﷺ.

ونتكلم الآن عن نبوءة يعقوب عليه السلام وهو على فراش الموت لأبنائه عن النبي المنتظر ، وقد اعتبرها أهل الأديان الثلاثة الكبرى نبوءة عن المسيا (النبي الموعود به ، النبي الخاتم ، نبي آخر الزمان ، ملاك " أي رسول " العهد) اعتبرها كذلك اليهود أنفسهم وفي مؤلفات علمائهم القدماء ومنها التلمود ، وكلهم فسر (شيله) بالمسيا .

ويقول قاموس الكتاب المقدس عن شيلون (شيله) " اسم يشير إلى المسيا " .

[١٠ لا يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُوذَا وَمُسْتَرَعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شَيْلُونُ وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعُ شُعُوبٍ.] [تك ١٠/٤٩ وفي الترجمات الإنجليزية وردت الكلمة (شيلوه أو شيله Shiloh)

[١٠ The scepter shall not depart from Judah, nor a lawgiver from between his feet, until **Shiloh** come; and unto him shall the gathering of the people be.]

وفي ترجمة الآباء اليسوعيين [١٠ لا يزول الصَّولجانُ مِنْ يَهُوذَا وَمُسْتَرَعٌ مِنْ صِلْبِهِ حَتَّى يَأْتِيَ شَيْلُونُ وتطعيه الشعوب]. ولأن هذه النصوص أخرجت الكنيسة رأيناها عدلت في نسخة الإنترنت النص كالتالي: [١٠ لا يزول الصَّولجانُ مِنْ يَهُوذَا ولا عصا السُّلطانِ مِنْ صِلْبِهِ، إلى أَنْ يَتَبَوَّأَ فِي شَيْلُونِ مَنْ لَهُ طَاعَةُ الشُّعُوبِ.] ولك أن تتأمل كلمة — أَنْ يَتَبَوَّأَ فِي — حتى يفهم من كلمة شَيْلُونِ أنها تعود على مكان وليس إنسان.

على أية حال، النص العبري مازال هو الحكم، والكلمة وردت في التوراة العبرية من أربعة أحرف فقط : " شين ، يود ، لامد ، هي " ... أي : " شين ، ياء ، لام ، هاء " إذن فقد وردت الكلمة في الترجمات بأربع صيغ : شيلون ، شيلوه ، شيلو ، شَيْلُهُ .

ونختار طبعاً ما ورد في الأصل العبري، وفقاً لحروف الهجاء الأربعة، أي " شَيْلُهُ " .

إنها كلمة لامعنى لها في سياقها ، ولكن يلغز بها يعقوب إلى اسم النبي الذي تنتهي على يديه الشريعة والسلطان من بني إسرائيل وتنتقلان إليه وتخضع له الشعوب .

فالقضيب أو الصولجان هو السلطان والملك ، والمشرع يعنى المشرع (الشريعة و السلطة الدينية) . علينا أن نتبع تعاليم يوحنا اللاهوتي الواردة في رؤيا يوحنا (١٣/١٨) ، والمشار إليها في المقدمة " هنا الحكمة من له فهم فليحسب عدد الوحش، فإنه عدد إنسان، وعدده ستمائة وستة وستون " . علينا فقط أن نكون تلاميذ مطيعين، إنه تلميذ يسوع الحبيب.

وعند حساب هذه الكلمة " شيله " في نبوءة يعقوب بحساب الجمل ، نجده :

حساب الجمل	النص التوراتي	المجموع
ش = ٣٠٠ + ي = ١٠ + ل = ٣٠ + ه = ٥	شيله	٣٤٥

واسم : محمد بن عبد الله بالعبرية هو " حمدون ابن عوبيد الوهيم "

حساب الجمل	النص التوراتي	المجموع
ح = ٨ + م = ٤٠ + د = ٤ + و = ٦ + ن = ٥٠	حمدون	١٠٨
أ = ١ + ب = ٢ + ن = ٥٠	ابن	٥٣
ع = ٧٠ + و = ٦ + ب = ٢ + ي = ١٠ + د = ٤	عوبيد	٩٢
أ = ١ + ل = ٣٠ + و = ٦ + ه = ٥ + ي = ١٠ + م = ٤٠	إلهيم	٩٢
	المجموع الكلي	٣٤٥

نفس مجموع الحروف الأربعة **شيله** عاليه .

إن نبوءة يعقوب عن النبي المنتظر، نبي آخر الزمان، تنطبق على " محمد بن عبد الله " .

النبوءة (٢) : محمد

ومازلنا مع نبوءة يعقوب عليه السلام السابقة كما ترونها التوراة.

[١٠] لَا يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُوذَا وَمُشْتَرَعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ **شِيلُونُ** وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعٌ **شُعُوبٍ** . [تك ١٠/٤٩ ، لقد فسر علماءهم كلمة **شِيلُونُ** الغامضة ، تفسيراً آخر ، بكلمة غيرها ولكنها مشابهة لها ، قالوا : " **شِيلُونُ** أي أمان " :

* يقول مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين ص ٤٤٨ : **شِيلُونُ** (أمان)

* ويقول في صفحة ٥٥٧ : **شِيلُونُ** : أمان ، أو الذي له .

* وفي الكتاب المقدس طبعة بيروت سنة ١٩٧٦ تعليق على كلمة **شِيلُونُ** هكذا : أي أمان وإذا حسبنا كلمة (أمان) وهو ما يشير إلى اسم النبي الموعود (المسيا المنتظر) :

حساب الجمل	النص التوراتي	المجموع
أ = ١ + م = ٤٠ = أ + ١ = ن + ٥٠	أمان	٩٢
م = ٤٠ + ح = ٨ + م = ٤٠ + د = ٤	محمد	٩٢

وهكذا يتطابق هذا الاسم المشار إليه بكلمة (أمان) مع اسم النبي محمد ﷺ شأن الكلمتين المشار إليهما في التمهيد " بماد ماد " و " لجوى جدول " حيث أن مجموع كل منهما (٩٢) لم نتقول عليهم شيئاً من جانبنا، هو اعترافهم، إننا نعمل كما علمنا يوحنا، لم نتجاوز الموعدة.

النبوءة (٣) : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم

يقول سفر التثنية ١٨/١٥-١٩ :

[15] «يُقِيمُ لَكَ الرَّبُّ إِلَهَكَ نَبِيًّا مِنْ وَسْطِكَ مِنْ إِخْوَتِكَ مِثْلِي. لَهُ تَسْمَعُونَ. ١٦ حَسَبَ كُلِّ مَا طَلَبْتَ مِنَ الرَّبِّ إِلَهَكَ فِي حُورَيْبَ يَوْمِ الْاجْتِمَاعِ قَائِلًا: لَا أَعُوذُ أَسْمَعُ صَوْتَ الرَّبِّ إِلَهِي وَلَا أَرَى هَذِهِ النَّارَ الْعَظِيمَةَ أَيْضًا لِنَلَّا أَمُوتَ ١٧ قَالَ لِي الرَّبُّ: قَدْ أَحْسَنُوا فِي مَا تَكَلَّمُوا. ١٨ أَفِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسْطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ وَأَجْعَلُ كَلَامِي فِي فَمِهِ فَيَكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أَوْصِيهِ بِهِ. ١٩ أَوْيَكُونُ أَنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي لَا يَسْمَعُ لِكَلَامِي الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ بِاسْمِي أَنَا أَطَالِبُهُ. ٢٠ وَأَمَّا النَّبِيُّ الَّذِي يُطْغِي فَيَتَكَلَّمُ بِاسْمِي كَلَامًا لَمْ أَوْصِهِ أَنْ يَتَكَلَّمْ بِهِ أَوْ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِاسْمِ إِلَهٍ أُخَرَى فَيَمُوتُ ذَلِكَ النَّبِيُّ. ٢١ وَإِنْ قُلْتَ فِي قَلْبِكَ: كَيْفَ نَعْرِفُ الْكَلَامَ الَّذِي لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ الرَّبُّ؟ ٢٢ فَمَا تَكَلَّمْ بِهِ

النَّبِيُّ بِاسْمِ الرَّبِّ وَلَمْ يَحْدُثْ وَلَمْ يَصِرْ فَهُوَ الْكَلَامُ الَّذِي لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ الرَّبُّ بَلْ بِطُغْيَانٍ تَكَلَّمَ بِهِ النَّبِيُّ فَلَا تَخَفْ مِنْهُ». [.

وفي نسخة الإنترنت: [٥ يُقِيمُ لَكُمْ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ نَبِيًّا مِنْ بَيْنِكُمْ، مِنْ إِخْوَتِكُمْ بَنِي قَوْمِكُمْ مِثْلِي، فَاسْمَعُوا لَهُ.]

إنها النبوءة الأولى لموسى فلا بأس إذا أطلنا النظر فيها قبل أن نبدأ حساباتنا، محور هذا الكتاب، حيث تنبأ موسى لبني إسرائيل عن النبي الموعود وبشرهم به ، وأخذ عليهم العهد أن يطيعوه ويسمعوا له ، كما بشرت به الأنبياء . لقد كان اليهود إذن في انتظار نبي بعينه، لا يتبع شريعة موسى ، يأتي بناموس جديد ، تورا (أي شريعة) مقدسة بديلة للتوراة التي بأيديهم ، غير أن المسيح عيسى ألزم حواريه بعدم مخالفة تورا موسى.

هيا بنا لنأتي إلى الجانب الحسابي في النبوءة ، لنأت إلى الفقرة الأولى ، عبارة :

" يُقِيمُ لَكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ نَبِيًّا مِنْ وَسْطِكَ مِنْ إِخْوَتِكَ مِثْلِي. لَهُ تَسْمَعُونَ. " تث ١٨/١٥

والنص العبري هكذا: [يُقِيمُ لَكَ يَهُوَه إِلَهُكَ نَبِيء م قَرَبِكَ م أَحِيكَ كَمْنِي]

إن هذه الفقرة لكي تكون نبوءة أو جزءا من نبوءة، ينبغي أن تقودنا إلى اسم ذلك النبي، وأن تحدد شخصيته ونسبه، تعرف به، بما ينفي الجهالة عنه، فهيا بنا نحسبها حتى نتعرف عليه :

حساب الجمل	النص التوراتي	المجموع
ى = ١٠ + ق = ١٠٠ + ى = ١٠ + م = ٤٠	يقيم	١٦٠
ل = ٣٠ + ك = ٢٠	لك	٥٠
ى = ١٠ + ه = ٥ + و = ٦ + ه = ٥	يهوه	٢٦
أ = ١ + ل = ٣٠ + ه = ٥ + ى = ١٠ + ك = ٢٠	إلهيك	٦٦
ن = ٥٠ + ب = ٢ + ى = ١٠ + أ = ١	نبيء	٦٣
م = ٤٠ + ق = ١٠٠ + ر = ٢٠٠ + ب = ٢ + ك = ٢٠	م قَرَبِكَ	٣٦٢
م = ٤٠ + أ = ١ + ح = ٨ + ى = ١٠ + ك = ٢٠	م أَحِيكَ	٧٩
ك = ٢٠ + م = ٤٠ + ن = ٥٠ + ى = ١٠	كَمْنِي	١٢٠
	المجموع الكلي	٩٢٦

هذا هو مجموع الفقرة عاليه ٩٢٦ ولسوف تلاحظ أنه مجموع اسم النبي محمد ﷺ حسب

تسميته العربية: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم.

حساب الجمل	الاسم الشريف	المجموع
م = ٤٠ + ح = ٨ + م = ٤٠ + د = ٤	محمد	٩٢

٥٣	ابن	إ = ١ + ب = ٢ + ن = ٥٠
٧٦	عبد	ع = ٧٠ + ب = ٢ + د = ٤
٦٦	الله	أ = ١ + ل = ٣٠ + ل = ٣٠ + ه = ٥
٥٣	ابن	إ = ١ + ب = ٢ + ن = ٥٠
٧٦	عبد	ع = ٧٠ + ب = ٢ + د = ٤
١١٢	المطلب	أ = ١ + ل = ٣٠ + م = ٤٠ + ط = ٩ + ل = ٣٠ + ب = ٢
٥٣	ابن	إ = ١ + ب = ٢ + ن = ٥٠
٣٤٥	هشم	ه = ٥ + ش = ٣٠٠ + م = ٤٠
٩٢٦	المجموع الكلى	

لقد راعينا كتابة الاسم (هاشم) كما يكتب في العربية (هشم) بحذف ألف الوسط كإسحق وإسماعيل .

فهذه شهادة موسى و التوراة كتبتها أيديهم و خطتها أقلامهم ، لم يكن المسلمون شهودا عليها ، شهادة نبي إسرائيلي، للنبي العربي ﷺ .

أما أوجه الشبه بين محمد و موسى ، فمنها:

١- كلاهما عبد الله ورسوله، أما عيسى فهو إله متجسد، إله من إله من جوهر أبيه على قول النصارى.

٢- كلاهما من أب وأم، أما عيسى فمن أم بلا أب.

٣- كلاهما عاشا حياة طبيعية فتزوج وأنجب، أما عيسى فلم يعرف الزواج ولا الأبوة

٤- كلاهما مات ميتة طبيعية، أما عيسى فقد مات أشر ميتة مقتولا على الصليب

٥- كلاهما دفن في الأرض أما عيسى فقد رفع إلى السماء (جالسا عن يمين قوة الله)

٦- كلاهما صاحب شريعة وأنزل عليه كتاب، أما عيسى فكان على سريعة موسى، ولم ينزل عليه كتاب على قول النصارى.

٧- كلاهما رسول حاكم محارب مطاع فى قومه ، طبق الحدود والأحكام ، أما عيسى فلم يكن حاكما ولا محاربا ولا مطاعا فى قومه ولم يطبق حدا من حدود الشريعة

٨ - كلاهما مهمته إعلان توحيد الله المطلق بلا شائبة وتبليغ شريعة الله وتطبيقها، أما عيسى فكانت مهمته الموت على الصليب تكفيرا عن خطيئة موروثه موهومة، والتبشير باقتراب ملكوت الله.

٩- ذهب يسوع إلى الهاوية وبقي في الجحيم ثلاثة أيام ، بينما لم يذهب إلى الجحيم موسى ولا محمد ولن يذهبا.

النبوءة (٤) : من بني قيدر

إننا مع كلمتين اثنتين من النص السابق:

[١٨ أَقِيمْ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسْطِ (أو من بين) إِخْوَتِهِمْ].

وبالعبرية : م قَرَبَ أَحِيَهُم

$$٣٤٢ + ٦٤ = ٤٠٦$$

تُرى من أي إخوتهم هذا النبي ؟ لا بد أن يرشدنا النص إليه بوضوح ، هل هو من أحد أسباط إسرائيل الإثني عشر ؟ إن النبوءة تحمل الهداية والإرشاد ، ولا تتضمن الغموض والحيرة ، وإلا ما أصبحت نبوءة . إن إخوة بني إسرائيل ليسوا هم بني إسرائيل ، تقول التوراة عن إسماعيل : [١٣ وَهَذِهِ أَسْمَاءُ بَنِي إِسْمَاعِيلَ بِأَسْمَائِهِمْ حَسَبَ مَوْلِيدِهِمْ: نَبَايُوتُ بَكْرُ إِسْمَاعِيلَ وَقِيدَارُ وَادْبَيْئِيلُ وَمِيسَامُ ١٤ وَمِشْمَاعُ وَدُومَةُ وَمَسَا ١٥ وَحَدَارُ وَتَيْمًا وَيَطُورُ وَنَافِيثُ وَقَدْمَةُ. ١٦ هَؤُلَاءِ هُمُ بَنُو إِسْمَاعِيلَ وَهَذِهِ أَسْمَاؤُهُمْ بِدْيَارِهِمْ وَحُصُونِهِمْ. اثْنَا عَشَرَ رَئِيسًا حَسَبَ قَبَائِلِهِمْ. ١٧ وَهَذِهِ سِنُو حَيَاةِ إِسْمَاعِيلَ: مِئَةٌ وَسَبْعٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً. وَأَسْلَمَ رُوحَهُ وَمَاتَ وَانْضَمَّ إِلَى قَوْمِهِ. ١٨) (وَسَكَنُوا مِنْ حَوِيلَةَ إِلَى شُورَ الَّتِي أَمَامَ مِصْرَ حِينَمَا تَجِيءُ نَحْوَ أَشُورَ). أَمَامَ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ نَزَلَ.] [١٨ - ١٣ / ٢٥ - ١٨ .

لقد كان سكنهم أمام إخوتهم بني إسرائيل وفي مقابلهم ، من حَوِيلَةَ (شمالى اليمن) إلى أَشُورَ وهي (موضع في البرية جنوب فلسطين وشرق مصر) حسب قاموس الكتاب المقدس . هذا هو إسماعيل وبنوه إخوة بني إسرائيل ، كما يقول النص ، لا نستبعدهم من تطبيق النبوءة . وَقِيدَارُ هو الابن الثاني لإسماعيل ، وجد محمد صلى الله عليه وسلم الذي طالما تغنت التوراة باسمه وأمجاده دون سائر .

إن كلمات النبوءة عاليه هي : [١٨ أَقِيمْ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسْطِ (أو من بين) إِخْوَتِهِمْ].

إذن علينا أن نحسب " من بني قيدر " وبالعبرية : " م بني قدر " :

حساب الجمل	الاسم الشريف	المجموع
م = ٤٠ + ب = ٢ + ن = ٥٠ + ي = ١٠ = ١٠٢	م بني	١٠٢
ق = ١٠٠ + د = ٤ + ر = ٢٠٠ = ٣٠٤	قدر	٣٠٤
	المجموع الكلى	٤٠٦

لقد تطابق مجموع [م قَرَبَ أَحِيَهُم] مع مجموع [م بني قدر] .

على القوم أن يجتمعوا ويستخرجوا من النص تفسيراً ينطبق على أنبيائهم كما يحلو لهم ، المهم أن يعلنوا أساس ما توصلوا إليه على الناس .

ونتركهم في محاولاتهم اليائسة وننتظر ، على أمل ألا يطول بنا الانتظار .

النبوءة (٥): محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي

يقول الله على لسان موسى: [وَأَجْعَلْ كَلَامِي فِي فَمِهِ فَيَتَكَلَّمُ إِلَيْهِمْ]

وَأَجْعَلْ كَلَامِي فِي فَمِهِ فَيَتَكَلَّمُ إِلَيْهِمْ
وبالعبرية: وَنَتְתִי דַּבְּרִי בְּפִיו וְדִבֵּר אֲלֵיהֶם
وبالعبرية: " وَنَتְתִי דַּבְּרִי בְּפִיו וְדִבֵּר "

أي: " وَأَجْعَلْ كَلَامِي بَفَمِهِ فَيَتَكَلَّمُ ... "
و لنحسب العبارة " دبري بفيو ودبر " أي (كلامي بفيه فيتكلم) ، لتعرف على شخصية هذا النبي ، الذي يجعل الله كلامه في فمه ، ليس في صحف أو لוחي حجارة :

حساب الجمل	النص	المجموع
د = ٤ + ب = ٢ + ر = ٢٠٠ + ي = ١٠	دبري	٢١٦
ب = ٢ + ف = ٨٠ + ي = ١٠ + و = ٦	بفيو	٩٨
و = ٦ + د = ٤ + ب = ٢ + ر = ٢٠٠	ودبر	٢١٢
	المجموع الكلي	٥٢٦

وهو نفس مجموع اسم النبي محمد ﷺ ، وقد سبق لنا حسابه:

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب

$$٩٢ + ٥٢ + ٧٦ + ٦٦ + ٥٢ + ٧٦ + ١١٢ = ٥٢٦$$

أتريد المزيد؟ ...

دعنا نعيش مع نفس ذات النص مرة أخرى [وَأَجْعَلْ كَلَامِي فِي فَمِهِ فَيَتَكَلَّمُ إِلَيْهِمْ]

نحسب هذه العبارة، فإنها لا يمكن أن تخلو من اسم النبي المقصود، موضع العهد :

حساب الجمل	النص العبري	المجموع
و = ٦ + ن = ٥٠ + ت = ٤٠٠ + ت = ٤٠٠ + ي = ١٠	ونتتي	٨٦٦
د = ٤ + ب = ٢ + ر = ٢٠٠ + ي = ١٠	دبري	٢١٦
ب = ٢ + ف = ٨٠ + ي = ١٠ + و = ٦	بفيو	٩٨
و = ٦ + د = ٤ + ب = ٢ + ر = ٢٠٠	ودبر	٢١٢
أ = ١ + ل = ٣٠ + ي = ١٠ + ه = ٥ + م = ٤٠	إليهم	٨٦
	المجموع الكلي	١٤٧٨

[وَأَجْعَلْ كَلَامِي فِي فَمِهِ فَيَتَكَلَّمُ إِلَيْهِمْ] ، من هو هذا الذي سوف يجعل الله سبحانه وتعالى كلامه [فِي فَمِهِ فَيَتَكَلَّمُ إِلَيْهِمْ] لا شك أن هذه الكلمات تحمل اسم النبي المبشر به أنه اسمه ﷺ : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي .

حساب الجمل	الاسم الشريف	المجموع
م = ٤٠ + ح = ٨ + م = ٤٠ + د = ٤	محمد	٩٢
إ = ١ + ب = ٢ + ن = ٥٠	ابن	٥٣
ع = ٧٠ + ب = ٢ + د = ٤	عبد	٧٦
أ = ١ + ل = ٣٠ + ل = ٣٠ + ه = ٥	الله	٦٦
إ = ١ + ب = ٢ + ن = ٥٠	ابن	٥٣
ع = ٧٠ + ب = ٢ + د = ٤	عبد	٧٦
أ = ١ + ل = ٣٠ + م = ٤٠ + ط = ٩ + ل = ٣٠ + ب = ٢	المطلب	١١٢
إ = ١ + ب = ٢ + ن = ٥٠	ابن	٥٣
ه = ٥ + ش = ٣٠٠ + م = ٤٠	هشم	٣٤٥
إ = ١ + ب = ٢ + ن = ٥٠	ابن	٥٣
ع = ٧٠ + ب = ٢ + د = ٤	عبد	٧٦
م = ٤٠ + ن = ٥٠ + ف = ٨٠	منف	١٧٠
إ = ١ + ب = ٢ + ن = ٥٠	ابن	٥٣
ق = ١٠٠ + ص = ٩٠ + ي = ١٠	قصي	٢٠٠
	المجموع الكلي	١٤٧٨

هل تركت النبوءة لبساً في شخصية هذا النبي ؟. هل يكفي هذا النسب الطويل عن الآباء والأجداد لينفي أي شك ؟.. هل اتضحت هويته من نص التوراة ؟. هاتوا نبوءة تتحدث على هذا النحو عن أحد الأنبياء من أولهم إلى آخرهم على مدى عشرة آباء متعاقبة بالتمام والكمال ، غير محمد . اللهم فاشهد .

والآن بماذا تكلم ﷺ ؟.

إننا مع بداية جواب الله علي موسى ، إن كلمات التوراة تقودنا إلي مغزاها علي الفور : كلام الله الذي جعله في فم النبي فيتكلم به إلي قومه ، نحن إذن مع أوائل سورة العلق . ولنبدأ بحساب عبارات التوراة العبرية وفقاً لإحدى القراءات :

هَيْطِيبُو أَشِرْ دَبِرُو نَبِي أَقِيم لَاهَم مَ قَرَب
أي: أحسنوا فيما تكلموا نبيا أقيم لهم من بين

أَحِبَّهُمْ	كَمْوَكِه	وَنَتَّي	دَبْرَى	بَفِيو	وَدِير	إِلَيْهِمْ
إِخْوَتَهُمْ	مَثْلَكَ	وَأَجْعَلْ	كَلَامِي	فِي فَمِهِ	فَيَتَكَلَّمُ	إِلَيْهِمْ
أَت	كُلْ	أَشْرَ	أَصَوْنُو			
--	بِكُلِّ	مَا	أَوْصِيَهُ بِهِ			

فلنحسبها حسب القراءة عاليه :

حساب الجمل	النص التوراتي	المجموع
ه = ٥ = ي + ١٠ = ط = ٩ = ي + ١٠ = ب + ٢ = و = ٦	هيطيبو	٤٢
أ = ١ = ش + ٣٠٠ = ر + ٢٠٠	أشر	٥٠١
د = ٤ = ب + ٢ = ر + ٢٠٠ = و = ٦	دبرو	٢١٢
ن = ٥٠ = ب + ٢ = ي + ١٠	نبي	٦٢
أ = ١ = ق + ١٠٠ = ي + ١٠ = م + ٤٠	أقيم	١٥١
ل = ٣٠ = أ + ١ = ه = ٥ = م + ٤٠	لاهم	٧٦
م = ٤٠ = ق + ١٠٠ = ر + ٢٠٠ = ب + ٢	م قرب	٣٤٢
أ = ١ = ح + ٨ = ي + ١٠ = ه = ٥ = م + ٤٠ = ه = ٥	أحيهمه	٦٩
ك = ٢٠ = م + ٤٠ = و = ٦ = ك + ٢٠ = ه = ٥	كموكه	٨٦
و = ٦ = ن + ٥٠ = ت + ٤٠٠ = ت + ٤٠٠ = ي + ١٠	وننتي	٨٦٦
د = ٤ = ب + ٢ = ر + ٢٠٠ = ي + ١٠	دبري	٢١٦
ب = ٢ = ف + ٨٠ = ي + ١٠ = و = ٦	بفيو	٩٨
و = ٦ = د + ٤ = ب + ٢ = ر + ٢٠٠	ودبر	٢١٢
أ = ١ = ل + ٣٠ = ي + ١٠ = ه = ٥ = م + ٤٠	إليهم	٨٦
أ = ١ = ت + ٤٠٠	أت	٤٠١
ك = ٢٠ = ل + ٣٠	كل	٥٠
أ = ١ = ش + ٣٠٠ = ر + ٢٠٠	أشر	٥٠١
أ = ١ = ص + ٩٠ = و = ٦ = ن + ٥٠ = و = ٦	أصونو	١٥٣
	المجموع الكلي	٤١٣٤

تري ، بم أوصي الله نبيه ﷺ ليبلغه إلى قومه ؟ نقول إن الجواب :
بـ [اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣)]

الفصل الثاني

تحدثنا في الفصل الأول عن مكانة وقدر النبي ﷺ عند المسلمين وأهل الكتاب، والآن نتحدث عن زواج النبي ﷺ والذي هو مناط الحديث موضع الدراسة.
يقول سبحانه وتعالى في سورة الأحزاب آية ٢٨:

﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ
وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾

والآن مع قوله تعالى سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ

سنة الأنبياء السابقين مما ورد في التوراة:

الذين يعترضون على تعدد زواج الرسول ﷺ أكثر من غيرهم هم المستشرقون من اليهود والنصارى، ومن ثم كان علينا أن ننظر في أسفار التوراة الحالية لنرى ماذا ورد فيها عن كبار الأنبياء من بني إسرائيل في هذا الصدد.

تعدد زوجات سيدنا إبراهيم ﷺ:

كان لسيدنا إبراهيم ﷺ ثلاث زوجات حسبما ورد في التوراة والإنجيل:

١- السيدة **هاجر** (سفر التكوين: ١٦ / ٣) [فَأَخَذَتْ سَارَايُ امْرَأَةُ ابْرَامَ هَاجَرَ الْمِصْرِيَّةَ جَارِيَّتَهَا مِنْ بَعْدِ عَشْرِ سِنِينَ لِإِقَامَةِ ابْرَامَ فِي أَرْضِ كِنَعَانَ وَأَعْطَتْهَا لِابْرَامَ رَجُلَهَا زَوْجَةً لَهُ. فَدَخَلَ عَلَى هَاجَرَ فَحَبِلَتْ.] وهي أم سيدنا إسماعيل عليه السلام. [١٠ وَقَالَ لَهَا مَلَكُ الرَّبِّ: «تَكْثِيرًا أَكْثَرُ نَسْلِكَ فَلَا يُعَدُّ مِنَ الْكَثْرَةِ». ١١ وَقَالَ لَهَا مَلَكُ الرَّبِّ: «هَا أَنْتِ حُبْلَى فَتَلِدِينَ ابْنًا وَتَدْعِينَ اسْمَهُ إِسْمَاعِيلَ لِأَنَّ الرَّبَّ قَدْ سَمِعَ لِمَدَلَّتِكَ.] .

٢- السيدة **سارة** (تكوين: ١٧ / ١٥) [15 وَقَالَ اللَّهُ لِابْرَاهِيمَ: «سَارَايُ امْرَأَتُكَ لَا تَدْعُو اسْمَهَا سَارَايَ بَلْ اسْمُهَا سَارَةُ. ١٦ وَأُبَارِكُهَا وَأُعْطِيكَ أَيْضًا مِنْهَا ابْنًا. أُبَارِكُهَا فَتَكُونُ أُمًّا وَمُلُوكُ شُعُوبٍ مِنْهَا يَكُونُونَ».] .

وهي أم سيدنا إسحاق عليه السلام كما في تكوين ١٧ / ١٩. [١٩ فَقَالَ اللَّهُ بَلْ سَارَةُ امْرَأَتُكَ تِلْكَ لَكَ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحَاقَ. وَأَقِيمَ عَهْدِي مَعَهُ عَهْدًا أَبَدِيًّا لِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ.] .

٣- السيدة **قطورة** (تكوين: ٢٥ / ١) [1 وَعَادَ إِبْرَاهِيمُ فَأَخَذَ زَوْجَةً اسْمُهَا قَطُورَةُ ٢ فَوَلَدَتْ لَهُ زِمْرَانَ وَيَقْشَانَ وَمَدَانَ وَمِدْيَانَ وَيَشْبَاقَ وَشُوحًا.] وكان لها ستة بنين كما هو موضح في السفر.

تعدد زوجات سيدنا يعقوب عليه السلام:

كان له أربع زوجات (تك: ٢٩ / ٢٣ - ٢٩) وأسمأوهن كما يلي :

أ - **لَيْئَةَ** (تك: ٢٩ / ٢٣) [٢٢] فَجَمَعَ لَابَانُ جَمِيعَ أَهْلِ الْمَكَانِ وَصَنَعَ وَلِيمَةً. ٢٣ وَكَانَ فِي الْمَسَاءِ أَنَّهُ أَخَذَ لَيْئَةَ ابْنَتَهُ وَأَتَى بِهَا إِلَيْهِ فَدَخَلَ عَلَيْهَا.]

ولَيْئَةُ هي أم لِرَأُوبَيْنَ و «شَمْعُون» و «لَاوِي» و «يَهُوذَا» و «يَسَّآكَرَ» و «زَبُولُون». ثُمَّ وَلَدَتْ ابْنَةً وَدَعَتْ اسْمَهَا «دِينَة».]

ب - **رَاحِيلَ** : (تك ٢٩ / ٢٧ [٢٧] أَكْمَلَ أُسْبُوعَ هَذِهِ فَنَعَطِيكَ تِلْكَ أَيْضًا بِالْخِدْمَةِ الَّتِي تَخْدُمُنِي أَيْضًا سَبْعَ سِنِينَ أُخَرَ. ٢٨ فَفَعَلَ يَعْقُوبُ هَكَذَا. فَكَمَلَ أُسْبُوعَ هَذِهِ فَأَعْطَاهُ رَاحِيلَ ابْنَتَهُ زَوْجَةً لَهُ.] وهي أم ابنين وهما: «يُوسُفُ» وَبَنِيَامِينَ.

ج - **زَلْفَةَ** (تك ٣٠ / ٩ : [٩] وَلَمَّا رَأَتْ لَيْئَةُ أَنَّهَا تَوَقَّفَتْ عَنِ الْوِلَادَةِ أَخَذَتْ زَلْفَةَ جَارِيَتَهَا وَأَعْطَتْهَا لِيَعْقُوبَ زَوْجَةً] ولها ابنان: جَادُ وَأَشِيرُ.

د - **بِلْهَةَ** : وهي أم «دَانَا». و«نَفْتَالِي».

في تكوين ٢٣ / ٣٥ [٢٣] وَكَانَ بَنُو يَعْقُوبَ اثْنَيْ عَشَرَ: ٢٣ بَنُو لَيْئَةَ: رَأُوبَيْنُ بَكْرُ يَعْقُوبَ وَشَمْعُونُ وَلَاوِي وَيَهُوذَا وَيَسَّآكَرُ وَزَبُولُونُ. ٢٤ وَابْنَا رَاحِيلَ؛ يُونُسُ وَبَنِيَامِينَ. ٢٥ وَابْنَا بِلْهَةَ جَارِيَةَ رَاحِيلَ: دَانُ وَنَفْتَالِي. ٢٦ وَابْنَا زَلْفَةَ جَارِيَةَ لَيْئَةَ: جَادُ وَأَشِيرُ.]

تعدد زوجات سيدنا موسى عليه السلام:

تزوج سيدنا موسى عليه السلام بأربع نساء (كتاب الخروج: ٢ / ٣١) وأسمأوهن كما يلي:

١ - **صَفُورَةَ**: خروج ٢ / ٢١ [٢١] فَارْتَضَى مُوسَى أَنْ يَسْكُنَ مَعَ الرَّجُلِ فَأَعْطَى مُوسَى صَفُورَةَ ابْنَتَهُ.] وهي أم جَرَشُومَ وَ أَلِيْعَازَرُ.

ب - حبشية.

ج - بنت قَيْنِيَّ (قضاة ١ / ١٦).

د - بنت حُوبَابَ (قضاة ٤ / ١١).

تسع زوجات لسيدنا داود عليه السلام:

صموئيل ١ : ١٣ / ٥ [وَأَخَذَ دَاوُدُ أَيْضًا سَرَارِي وَنِسَاءً مِنْ أُورُشَلِيمَ بَعْدَ مَجِيئِهِ مِنْ حَبْرُونَ، فَوُلِدَ أَيْضًا لِدَاوُدَ بَنُونَ وَبَنَاتٌ. ٤ وَهَذِهِ أَسْمَاءُ الَّذِينَ وَلَدُوا لَهُ فِي أُورُشَلِيمَ: شَمُوعُ وَشُوبَابُ وَنَاتَانُ وَسَلِيمَانُ ٥ وَبِحَارُ وَالْيَشُوعُ وَنَافَاجُ وَيَافِيْعُ ٦ وَالْيَشْمَعُ وَالْيِدَاعُ وَالْيِفْلَاطُ.]

وقد ورد في كتاب صموئيل ١ ، ٢ ذكر تسع زوجات لسيدنا داود عليه السلام، وذلك على التفصيل الوارد فيهما. [مِزَبُ بنت شاول... وَأَمْرَأَتَاهُ أَخِينُوعُمُ الْيَزْرَعِيلِيَّةُ وَأَبِيْجَايِلُ امْرَأَةُ نَابَالِ الْكَرْمَلِيَّةُ. وَ مَعْكَةُ بِنْتُ تَلْمَايَ مَلِكِ جَشُورَ وَ حَجِّيْثُ، وَ أَبِيْطَالُ وَ عَجَلَّةُ وَ مِيكَالُ بِنْتُ شَاوُلَ وَ بَثْشَبَعُ بِنْتُ أَلِيْعَامَ امْرَأَةُ أُورِيَا الْحَثِّيَّ].

ألف امرأة لسيدنا سليمان عليه السلام:

كما في ملوك أول ١١: ٣ [وكان له سَبْعُ مِئَةِ زَوْجَةٍ مِنَ الْأَمِيرَاتِ وَثَلَاثُ مِائَةٍ جَارِيَةٍ، فَازَاغَتْ نِسَاؤُهُ قَلْبَهُ.]

مناقشة نصوص زواج الأنبياء مناقشة علمية

أولاً: رسول الله محمد ﷺ

حول تعدد الزوجات .

بوصفي مسلماً مؤمناً ومفكراً في الوقت ذاته، فإنني أشعر بالحنق سواء من غير المسلمين الذين يتجرعون بالتعليقات الوضيعة على عقيدتي ورسولي الذي أحبه وأجله، أو من جانب المسلمين الذين سمحوا لمحدودية أفق معرفتهم بإفساد دين عظيم وللأفاقين بأن يرموا نبيه بهتاناً. إن المسلمين بالتزامهم بتقاليد لا معنى لها يعافها العقل وتتجلى فيها المفارقات التاريخية قد حجبوا قوة الإسلام وجماله عن العيون، وحرموا أنفسهم والعالم من تذوق حلاوة رسالته.

إن المصطفى ﷺ لم يتزوج أمهات المؤمنين لأنه لم يستطع مغالبة شهوته، فقد تزوج وهو في الخامسة والعشرين من عمره بالسيدة خديجة التي كانت في الأربعين ويعمل لديها بالتجارة، إن زواج الرجل بامرأة مستقلة اقتصادياً وأكثر منه ثراءً وأوسع منه نفوذاً لا يوحى بأنه كان من ذلك الصنف من الناس المعتد بذكورته المتعصب لجنسه. لقد كان محمد رجلاً صاحب خلق عظيم وشرف رفيع ويحظى باحترام الجميع، وكان بوسعه أن يتزوج من شاء وما أراد من عدد، إذ كان بوسع الرجال في ذلك الوقت أن يتخذوا من الزوجات أي عدد أرادوا لأن ذلك كان علامة على تميز وضعهم وعلو مكانتهم، وفي زواجه ﷺ من السيدة خديجة الذي استمر خمسة وعشرين عاماً، خمسة عشر منها قبل البعثة وعشر بعدها، ظل وفيها محباً لها، وأعتقد أن فترة الأعوام الخمسة والعشرين هذه هي مقياس ومعياري التزام النبي ﷺ بفكرة الزوجة الواحدة، فهو لم يستجب لنداء غريزته في عنفوان شبابه وقت أن كان المجتمع يقبل بتعدد الزوجات واختار مع ذلك أن يكتفي بزوج واحدة شاذاً بذلك عن المجموع.

أما زواجه اللاحق بعد أن صار رئيس الدولة الإسلامية في المدينة فيجب أن يُنظر إليه في إطار سياسي أكثر منه في إطار عائلي ومنزلي، وإجمالاً فقد كانت جميع زيجات النبي بعد السيدة خديجة لها ظروفها الخاصة بوقت النبي ﷺ، والملاحظ أن زواجه ﷺ بعد السيدة خديجة رضي الله تعالى عنها كان مرتبطاً بالجهاد في سبيل الله، فلما انتهى الجهاد نزل قوله تعالى: ﴿لَا تَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ۝﴾

وإذا اختار المسلمون إهمال خمسة وعشرين عاما قضاها النبي ﷺ مع زوجة واحدة هي خديجة (رضي الله عنها)، واختاروا بدلا من ذلك اثني عشر عاما تعددت فيه زوجاته ﷺ كمرجع لقيم ومبادئ الإسلام، فإن ذلك يُشين المسلمين وينهض عليهم — لا على نبيهم — حُجة، إذا اختار المسلمون إهمال خمسة وعشرين عاما، وتذكروا اثني عشر عاما فقط، أيعقل هذا؟ لاحظ أن ما ذكر عن أن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها أنها كانت في السادسة عندما تزوجها النبي كان خطأ، وذلك فقا للمصادر الإسلامية فإن ثمة اختلافا بينا في الروايات عن عمر السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها عندما بني بها النبي ﷺ، وبالتحقيق العلمي كما سوف نري عند الحديث عن زوجاته الطاهرات المطهرات رضي الله تعالى عنهن، سوف نجد أن السيدة عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله تعالى عنها كانت بين الرابعة عشرة والحادية والعشرين عندما تزوجت النبي ﷺ.

لقد حان الوقت ليُطل المسلمون من جديد على مصادر دينهم بمنظور نقدي ويحذفوا منها الروايات الباطلة وتلك التي تتنافى وتتعارض مع قيم الرحمة والتسامح والعدل التي هي ركن ركين من أركان العقيدة الإسلامية.

يقول سبحانه وتعالى في سورة الأحزاب: ٥٠ — ٥٢

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتٍ عَمَّكَ وَبَنَاتٍ عَمَّتِكَ وَبَنَاتٍ خَالَكَ وَبَنَاتٍ خَلَّتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾

﴿٥١﴾ تَرْجَى مِنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُعْوَى إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءُ وَمَنْ أَبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَأَ عَنِهِنَّ وَلَا تَحْزَنْ وَيَرْضَيْنَ بِمَا ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥٢﴾ لَا تَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿٥٣﴾

ففي الآية يحل الله للنبي ﷺ أنواع النساء المذكورات فيها — ولو كن فوق الأربع — مما هو محرم على غيره، وهذه الأنواع هي: الأزواج اللواتي أمهرهن، وما ملكت يمينه إطلاقاً من الفيء، وبنات عمه وبنات عماته وبنات خاله وبنات خالاته ممن هاجرن معه دون غيرهن ممن لم يهاجرن — إكراماً للمهاجرات — وأيما امرأة وهبت نفسها للنبي ﷺ بلا مهر ولا ولي، إن أراد النبي نكاحها، وقد جعل الله هذه خصوصية للنبي ﷺ بما أنه ولي المؤمنين والمؤمنات جميعاً .

فأما الآخرون فهم خاضعون لما بينه الله وفرضه عليهم في أزواجهم وما ملكت أيماهم، ذلك كي لا يكون على النبي حرج في استبقاء أزواجه وفي الاستجابة للظروف الخاصة المحيطة بشخصه .

ثم ترك الخيار له ﷺ في أن يضم إلى عصمته من شاء ممن يعرضن أنفسهن عليه، أو يؤجل ذلك، ومن أرجأهن فله أن يعود إليهن حين يشاء . . وله أن يباشر من نسائه من يريد ويرجئ من يريد . ثم يعود . . ﴿ ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ تَقْرَءَ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾ . فهي مراعاة الظروف الخاصة المحيطة بشخص الرسول ﷺ والرغبات الموجهة إليه، والحرص على شرف الاتصال به، مما يعلمه الله ويدبره بعلمه وحلمه. ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾ .

ثم أنزل الله سبحانه وتعالى تحريم من عدا نسائه اللواتي في عصمته فعلاً، لا من ناحية العدد ولكن هن بذواتهن لا يستبدل بهن غيرهن؛ ولم يعرف أن رسول الله قد زاد عليهن قبل التحريم :

﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ ﴾ لا يستثنى من ذلك ﴿ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ﴾ . . فله منهن ما يشاء . . ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴾ . والأمر موكل إلى هذه الرقابة واستقرارها في القلوب .

ولكن الله عز وجل خص النبي ﷺ بشيء دون المؤمنين وهو أن أباح له ما عنده من الزوجات اللاتي تزوجهن، ولم يوجب عليه أن يطلقهن ولا أن يستبدل بهن من أزواج يبقين في ذمته، ولا يزيد عليهن، ولا يبدل واحدة بأخرى: ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ، إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ﴾ . (الأحزاب: ٥٢).

والسر في ذلك أن زوجات النبي ﷺ لهن مكانة خاصة، وحرمة متميزة فقد اعتبرهن القرآن ﴿ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ للمؤمنين جميعاً .

وقال تعالى في الأحزاب ٦: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ۝﴾ .

ومن فروع هذه الأمومة الروحية للمؤمنين أن الله حرم عليهم الزواج بعد رسول الله ﷺ فقال سبحانه وتعالى في الأحزاب ٥٢:

﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۚ

أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ۝﴾ .

ومعنى هذا أن التي طلقها النبي ﷺ ستظل محرومة طول حياتها من الزواج بغيره، مع حرمانها من الانتساب إلى بيت النبوة .

وهذا يعتبر عقوبة لها على ذنب لم تجنه يداها.

ثم لو تصورنا أنه أمر باختيار أربع من نسائه التسع، وتطبيق الباقي، لكان اختيار الأربع منهن لأمومة المؤمنين، وحرمت الخمس الأخريات من هذا الشرف، أمراً في غاية الصعوبة والحرص . فمن من هؤلاء الفضليات يحكم عليها بالإبعاد من الأسرة النبوية، ويسحب منها هذا الشرف الذي اكتسبته ؟.

لهذا اقتضت الحكمة الإلهية أن يبقين جميعاً زوجات له، خصوصية للرسول الكريم، واستثناء من القاعدة كما يقول سبحانه وتعالى في آل عمران : ٧٣

﴿إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝﴾ .

ثانياً: أنبياء الكتاب المقدس

لقد وضع بعض المفكرين والسياسيين مقاييس للعظمة والبطولة.. هذه المقاييس لم تتوفر في أحد من البشر إلا في نبي الله محمد ﷺ فهو بحق حاز كل صفات العظمة فلا يوجد على سطح الأرض من هو أعظم منه على الإطلاق .

نشر في أمريكا في الزمن الحاضر كتاب بعنوان " المائة " أو (الخالدون مائة) أو (القمم المائة) أو أعظم مائة في التاريخ.

وقد ألف هذا الكتاب الجديد من نوعه عالم الفلك والرياضيات والمؤرخ مايكل هارت لقد قام بالبحث في التاريخ عن الرجال الذين كان لهم أعظم تأثير على البشر وقد ذكر لنا في هذا الكتاب أكثر مائة رجل تأثيراً على البشرية منهم آزوس — أرسطو — بوذا — كونفوشيوس — هتلر — أفلاطون — زرادشت — وهو لا يعطينا علامات محددة عن المائة من ناحية تأثيرهم

على الناس ولكنه يقوم بتقييم درجة هذا التأثير ويصفهم بترتيب تفوقهم في هذا التأثير من رقم واحد وحتى رقم مائة وهو يوضح لنا أسبابه في ترتيب مرشحيه .

وأكثر شيء يدعو للدهشة في تصنيفته المنتقاة أنه وضع نبينا الكريم الرسول محمد ﷺ كرقم واحد أول المائة العظماء وهو بذلك يؤكد بدون علم أو قصد شهادة الله تعالى في آخر تنزيل له للعالم : " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ " (الأحزاب : ٢١)

أما عيسى ﷺ فلقد كان ترتيبه رقم ٣، وموسى ﷺ في المرتبة رقم ٤٠، وقد أسعد المسلمين بالطبع تصنيف مايكل هارت لرسول الله ﷺ أن جعله في المرتبة الأولى، ولكن هذا الاختيار صدم غير المسلمين وبخاصة اليهود والمسيحيين الذين اعتبروا ذلك إهانة.

أيعقل هذا؟ المسيح ﷺ في المرتبة الثالثة وموسى ﷺ في المرتبة الأربعين !!؟

وبالطبع فإن هذا بالنسبة إليهم شيء لا يمكن هضمه ولكن ماذا يقول مايكل هارت ؟.

دعونا نستمع لمناقشته : " حيث أنه يوجد تقريباً مسيحيين ضعف عدد المسلمين في العالم [تظهر آخر الإحصائيات أن عدد المسلمين في العالم ألف مليون مسلم وعدد المسيحيين في العالم ألف ومائتي مليون مسيحي] فإنه قد يبدو غريباً أن يكون تصنيف محمد ﷺ أعلى من المسيح عليه السلام .

وهناك سببان رئيسيان لهذا القرار :

أولاً لعب محمد ﷺ دوراً في ازدهار الإسلام يفوق في أهميته كثيراً ما قام به المسيح عليه السلام في ازدهار المسيحية . وعلى الرغم من أن عيسى عليه السلام كان مسئولاً عن الخلق الأساسي والمبادئ والسلوكيات الأخلاقية للمسيحية " طالما اختلفت هذه المبادئ عن اليهودية " فقد كان القديس بولس هو المطور الأصلي للاهوت المسيحي والناشر الرئيسي للمسيحية ومؤلف قسم كبير من العهد الجديد .

ومن ناحية أخرى نجد أن محمد ﷺ هو المسئول عن العقيدة الإسلامية بجانب خلقه الأساسي ومبادئه الأخلاقية .

بالإضافة إلى ذلك فإنه لعب الدور الرئيسي في الدعوة إلى الدين الجديد وفي تأسيس التطبيق الديني للإسلام.

يقول هارت: [إن اختياري لمحمد ﷺ ليأتي في المرتبة الأولى من قائمة أكثر أشخاص العالم تأثيراً في البشرية قد يدهش بعض القراء وقد يعترض عليه البعض ولكنه كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي حقق نجاحاً بارزاً على كل من المستوى الديني والدنيوي] .

والآن وبمنطق تلاميذ المدارس الابتدائية دعونا نمسك بكراريس سير الأنبياء ونصحح ونضع العلامات:

أولاً: زواج نبي الله داود ﷺ: لقد تزوج النبي محمد ﷺ كما رأينا وجمع تحته عددا من النساء جرياً على سنة الله ﷻ مع أنبيائه ورسله الكرام، تزوج من نساء حرائر وأمهرهن مهورهن.

ضع علامة من ١٠ من عندك، كم درجة يأخذها محمد ﷺ من ١٠، سوف أترك التقدير— تجاوزاً لك .

والآن نأخذ الموجود في سيرة نبي الله داود حيث نجده ﷺ — في زعم كاتب التوراة **قد زنا بزوجة أوريا الحثي** ولم يكتف بذلك بل أرسل زوجها أوريا الحثي إلى الحرب الشديدة وسلط عليه من يقتله من الخلف لكي يستأثر هو بزوجته بتشابُع بنت أليعام والتي اتخذها زوجة له بعد ذلك وهي أم النبي سليمان ﷺ.

وهذه الأمور مثبتة في سفر صموئيل الثاني ١١: ١ — ١٨ { ولَمَّا جَاءَ الرَّبُّعُ، وَهُوَ وَقْتُ خُرُوجِ الْمُلُوكِ إِلَى الْحَرْبِ، أَرْسَلَ دَاوُدُ يُوَابَ وَالْقَادَةَ مَعَهُ عَلَى رَأْسِ كُلِّ جَيْشِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسَحَقُوا بَنِي عَمُونَ وَحَاصَرُوا مَدِينَةَ رَبَّةَ. وَأَمَّا دَاوُدُ فَبَقِيَ فِي أُورُشَلِيمَ.

٢ وَعِنْدَ الْمَسَاءِ قَامَ دَاوُدُ عَنْ سَرِيرِهِ وَتَمَشَّى عَلَى سَطْحِ الْقَصْرِ، فَرَأَى عَلَى السَّطْحِ امْرَأَةً تَسْتَحِمُ وَكَانَتْ جَمِيلَةً جِداً. ٣ فَسَأَلَ عَنْهَا، فَقِيلَ لَهُ: «هَذِهِ بَنَشَابُعُ بِنْتُ أَلِيْعَامَ، زَوْجَةُ أَوْريَا الْحِثِّيِّ». ٤ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا رُسُلًا عَادُوا بِهَا وَكَانَتْ أَغْتَسَلَتْ وَتَطَهَّرَتْ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا وَنَامَ مَعَهَا، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا. ٥ وَحِينَ أَحْسَسَتْ أَنَّهَا حُبْلَى أَعْلَمَتْهُ بِذَلِكَ.

٦ فَأَرْسَلَ دَاوُدُ إِلَى يُوَابَ يَقُولُ: «أَرْسِلْ إِلَيَّ أَوْريَا الْحِثِّيِّ» فَأَرْسَلَهُ. ٧ فَلَمَّا جَاءَ سَأَلَهُ دَاوُدُ عَنْ سَلَامَةِ يُوَابَ وَالْجَيْشِ وَعَنِ الْحَرْبِ، ٨ ثُمَّ قَالَ لَهُ: «إِنْزِلْ إِلَى بَيْتِكَ وَاغْسِلْ رِجْلَيْكَ وَاسْتَرِحْ». فَخَرَجَ أَوْريَا مِنَ الْقَصْرِ وَتَبِعَتْهُ هَدِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ دَاوُدَ. ٩ فَنَامَ عَلَى بَابِ الْقَصْرِ مَعَ الْحَرَسِ وَلَمْ يَنْزِلْ إِلَى بَيْتِهِ. ١٠ فَلَمَّا قِيلَ لِدَاوُدَ: «أَوْريَا لَمْ يَنْزِلْ إِلَى بَيْتِهِ»، دَعَاهُ وَقَالَ لَهُ: «أَمَّا جِئْتَ مِنَ السَّعْرِ؟ فَمَا بِكَ لَا تَنْزِلُ إِلَى بَيْتِكَ؟» ١١ فَأَجَابَهُ أَوْريَا: «تَابَوْتُ الْعَهْدَ وَرِجَالُ إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا مُقِيمُونَ فِي الْخِيَامِ، وَيُوَابُ وَقَادَةُ سَيِّدِي الْمَلِكِ فِي الْبَرِّيَّةِ، فَكَيْفَ أَدْخُلُ بَيْتِي وَأَكُلُ وَأَشْرَبُ وَأَنَامُ مَعَ زَوْجَتِي؟ لَا وَحْيَانِكَ، لَا أَفْعَلُ هَذَا». ١٢ فَقَالَ لَهُ دَاوُدُ: «أَقُمْ هُنَا الْيَوْمَ، وَغَدًا أَصْرِفُكَ». فَبَقِيَ أَوْريَا ذَلِكَ الْيَوْمَ فِي أُورُشَلِيمَ، ١٣ وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ دَعَاهُ دَاوُدُ، فَأَكَلَ مَعَهُ وَشَرِبَ حَتَّى سَكِرَ. ثُمَّ خَرَجَ مَسَاءً، فَنَامَ حَيْثُ يَنَامُ الْحَرَسُ، وَلَمْ يَنْزِلْ إِلَى بَيْتِهِ.

١٤ فَلَمَّا طَلَعَ الصَّبَاحُ كَتَبَ دَاوُدُ إِلَى يُوَابَ مَكْتُوبًا وَأَرْسَلَهُ بِيَدِ أَوْريَا، ١٥ يَقُولُ فِيهِ: «وَجْهًا أَوْريَا إِلَى حَيْثُ يَكُونُ الْقِتَالُ شَدِيدًا، وَارْجِعُوا مِنْ وَرَائِهِ فَيَضْرِبُهُ الْعَدُوُّ وَيَمُوتُ». ١٦ وَكَانَ يُوَابُ يَحَاصِرُ الْمَدِينَةَ، فَعَيَّنَ لِأَوْريَا مَوْضِعًا عَلِمَ أَنَّ لِلْعَدُوِّ فِيهِ رِجَالًا أَشَدَّاءَ. ١٧ فَخَرَجَ رِجَالُ الْمَدِينَةِ وَحَارَبُوا يُوَابَ، فَسَقَطَ لِدَاوُدَ بَعْضُ الْقَادَةِ وَمِنْ بَيْنِهِمْ أَوْريَا الْحِثِّيُّ. ١٨ فَأَرْسَلَ يُوَابُ وَأَخْبَرَ دَاوُدَ بِكُلِّ مَا جَرَى فِي الْحَرْبِ. ١٩ وَقَالَ يُوَابُ لِلرَّسُولِ: «بَعْدَمَا تُخْبِرُ الْمَلِكَ بِكُلِّ مَا

جرى في الحرب، ٢٠ وإذا ثار غضبه وقال: لماذا دنوتم من سور المدينة لتحاربوا؟ أما تعلمون أن الذين فوق السور يرمونكم بالسهم؟ ٢١ من قتل أبيمالك بن يرويشث؟ أما هي امرأة في تاباص رمته بحجر طاحونة من فوق السور فقتل؟ فلماذا دنوتم من السور؟» إذا قال لك هذا الكلام أجبه: «عبدك أوريا الحثي أيضاً مات».

٢٢ فذهب الرسول إلى داود وأخبره بجميع ما أمره به يوبأب، ٢٣ وقال لداود: «قوي علينا الأعداء وخرجوا لقتالنا في البرية، فطاردناهم إلى باب المدينة، ٢٤ فرمنا العدو بالسهم من فوق السور، فمات البعض من قادة الملك، وقتل أيضاً عبدك أوريا الحثي». ٢٥ فقال له داود: «هذا ما تقول ليوبأب: «لا يحزنك ذلك، لأن السيف لا يرحم أحداً. تابع هجومي على المدينة ودمرها. قل له ذلك حتى يتشجع».

٢٦ وسمعت زوجة أوريا أن زوجها مات، فناحت عليه. ٢٧ ولما انتهت أيام مناحتها، أرسل داود وضمها إلى بيته، فكانت زوجة له وولدت له ابناً. {.

التعليق على القصة:

لقد زنى داود ببشابع بنت أليعام امرأة أوريا الحثي ولما علم داود بمقدم زوجها احتال عليه ليحمله يذهب إلى بيته حتى يضجع مع حليلته الخائنة فقال له: «أما جئت من السفر؟ فما بالك لا تنزل إلى بيتك؟»، ولكن الرجل خيب ظنه فلقد كان مخلصاً للملك وللوطن، فأجابه أوريا: «تابوت العهد ورجال إسرائيل ويهوذا مقيمون في الخيام، ويوبأب وقادة سيدي الملك في البرية، فكيف أدخل بيتي وأكل وأشرب وأنام مع زوجتي؟ لا وحياتك، لا أفعل هذا».

تري ماذا كانت مكافأة الملك لهذا الجندي المخلص؟.

فلما طلع الصباح كتب داود إلى يوبأب مكتوباً وأرسله بيد أوريا، ١٥ يقول فيه: «وجهوا أوريا إلى حيث يكون القتال شديداً، وأرجعوا من ورائه فيضربه العدو ويموت».

والآن ضع علامة من ١٠ من عندك ولسوف أترك التقدير لك، والسؤال الآن هو: كم درجة يأخذها داود عليه السلام من ١٠، ضع علامة من عندك، وكم درجة يأخذها محمد ﷺ من ١٠.

ثانياً: بالنسبة لأخبار نبي الله سليمان نجل نبي الله داود عمد كاتب التوراة إلى تشويه سيرته العطرة تشويها لا يليق بصعلوك من الصعاليك فما بالك بنبي مرسل من الله العلي القدير، فلقد عمد كاتب التوراة إلى جعله متهماً وطعناً في دينه وخلقه ودينه ففي سيرته المذكورة بسفر الملوك الأول ١١: ١- ١٢ نجده عليه السلام قد ارتقى في أحضان نسوة وثنيات، وكان الرب قد نهاه عنهن إلا أنهن استطعن أن يملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب وعبد العترة عشتروت إلهة الصيدونيين وعمل الشر في عيني الرب كما أنه كان متزوجاً من سبع

مائة من النساء وثلاث مائة من السراري ومع كل ذلك أوصاه الرب أن لا يتبع آلهة أخرى إلا أنه لم يحفظ ما أوصى به الرب:

﴿ وأحب الملك سليمان فضلاً عن ابنة فرعون نساء غريبات من الموابيين والعمونيين والأدوميين والصيّدونيين والحثيين^٢ ومن الأمم التي عناها الرب في قوله لبني إسرائيل: «لا تختلطوا بهم، ولا يختلطوا بكم. فهم يميلون بقلوبكم إلى آلهتهم». فتعلق بهن سليمان حُباً. وكان له سبع مئة زوجة من الأميرات وثلاث مائة جارية، فأزغت نساؤه قلبه. وفي زمن شيخوخته مالت زوجاته بقلبه إلى آلهة غريبة، فلم يكن قلبه مخلصاً للرب إله كما كان قلب أبيه داود. وتبع سليمان عشتروت إلهة الصيّدونيين وملكوم إله بني عمون. وفعل الشر أمام عيني الرب ولم يتبع الرب بكل قلبه مثل داود أبيه. وبنى في الجبل الذي قبالة أورشليم معبداً لكموش إله مواب، ولمولك إله بني عمون. وكذلك بنى معابد لآلهة جميع نساؤه الغريبات حتى يحرقن البخور ويقدمن الذبائح لها.﴾

التعليق على القصة:

يكفي أن القول بأنه كان له سبع مئة زوجة من الأميرات وثلاث مائة جارية، فأزغت نساؤه قلبه ، وليس هذا فحسب ولكنه تبع عشتروت إلهة الصيّدونيين وملكوم إله بني عمون. وفعل الشر أمام عيني الرب ولم يتبع الرب بكل قلبه مثل داود أبيه.

والآن ضع علامة من ١٠ من عندك ولسوف أترك التقدير لك، والسؤال الآن هو: كم درجة يأخذها سليمان عليه السلام من ١٠، ضع علامة من عندك ، وكم درجة يأخذها محمد ﷺ من ١٠.

ثالثاً: فماذا عن نبي الله هوشع؟ إن الزنا في شرعه فضيلة وكان يتعين عليه أن يبدأ بنفسه وليتخذ لنفسه امرأة زانية ولينجب منها أولاد زنى، وذلك بأمر من الله العليّ القدير: ففي سفر هوشع ١: ٣-٢ ﴿لَمَّا بَدَأَ الرَّبُّ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانِ هُوشَعَ، قَالَ الرَّبُّ لِهُوشَعَ: «خُذْ لَكَ امْرَأَةً زَنَى، وَلِيَكُنْ لَكَ مِنْهَا أَوْلَادُ زَنَى. لِأَنَّ أَهْلَ الْأَرْضِ كُلَّهُمْ يَزْنُونَ فِي الْخَفِيَةِ عَنِّي أَنَا الرَّبُّ».﴾^٣ فذهب وأخذ جומר بنت ديبلايم، فحبّلت وولدت له ابناً. { .

التعليق على القصة:

لقد أمره الرب القدير بأن يتزوج من زانية ويستولدها أولاد زنى، لماذا ؟ لأن الرب القدير قد غضب على من يرتكب جريمة الزنا في الخفاء وليس في العلن، إن الرب القدير يشجع على الفاحشة ويريد من الزناة أن يمارسوا الزنا علانية أمام الكل وليس في الخفاء، الأمر الذي يجعل المرء يقف أمام أفلام الجنس التي تصدر عن هوليوود وقفة خشوع لأنهم يتيحون الفرصة لمن فاتته رؤية مشهداً جنسياً يؤدي في الطريق العام كما هو الحال في جميع دول أوربا فتراهم ينتجون ويروجون لأفلام جنسية ويمنحون أبطالها جوائز الأوسكار نظراً لأدائهم

مهمتهم المقدسة كما يأمرهم بذلك كتابهم المقدس إذ أن ارتكاب الزنا خلف الأسوار وداخل حجرات مغلقة مخالفة ربانية ويتعين عليهم فعلها في العلن وليس في السر وهو ما لا يرضى عنه الرب.

والآن ضع علامة من ١٠ من عندك و لسوف أترك التقدير لك، والسؤال الآن هو: كم درجة يأخذها هوشع عليه السلام من ١٠، ضع علامة من عندك ، وكم درجة يأخذها محمد عليه السلام من ١٠.

رابعاً: وماذا عن زنا المحارم والموجود بكثرة في الكتاب المقدس فهل يعقل أن يتزوج أبو الأنبياء إبراهيم الخليل من أخته ؟ وهل يعقل أن يتزوج نبي الله لوط بابنتيه الكبرى والصغرى وذلك بعد زناه بهما ؟ وهل يعقل أن يزني أمنون بن داود بأخته تamar ؟ وهل يعقل أن يزني رأوبين بن يعقوب بزوجة أبيه بلهه ؟ وهل يعقل أن يزني يهوذا بن يعقوب بثمار زوجة ابنه البكر عير ؟ .

أـ يحدثنا سفر التكوين عن لسان أبي الأنبياء عليه الصلاة والسلام وهو يقول عن زوجته سارة {أنها بالحقيقة هي أختي ابنة أبي لا ابنة أمي}.

جاء بسفر التكوين ٢٠: ١٢ { ١٢ وبالحقيقة هي أختي ابنة أبي لا ابنة أمي، فصارت امرأة لي. ١٣ فلما شرّدتني الله من بيت أبي قلت لها: تحسّنين إليّ إن قلت عني حينما ذهبنا: هو أخي. }.

التعليق على القصة:

إذا كانت السيدة سارة هي أخته ابنة أبيه لا ابنة أمه فلا لايحق له أن يتزوجها ولا أن يكشف عورتها لأن هذا يتعارض مع شريعة اليهود والتي فيها { وعورة أختك ابنة أبيك أو ابنة أمك المولودة في البيت أو في خارجه لا تكشفها. } . كما هو في سفر اللاويين ، ومن المهم جداً مطالعة هذا السفر لأنه يحدد بتفصيل متناه جدا مفهوم العورة عند بني إسرائيل.

سفر اللاويين ١٨: ٦ — ١٧ { ٦ «لا يقرب أحدٌ إلى قريبه في الرَّحِمِ لكشف عورته. أنا الربُّ. ٧ لا تكشف عورة أهلك بكشف عورة أمك. فهي أمك، لا تكشف عورتها. ٨ وعورة زوجة أهلك لا تكشفها، فهي عورة أهلك. ٩ وعورة أختك ابنة أبيك أو ابنة أمك المولودة في البيت أو في خارجه لا تكشفها. }.

والآن ضع علامة من ١٠ من عندك و لسوف أترك التقدير لك، والسؤال الآن هو: كم درجة يأخذها إبراهيم عليه السلام من ١٠، ضع علامة من عندك ، وكم درجة يأخذها محمد عليه السلام من ١٠.

ب — لقد جعل كاتب التوراة نبي الله لوط يستولد ابنتيه الموابيين والعمونيين، فلقد زنى بابنته الكبرى أولاً ثم بابنته الصغرى ثانية بعد ما شرب الخمر وهذا الكلام موجود في سفر التكوين

١٩: ٣٠ } ٣٠ وخاف لوط أن يسكن في صوغر، فصعد إلى الجبل وأقام بالمغارة هو وابنتاه. ٣١ فقالت الكبرى للصغرى: «شاخ أبونا وما في الأرض رجل يتزوجنا على عادة أهل الأرض كلهم. ٣٢ تعالي نسقي أبانا خمراً ونضاجعه ونقيم من أبينا نسلًا». ٣٣ فسقتا أباهما خمراً تلك الليلة، وجاءت الكبرى وضاجعت أباهما وهو لا يعلم بنيامها ولا قيامها. ٣٤ وفي الغد قالت الكبرى للصغرى: «ضاجعت البارحة أبي، فلنسقه خمراً الليلة أيضاً، وضاجعيه أنت لنقيم من أبينا نسلًا». ٣٥ فسقتا أباهما خمراً تلك الليلة أيضاً، وقامت الصغرى وضاجعته وهو لا يعلم بنيامها ولا قيامها. ٣٦ فحملت ابنتا لوط من أبيهما. ٣٧ فولدت الكبرى ابناً وسمته مؤب، وهو أبو المؤابيين إلى اليوم. ٣٨ والصغرى أيضاً ولدت ابناً وسمته بن عمي، وهو أبو بني عمون إلى اليوم. {.

التعليق على القصة:

— إن بنات لوط كن متزوجات كما هو وارد في سفر التكوين ١٩: ١٤ } ١٤ اخرج لوط وكلّم أصهاره الأخذين بناته وقال: قوماً أخرجوا من هنا، لأنّ الرب سيهلك المدينة». فكان كمن يمزح في نظر صهره. { ، والغريب ألا تذكر التوراة إن إحداهن لم تصدق أباهما وتحاول الهرب معه ، وتكتفي بذكر أن اللتان هربتا معه كانتا عذراوتين .

أما فيما يختص بواقعة السكر والزنا، فإننا نقول إن هذه الحادثة لم يُسمع بمثلاها في الأراذل الذين يكونون مخمورين في أكثر الأوقات لأنهم يميزون في حال الخمر بين بناتهم والأجنبيات.

— إن ما جاء في تثنية ٣: ٢٣ } ٤ ولا يدخل عموني ولا مؤابي ولا أحد من نسله في جماعة المؤمنين بالرّب، ولو في الجيل العاشر وإلى الأبد { ، والمقصود بالجيل العاشر كما هو مشروح في النص هنا إلى الأبد لم يقترن بسبب أنهم أبناء زنى ، وإن كان هذا أولى بطردهم من جماعة الرب لقوله في تثنية { ٢٣ : ٣ } ، نعم كان هذا أولى بطرد العمونيين والمؤابيين من جماعة الرب ، ولكن طردهم كان بسبب أنهم لم لاقوا بني إسرائيل بالماء والخبز عند خروجهم من مصر كما هو واضح في سفر التثنية ٢٣: ٢ — ٧ } ٢ لا يدخل مروض الخصيتين ولا مقطوع العضو التناسلي جماعة المؤمنين بالرّب. ٣ ولا يدخل ابن زنى، ولا أحد من نسله، في جماعة المؤمنين بالرّب، ولو في الجيل العاشر. ٤ ولا يدخل عموني ولا مؤابي ولا أحد من نسله في جماعة المؤمنين بالرّب، ولو في الجيل العاشر وإلى الأبد ٥ لأنهم لم يستقبلوكم بالخبز والماء في الطريق عند خروجكم من مصر، ولأنهم استأجروا عليكم لبعام، بعور من مدينة فتور في آرام التي بين النهرين ليلعنكم. ٦ فأبى الرب الهكم أن يسمع لبعام، فحوّل لكم الرب الهكم اللعنة بركة لأنه أحبكم. ٧ لا تسالموهم ولا تطلبوا الخير لهم طول أيامكم أبداً. {.

وعلى الرغم مما ورد في هذا التشريع فإننا نجد أن "راعوث" كانت موابية ومع ذلك كان من ذريتها داود الذي كان من ذريته كل ملوك يهوذا حتى السبي البابلي والذي قال عنه الرب في صموئيل الثاني ٧: ١٦ } ١٦ بل يكون بيتك وملوكك ثابتين على الدوام أمام وجهي، وعرشك يكون راسخا إلى الأبد». ١٧ فكلّم ناثان داود بجميع هذا الكلام وهذه الرؤيا كلها. }

ثم سليمان الذي قال عنه الرب في صموئيل الثاني ٧: ١٤ } ١٤ أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً، وإذا فعل الشرّ أودبته بعضاً كالتي يستخدمها الناس وبها يضربون. ١٥ وأما رحمتي فلا أنزعها عنه كما نزعته عن شاول الذي أزلته من أمام وجهك، ، ولا يمكن أن من شرفه الله بهذا المديح أن يكون من سلالة زنا .

كما أن سليمان قد تزوج من **نعمة العمونية** وأنجب منها رحبام كما هو وارد في الملوك الأول ١٤ : ٢١ } ٢١ وكان **رحبام بن سليمان** ابن إحدى وأربعين سنة حين ملك في يهوذا، وملك سبع عشرة سنة بأورشليم المدينة التي اختارها الرب من جميع مدن إسرائيل ليجعل اسمه هناك. وأسم أمه **نعمّة العمونية**. }

والآن ضع علامة من ١٠ من عندك و لسوف أترك التقدير لك، والسؤال الآن هو: كم درجة يأخذها لوط عليه السلام من ١٠، ضع علامة من عندك ، وكم درجة يأخذها محمد ﷺ من ١٠.

ج — فماذا عن زنا الأخ بأخته ؟ كما هو وارد في سفر اللاويين ١٨ : ٩ } **وعورة أختك ابنة أهلك أو ابنة أمك المولودة في البيت أو في خارجه لا تكشفها.** } هذه هي تعاليم التوراة ومع ذلك فلقد جعل كاتب التوراة (أمنون) بن داود عليه السلام يعشق أخته (تامار) ويحتال عليها ويخلو بها ثم يضطجع معها، والأهم من ذلك كله أن الذي أشار عليه بذلك هو يوناداب الرجل الصالح الحكيم: سفر صموئيل الثاني ١٣ : ١-١٤ } وكان لأبشالوم بن داود أخت جميلة اسمها تامار، فأحبها أمنون بن داود. ٢ وبلغ به الحب حد المرض، وكان متألها صعباً لأنها كانت عذراء. ٣ وكان لأمنون صاحب اسمه يوناداب بن شمعى أخي داود، وكان يوناداب رجلاً ذكياً جداً. ٤ فقال له: «مالي أراك يا ابن الملك تتغم يوماً فيوماً، ألا تخبرني؟» فقال له أمنون: «أحب تامار أخت أبشالوم». ٥ فقال يوناداب: «نم على سريرك وتمارض، فإذا جاء أبوك ليزورك فقل له: «لتجئ تامار أختي وتطعمني وتهيي الطعام أمام عيني فمن يدها وحدها أكل». ٦ فنام أمنون وتمارض، فجاء الملك يزوره، فقال له أمنون: «لتجئ تامار أختي وتعمل أمامي كعكتين وأكل من يدها». ٧ فأرسل داود يقول لتامار في القصر: «إذهبي إلى بيت أمنون أهلك وأعملي له طعاماً». ٨ فذهبت إليه وهو مستلق، فأخذت دقيقاً وعجنت وعملت كعكاً أمامه وقتلته. ٩ وأخذت المقلاة وسكبت أمامه، فرفض أن يأكل وقال لمن حوله: «أخرجوا كلكم من عندي». فخرجوا جميعاً. ١٠ فقال أمنون لتامار: «أدخلي الطعام إلى غرفتي فأكل من يديك».

فَأَخَذَتْ تَامَارُ الكَعَكَ وجاءت به إلى أُمْنُونِ أَخِيهَا فِي غُرْفَتِهِ. ١١ وَقَدَّمَتْ لَهُ لِيَأْكُلَ فَأَمْسَكَهَا وَقَالَ: «تَعَالِي نَامِي مَعِي يَا أُخْتِي». ١٢ فَقَالَتْ لَهُ: «لَا تُغْصِبْنِي يَا أَخِي. هَذِهِ فَاحِشَةٌ لَا يَفْعَلُهَا أَبْنَاءُ إِسْرَائِيلَ، فَلَا تَفْعَلْهَا أَنْتَ. ١٣ فَأَنَا أَيْنَ أَذْهَبُ بَعَارِي؟ وَأَنْتَ، أَلَا تَكُونُ كَوَاحِدٍ مِنَ السُّفَهَاءِ فِي إِسْرَائِيلَ، فَكَلَّمَ الْمَلِكَ، فَهُوَ لَا يَمْنَعُنِي عَنْكَ». ١٤ اِفْرَضَ أَنْ يَسْمَعَ لِكَلَامِهَا، وَهَجَمَ عَلَيْهَا وَاعْتَصَبَهَا. ١٥ ثُمَّ أَبْغَضَهَا أُمْنُونُ بُغْضًا أَشَدَّ مِنَ الْحُبِّ الَّذِي أَحَبَّهَا إِيَّاهُ، وَقَالَ لَهَا: «قَوْمِي أَنْصِرْفِي». ١٦ فَقَالَتْ لَهُ: «لِمَاذَا تَطْرُدُنِي؟ هَذَا شَرٌّ أَعْظَمُ مِمَّا فَعَلْتَهُ بِي». اِفْرَضَ أَنْ يَسْمَعَ لَهَا ١٧ وَدَعَا خَادِمَتَهُ وَقَالَ لَهُ: «أَخْرِجْ هَذِهِ عَنِّي وَأَغْلِقِ الْبَابَ وَرَاءَهَا». ١٨ وَكَانَ عَلَيْهَا ثَوْبُ مُوشَى، لِأَنَّ بَنَاتِ الْمَلِكِ الْعَذَارَى كُنَّ يَلْبَسْنَ مِثْلَهُ. فَأَخْرَجَهَا الْخَادِمُ وَأَغْلَقَ الْبَابَ وَرَاءَهَا. ١٩ اِفْذَرَّتْ تَامَارُ رِمَادًا عَلَى رَأْسِهَا، وَمَزَقَتْ ثَوْبَهَا الْمَوْشَى وَغَطَّتْ وَجْهَهَا بِيَدَيْهَا وَرَاحَتْ تَبْكِي عَالِيًا. {.

التعليق على القصة:

والآن ضع علامة من ١٠ من عندك و لسوف أترك التقدير لك، والسؤال الآن هو: كم درجة يأخذها أُمْنُونُ من ١٠، ضع علامة من عندك ، وكم درجة يأخذها محمد ﷺ من ١٠.

د — فماذا عن زنا الرجل بزوجة أبيه أليست هي أمه ؟ و العجيب أن رَأُوبِينُ بن يعقوب البكر قد زنى بِبِلْهَةَ زوجة أبيه وأم أخويه دان ونفتالي وشاع الخبر حتى علمه يعقوب فماذا فعل عليه السلام ؟ عليك بقراءة سفر التكوين ٣٥: ٢٢ وقبل عرضنا لما هو موجود بالسفر دعنا نذكر بما هو مكتوب في سفر اللاويين ١٨ — ٨ { ٧ لا تَكْشِفْ عَوْرَةَ أَبْنِكَ بِكَشْفِ عَوْرَةِ أُمِّكَ. فَهِيَ أُمُّكَ، لَا تَكْشِفْ عَوْرَتَهَا. ٨ عَوْرَةُ زَوْجَةِ أَبْنِكَ لَا تَكْشِفُهَا، فَهِيَ عَوْرَةُ أَبْنِكَ. }.

سفر التكوين ٣٥: ٢٢ { ٢٠ وَنَصَبَ يَعْقُوبُ عَمُودًا عَلَى قَبْرِهَا، وَهُوَ عَمُودُ قَبْرِ رَاحِيلَ إِلَى الْيَوْمِ. ٢١ ثُمَّ رَحَلَ يَعْقُوبُ مِنْ هُنَاكَ وَنَصَبَ خِيْمَتَهُ عَلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ مِنْ مَجْدَلِ عِذْرٍ. ٢٢ وَبَيْنَمَا هُوَ سَاكِنٌ فِي تِلْكَ الْأَرْضِ ذَهَبَ رَأُوبِينُ فَضَاجِعَ بِلْهَةَ، مَحْظِيَّةً أَبِيهِ، فَسَمِعَ بِذَلِكَ يَعْقُوبُ. }

التعليق على القصة

والآن ضع علامة من ١٠ من عندك و لسوف أترك التقدير لك، والسؤال الآن هو: كم درجة يأخذها رَأُوبِينُ من ١٠، ضع علامة من عندك ، وكم درجة يأخذها محمد ﷺ من ١٠.

ه — فماذا عن الزنا بالكنة أو زنا الرجل بزوجة ابنه ؟ لقد جعل كاتب التوراة يهوذا بن يعقوب يستولد ثمار زوجة ابنه البكر ولديها (فارص) و (زارح) فلقد جاء في سفر كما هو وارد بسفر التكوين ٣٨: ٦ — ٣٠ مخالفًا بذلك ما جاء بسفر اللاويين ١٨: ١٥ { ٥ عَوْرَةُ كَنَنِكَ لَا تَكْشِفُهَا، فَهِيَ زَوْجَةُ ابْنِكَ. ٦ وَلَا تَكْشِفْ عَوْرَةَ زَوْجَةِ أَخِيكَ، فَهِيَ عَوْرَةُ أَخِيكَ. }.

وإليك القصة بتمامها مشفوعة بالتعليق

سفر التكوين ٣٨: ٦-٣٠ } وفي ذلك الوقت فارق يهوذا إخوته وذهب إلى رجل عدلامي اسمه حيرة. ٢ ورأى يهوذا هناك بنت رجل كنعاني اسمه شوع، فأخذها ودخل عليها ٣ فحبلت وولدت ابناً فسماه عيرا. ٤ وحبلت أيضاً وولدت ابناً فسمته أونان. ٥ وعادت فولدت ابناً وسمته شيلة. وكان في كزيب حين ولدته. ٦ وأخذ يهوذا زوجة لغير ابنه البكر، اسمها تامار. ٧ وكان عير هذا شريراً في نظر الرب، فأماته الرب. ٨ فقال يهوذا لأونان: «أدخل على امرأة أخيك فتزوجها وأقم نسلاً لأخيك». ٩ وعلم أونان أن النسل لا يكون له، فكان إذا دخل على امرأة أخيه أفرغ منيه على الأرض لئلا يجعل نسلاً لأخيه. ١٠ فاستاء الرب بما فعله أونان، فأماته أيضاً. ١١ فقال يهوذا لتامار كنته: «بما أنك أرملة أقيمي في بيت أبيك حتى يكبر شيلة ابني». قال هذا مخافة أن يموت شيلة أيضاً كأخويه. فذهبت تامار وأقامت في بيت أبيها. ١٢ ولمّا طالت المدة وماتت ابنة شوع، امرأة يهوذا، صعد يهوذا بعد أيام العزاء إلى حيث كان غنمه يجرّ في تمنة، هو وصاحبه حيرة العدلامي. ١٣ وقيل لتامار: «ها حموك صاعد إلى تمنة لجز غنمه». ١٤ فخلعت ثياب ترمّلها، وتغطت بالذرفع واستترت وجلست في مدخل عينايم، على طريق تمنة. فعلت ذلك لأنها رأت أن شيلة ابن يهوذا كبر ولم تزوج به. ١٥ فراها يهوذا فحسبها زانية لأنها كانت تغطي وجهها. ١٦ فمال إليها في الطريق وقال لها: «تعالى أدخل عليك» وكان لا يعلم أنها كنته. فقالت: «ماذا تعطيني حتى تدخل علي؟» ١٧ قال: «أرسل لك جدياً من الماشية». قالت: «أعطني رهناً إلى أن ترسله». ١٨ قال: «ما الرهن الذي أعطيك؟» قالت: «خاتمك وعمامتك وعصاك التي بيدك». فأعطاهما ودخل عليها، فحبلت منه. ١٩ ثم قامت، فذهبت إلى بيتها وخلعت برقعها ولبست ثياب ترمّلها. ٢٠ وأرسل يهوذا جدياً مع صاحبه العدلامي ليفك الرهن من يد المرأة فلم يجدها. ٢١ فسأل المقيمين هناك: «أين البغي التي كانت في عينايم على الطريق؟» قالوا: «ما كانت هنا بغي». ٢٢ فرجع إلى يهوذا وقال له: «لم أجدها، والمقيمون هناك أيضاً قالوا: ما كانت هنا بغي». ٢٣ فقال يهوذا: «لنحتفظ بما لي عندها لئلا نلحقنا المهانة كيف أرسلت أنا الجدي، وأنت لم تجدها». ٢٤ وبعد مرور نحو ثلاثة أشهر قيل ليهوذا: «زنت تامار كنتك، وها هي حبل من الزنى». فقال يهوذا: «أخرجوها وأحرقوها». ٢٥ وبينما هم يخرجونها أرسلت إلى يهوذا حميها تقول: «تحقق لمن هذا الخاتم والعمامة والعصا، فأنا حبل مني». ٢٦ فتحقّقها يهوذا وقال: «هي أصدق مني. كان علي أن أزوجه لشيلة ابني». ولم يعد أيضاً يضاجعها. ٢٧ ولمّا جاء وقت ولادتها كان في بطنها توأمين. ٢٨ وبينما هي تلد أخرج أحد التوأمين يده، فأمسكتها القابلة وعقدت عليها خيطاً قرمزياً وقالت: «هذا خرج أولاً». ٢٩ فلما رد يده خرج

أخوه فقالت: «لماذا قَطَعْتَ الخيط؟ عَلَيْكَ الْقَطِيعَةُ». فَسَمِّيَ فَارِصَ. ٣٠ ثُمَّ خَرَجَ أَخُوهُ وَعَلَى يَدِهِ خِيطُ الْقَرْمِزِ، فَسَمِّيَ زَارَحَ. {.

التعليق على القصة:

بناءً على الحادثة سالفة الذكر فإن داود عليه السلام لا يدخل في جماعة الرب فقد ورد في تثنية ٢٣: ٣ { ٣ ولا يدخل ابنُ زنى، ولا أحدٌ من نسله، في جماعة المؤمنين بالرب، ولو في الجيل العاشر. }.

ورغم أن داود عليه السلام هو الجيل العاشر ليهودا والتاسع لفارص ولا يجب أن يدخل في جماعة الرب ومع ذلك فقد دخل في جماعة الرب وهو من سلالة ابن زنا، والعجيب أن كاتب سفر إشعياء ذكر في الإصحاح ٧: ١٣، ١٤ بشارته الرب لأحاز فقال: { ١٣ أمّا إشعياء فقال: «إِسْمَعُوا يَا بَيْتَ دَاوُدَ! أَمَا كَفَاكُمْ أَنْ تُضْجِرُوا النَّاسَ حَتَّى تُضْجِرُوا إِلَهِي أَيْضًا؟ ١٤ وَلَكِنَّ السَّيِّدَ الرَّبَّ نَفْسَهُ يُعْطِيكُمْ هَذِهِ الْآيَةَ: هَا هِيَ الْعِذْرَاءُ تَحْبِلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ عِمَّاَنُئِيلَ. {.

والأكثر عجباً أننا نجد القديس متى يحاول جعل نسب السيد المسيح يتصل بداود حتى تتحقق هذه البشارة على السيدة مريم البتول ولتطبق على عيسى عليه السلام حيث يقول:

[٢٢ حَدَّثَ هَذَا كُلَّهُ لِيَتِمَّ مَا قَالَ الرَّبُّ بِلِسَانِ النَّبِيِّ — إشعياء — : ٢٣ "سَتَحْبِلُ الْعِذْرَاءُ، فَتَلِدُ ابْنًا يُدْعَى "عِمَّاَنُئِيلَ"، أَيِ اللَّهِ مَعَنَا].

وإليك النص بتمامه من انجيل متى ١: ١٨ — ٢٣:

{ ١٨ وَهَذِهِ سِيرَةُ مِيلَادِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ: كَانَتْ أُمُّهُ مَرْيَمُ مَخْطُوبَةً لِيُوسُفَ، فَتَبَيَّنَ قَبْلَ أَنْ تَسْكُنَ مَعَهُ أَنَّهَا حُبْلَى مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. ١٩ وَكَانَ يُوسُفُ رَجُلًا صَالِحًا فَمَا أَرَادَ أَنْ يَكْشِفَ أَمْرَهَا، فَعَزَمَ عَلَى أَنْ يَتْرُكَهَا سِرًّا. ٢٠ وَبَيْنَمَا هُوَ يَفْكُرُ فِي هَذَا الْأَمْرِ، ظَهَرَ لَهُ مَلَاكُ الرَّبِّ. فِي الْحُلُمِ وَقَالَ لَهُ: "يَا يُوسُفُ ابْنَ دَاوُدَ، لَا تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ امْرَأَةً لَكَ. فَهِيَ حُبْلَى مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، ٢١ وَسَتَلِدُ ابْنًا تُسَمِّيهِ يَسُوعَ، لِأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ". ٢٢ حَدَّثَ هَذَا كُلَّهُ لِيَتِمَّ مَا قَالَ الرَّبُّ بِلِسَانِ النَّبِيِّ: ٢٣ "سَتَحْبِلُ الْعِذْرَاءُ، فَتَلِدُ ابْنًا يُدْعَى "عِمَّاَنُئِيلَ"، أَيِ اللَّهِ مَعَنَا. {.

وبناءً على هذا النسب لا يدخل عيسى عليه السلام في جماعة الرب!!! ، المهم هو العلامات فحتى لا ننسى أن نضع العلامات أرجو، أرجو أن تضع علامة من ١٠ من عندك ولسوف أترك التقدير لك، والسؤال الآن هو: كم درجة يأخذها يهودا من ١٠، ضع علامة من عندك ، وكم درجة يأخذها محمد ﷺ من ١٠.

و— في سفر إشعياء ٨: ١—٤ نجد نبي الله إشعياء يزني بامرأة نبيّة وذلك بأمر من الرب القدير وأنها حبلى وولدت ابناً ولأنه، ابن سفاح سماه الرب القدير اسماً يتناسب مع الواقعة فلقد أسماه "مهير شلال حاش بز" وهو كلام عبري غير مترجم.

وإليك النص: { ١ وقال لي الرب خذ لنفسك لوحاً واكتب عليه بقلم إنسان لمهير شلال حاش بز. ٢ وأن أشهد نفسي شاهدين أمينين هما أوريا الكاهن وزكريّا بن بيرخيا. ٣ فاقتربت إليّ النبيّة فحبلت وولدت ابناً. فقال لي الرب: «ادعُ اسمه مهير شلال حاش بز». ٤ فقبل أن يعرف الصبي أن يُنادي يا أبي ويا أمي، تحملُ ثروة دمشق وغنائم السامرة قدام ملك آشور». **التعليق على القصة:**

إن الرب القدير أمر نبيه إشعياء أن يزني بامرأة نبيّة أي أن واقعة الزنا — نبي مع نبيّة — قد باركها الرب القدير وأنه طلب من نبيه المبجل أن يسمى ولد الزنا مهير شلال حاش بز والسؤال الآن لماذا لم يترجم كاتب السفر المعنى العبري لمهير شلال حاش بز وتركه كما هو؟ وماذا يعني مهير شلال حاش بز؟. و بالرجوع إلى النص الإنجليزي من نسخة الملك جيمس The Revised Version والمعتمدة عند كل الطوائف المسيحية تجده مكتوباً كالتالي (Mahershalalhashbaz) والسؤال الآن هل قارئ النص التوراتي باللغة الإنجليزية يفهم معنى Mahershalalhashbaz؟؟.

إن العدد ٣ ينص صراحة على اسمه: { ٣ فاقتربت إليّ النبيّة فحبلت وولدت ابناً. فقال لي الرب: «ادعُ اسمه مهير شلال حاش بز » } وإليك ترجمة النص من نسخة الملك جيمس: **And I went unto the prophetess, and she conceived, and bares a son. . Then said the Lord to me, call his name Mahershalalhashbaz.**

ولما كان شراح الكتاب المقدس ومترجموه يعرفون أن Mahershalalhashbaz أمرٌ بفعل وليس اسماً كما هو وارد بالنص لذلك تراهم قد أبقوا على النص العبري دون ترجمته، والسؤال الذي يطرح نفسه هو لماذا فعلوا ذلك؟ والإجابة ببساطة تنحصر في معنى الاسم المذكور في النص لأنه يشين الرب العلي القدير، وللخروج من هذا المأزق قام شراح الكتاب المقدس بالتعديل في النص أقل ما يقال فيه أنهم زادوا الإشكال تعقيداً فقالوا في النص الحديث طبعة ٢٠٠٣ { وقال لي الرب: «خذ لك لوحاً كبيراً واكتب فيه بحروف مقروءة أسرع إلى السلب، بادِرْ إلى النهب. ٢ ثم أحضر لي شاهدين أمينين هما أوريا الكاهن وزكريّا بن بيرخيا». ٣ ودنوت من امرأتي النبيّة، فحملت وولدت ابناً. فقال لي الرب: «سمّه: أسرع إلى السلب، بادِرْ إلى النهب. ٤ فقبل أن يعرف الصبي أن يُنادي يا أبي ويا أمي، تحملُ ثروة دمشق وغنائم السامرة إلى أمام ملك آشور». {.

والآن أرجو أن تضع علامة من ١٠ من عندك و لسوف أترك لك التقدير ، والسؤال هو: كم علامة يأخذها إشعياء من ١٠، ضع علامة من عندك ، وكم درجة يأخذها محمد ﷺ من ١٠. — لقد جعل كاتب سفر الملوك أول من أدونياً بن داود عاشقاً لزوجته أبيه أبيشج الشونمية وبعد موت أبيه توجه إلى أمه وأم سليمان، اتعرفون من هي إنها بتشبع بنت أليعام، زوجة

أورياً الحثي والتي زنا بها أبوه بعد أن رآها من فوق سطحه تستحم عارية فوقعت في نفسه ثم سلط على زوجها من يقتله وتزوج بها أتذكرون هذا؟ أم نسيتموه.

هذا ومن شابه أباه فما ظلم اقرأ القصة بالتفصيل:

١ ملوك ٢: ١٣ - ٢٥ } وجاء أدونيا بن حجيت إلى **بَتَشَبَعَ أُمِّ سُلَيْمَانَ**، فقالت له: «أخيراً جئت؟» أجاب: «لخير». ٤ ثم تابع: «لي إليك كلمة». قالت: «وما هي؟» ٥ فقال: «أنت تعلمين أن الملك كان لي، وأن جميع بني إسرائيل انتظروا أن أصير ملكاً، فتحول الملك لأخي بأمر من الرب. ١٦ والآن لي طلب واحد منك، فلا تردّيه». قالت له: «وما هو؟» ١٧ فقال: «كلمي سليمان الملك أن يعطيني أبيضج الشونمية زوجة، فهو لا يرُدُّ طلباً لك»، ١٨ فقالت له: «حسن، سأكلّم الملك». ١٩ ودخلت بتشبع على الملك سليمان لتكلمه في أمر أدونيا، فقام لاستقبالها وأنحنى لها، ثم جلس على عرشه ووضع عرشاً لها فجلست عن يمينه ٢٠ فقالت: «جئت أطلب منك طلباً». ٢١ قالت: «ليتك تُعطي أبيضج الشونمية زوجة لأدونيا أخيك». ٢٢ فأجابها: «ما بالك تطلبين لأدونيا أبيضج الشونمية؟ لماذا لا تطلبين له الملك أيضاً؟ أما هو أخي الأكبر مني؟ له ولأبيئنا الكاهن ويوآب ابن صروية». ٢٣ وحلف الملك سليمان بالرب وقال: «عاقبني الله إذا لم يكلف هذا الكلام أدونيا حياته». ٢٤ حيّ هو الرب الذي تثبتي وأجلسني على عرش داود أبي، وبنى لي بيتاً ملكاً كما قال، سيقتل أدونيا في هذا اليوم». ٢٥ وأرسل بنياي بن يوياداع، فبطش به فمات. {.

التعليق على القصة:

لا تعليق فقط أرجو أن تضع علامة من ١٠ من عندك و لسوف أترك لك التقدير ، والسؤال هو: كم علامة يأخذها أدونيا من ١٠، ضع علامة من عندك ، وكم درجة يأخذها محمد ﷺ من ١٠.

ح - وماذا عن أبشالوم بن داود الذي ضاجع عشرة من نساء أبيه بأمر من الرب القدير ؟ فلقد أمره الرب بأن ينصب خيمة على السطح ويدخل على نساء أبيه في العلن وعلى مشهد من بني إسرائيل صموئيل ثان ١٦: ٢٢ } ٢٠ وقال أبشالوم لأخيتوفل: «ما رأيكم؟ ماذا نفعل؟» ٢١ فقال له أخيتوفل: «أدخل على جوارى أهلك اللواتي تركهنّ للعناية بالقصر، فيسمع بنو إسرائيل جميعهم أنك صرت مكروهاً من أهلك، فتقوى عزيمة جميع الذين معك». ٢٢ **فَنُصِبَتْ لأبشالوم خيمة على السطح ودخل على جوارى أبيه، على مشهد من بني إسرائيل.** ٢٣ وكانت نصيحة أخيتوفل في تلك الأيام **كما لو كانت من عند الله.** هكذا كانت لداود، كما كانت لأبشالوم. {.

التعليق على القصة:

لا تعليق فقط أرجو أن تضع علامة من ١٠ من عندك و لسوف أترك لك التقدير ، والسؤال هو: كم علامة يأخذها أبشالوم من ١٠، ضع علامة من عندك ، وكم درجة يأخذها محمد ﷺ من ١٠.

ط — **أغرب مهر في التاريخ** ورد في سفر صموئيل الثاني ٣: ١٤ فلقد كان داود متزوجا من ميكال ابنة شاول والتي طلقها منه وزوجها لفلطيينل بن لايش فأراد داود أن يستردها فذهب إلى إيشبوشث بن شاول وقد أغراه بمهر عجيب، أتعرفون ماذا كان مهر ميكال ؟ إنه مائة عضو ذكري تم بتره وتقديمة على صينية من فضة لميكال ابنة شاول ؟ والسؤال الذي يطرح نفسه هو، ماذا ستفعل ميكال بمائة عضو ذكري مبتورة ولا حياة فيها ؟ اقرأ بدون تعليق :

{ ١٢ وللحال أرسل أبنيرو رسلا إلى داود يقولون: «لِمَنِ الأرض؟ لِنَتَّقِ، فأساعدك على استرجاع جميع إسرائيل». ١٣ فأجاب داود: «حسن. اتَّقِ معك، ولكني أطلب منك أن تأتي بميكال ابنة شاول متى جئت لتراني». ١٤ وأرسل داود إلى إيشبوشث بن شاول يقول: «رد لي زوجتي ميكال التي أخذتها بمئة غلفة من الفلسطينيين». ١٥ فأرسل إيشبوشث واستردها من عند زوجها فلطيينل بن لايش. ١٦ فرافقها زوجها وهو يبكي إلى بحوريم فقال له أبنيرو: «ارجع»، فراجع.}. ولا تعليق....

نعم لا تعليق لنا على كل ما سبق ذكره إلا بما هو موجود بسفر التثنية ٢٧: ١٦ — ٢٦

{ ١٦ «ملعون» مَنْ يَسْتَخْفُ بِأَبِيهِ وَأُمِّهِ، فيقولُ جميعُ الشعبِ: «آمين». ١٧ «ملعون» مَنْ يَضُمُّ تَحْمَ جَارِهِ، فيقولُ جميعُ الشعبِ: «آمين». ١٨ «ملعون» مَنْ يُضِلُّ أَعْمَى عَنِ الطَّرِيقِ، فيقولُ جميعُ الشعبِ: «آمين». ١٩ «ملعون» مَنْ يُحَرِّفُ حُكْمَ غَرِيبٍ أَوْ يَتِيمٍ أَوْ أَرْمَلَةٍ، فيقولُ الشعبُ: «آمين». ٢٠ «ملعون» مَنْ يُضَاجِعُ زَوْجَةَ أَبِيهِ وَيَنْتَهِكُ حُرْمَةَ أَبِيهِ، فيقولُ الشعبُ: «آمين». ٢١ «ملعون» مَنْ يُضَاجِعُ بَهِيمَةً، فيقولُ جميعُ الشعبِ: «آمين». ٢٢ «ملعون» مَنْ يُضَاجِعُ أُخْتَهُ، ابْنَةَ أَبِيهِ أَوْ ابْنَةَ أُمِّهِ، فيقولُ جميعُ الشعبِ: «آمين». ٢٣ «ملعون» مَنْ يُضَاجِعُ حَمَاتَهُ، فيقولُ جميعُ الشعبِ: «آمين». ٢٤ «ملعون» مَنْ يَقْتُلُ أَحَدًا فِي الْخَفَاءِ، فيقولُ جميعُ الشعبِ: «آمين». ٢٥ «ملعون» مَنْ يَأْخُذُ رَشْوَةً لِيَقْتُلَ نَفْسًا بَرِيئَةً، فيقولُ جميعُ الشعبِ: «آمين». ٢٦ «ملعون» مَنْ لَا يَتَّبِعُ كَلِمَاتِ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ وَيَعْمَلُ بِهَا، فيقولُ جميعُ الشعبِ: «آمين».}.

و بناء على ما جاء في السفر أعلاه والذي في يقيني من الممكن أن يصح أن يُطلق عليه سفر اللعنات فإن جميع أنبياء العهد القديم كلهم ملاعين...

وصلى اللهم وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل الثاني

زوجاته الطاهرات المطهرات رضي الله تعالى عنهن

مَهَيِّدٌ

ليس في أزواجه ﷺ من دخلت بيته الشريف وفي حسابها أن تتفرد به ﷺ ، فقد كانت مسألة التعدد تبدو طبيعية إلى حد يسهل علينا تصويره، لو ذكرنا أن خولة بنت حكيم اقترحت على النبي ﷺ أن يخطب عائشة بنت أبي بكر الصديق ﷺ والسيدة سودة بنت زمعة في وقت واحد، وأن أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث هي التي عرضت أن يتزوجها النبي ﷺ وفي بيته ثماني زوجات، وأن عمر بن الخطاب ﷺ عرض ابنته حفصة على أبي بكر الصديق ﷺ وعنده أم رومان حماة النبي ﷺ .

ففي مسند أحمد باقي مسند الأنصار حديث رقم ٢٥٢٨٨:

حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ جَاءَتْ أُمَّ حَبِيبَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ لَكَ فِي أُخْتِي قَالَ فَأَصْنَعُ بِهَا مَاذَا قَالَتْ تَزَوِّجُهَا فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتُحْبِّينَ ذَلِكَ فَقَالَتْ نَعَمْ لَسْتُ لَكَ بِمُخْلِيةٍ وَأَحَقُّ مَنْ شَرَكْنِي فِي خَيْرِ أُخْتِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِي قَالَتْ فَوَ اللَّهِ لَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَخْطُبُ دُرَّةَ ابْنَةَ أُمِّ سَلَمَةَ بِنْتِ أَبِي سَلَمَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ كَانَتْ تَحِلُّ لِي لَمَا تَزَوَّجْتُهَا قَدْ أَرْضَعْتَنِي وَأَبَاهَا نُؤْيِيَهُ مَوْلَاةُ بَنِي هَاشِمٍ فَلَا تَعْرِضْنِ عَلَيَّ أَخَوَاتِكُنَّ وَلَا بَنَاتِكُنَّ .

حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنَا لَيْثٌ يَعْنِي ابْنَ سَعْدٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ أَنَّهَا قَالَتْ :

دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ هَلْ لَكَ فِي أُخْتِي فَذَكَرَ الْحَدِيثَ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ قَالَ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ قَالَ حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ قَالَتْ قُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَا تَزَوِّجُ أُخْتِي فَذَكَرَ الْحَدِيثَ حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ قَالَ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ زَيْنَبَ بِنْتِ أَبِي سَلَمَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ ابْنَةَ أَبِي سُفْيَانَ أَخْبَرَتْهَا أَنَّهَا قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ انكِحْ أُخْتِي فَذَكَرَ الْحَدِيثَ قَالَ أَبِي وَوَفَّقَهُ ابْنُ أُخِي الزُّهْرِيُّ.

ولو خيرت نساء النبي ﷺ بين حياتهن المشتركة في بيت واحد لزوج واحد ، وحياة أخرى منفردة مستقلة في غير ذلك البيت لما رضى عن حياتهن بديلاً وقد كان.

[تَسْمِيَةُ الْقُرَشِيَّاتِ مِنْهُنَّ]

الْقُرَشِيَّاتُ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتْ : خَدِجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ ؛ وَعَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ ؛ وَحَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ بْنِ نُفَيْلِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ فَرْطِ بْنِ رِيَّاحِ بْنِ رَزَاحِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ ؛ وَأُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ ؛ وَأُمُّ سَلَمَةَ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْرُومِ بْنِ يَقْظَةَ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ ؛ وَسَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ وَدِّ بْنِ نَضَرَ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِصَلِ بْنِ عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ .

[تَسْمِيَةُ الْعَرَبِيَّاتِ وَغَيْرِهِنَّ]

وَالْعَرَبِيَّاتُ وَغَيْرُهُنَّ سَبْعُ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشِ بْنِ رَبَّابِ بْنِ يَعْمَرَ بْنِ صَبْرَةَ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَبِيرِ بْنِ غَنَمِ بْنِ دُوْدَانَ بْنِ أَسَدِ بْنِ خَزِيمَةَ ؛ وَمَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ حَزْنِ بْنِ بَحِيرِ بْنِ هُزَمَ بْنِ رُوَيْبَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِلَالِ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنِ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ عِكْرَمَةَ بْنِ خَصَفَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عِيلَانَ ؛ وَزَيْنَبُ بِنْتُ خَزِيمَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ هِلَالِ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ بْنِ مُعَاوِيَةَ ؛ وَجُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارِ الْخَزَاعِيَّةِ ، ثُمَّ الْمُصْطَلِقِيَّةِ ؛ وَأَسْمَاءُ بِنْتُ النَّعْمَانِ الْكِنْدِيَّةِ وَعَمْرَةُ بِنْتُ يَزِيدِ الْكَلَابِيَّةِ .

[غَيْرُ الْعَرَبِيَّاتِ]

وَمِنْ غَيْرِ الْعَرَبِيَّاتِ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبٍ، مِنْ بَنِي النَّضِيرِ .

بعض من حكم زواج النبي ﷺ بكل واحدة من أزواجه الطاهرات:

والآن أحاول أن أبين بعض من الحكم وراء كل زوجة من زوجات النبي ﷺ الطاهرات الْمُطَهَّرَاتِ الْمُسْلِمَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْقَانِنَاتِ التَّائِبَاتِ الْعَابِدَاتِ السَّائِحَاتِ الثَّيِّبَاتِ وَالطَّاهِرَاتِ الْمُطَهَّرَاتِ الصَّدِيقَةُ بِنْتُ الصَّدِيقِ الْبَكْرِ الْعَفِيفَةِ الْمَبْرَأَةِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ، وَاللَّأِي لِسُنِّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُنَّ وَأَرْضَاهُنَّ، وَاللَّأِي وَصَانَا بِهِنَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَقَالَ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَبْلَغًا ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (الشورى : ٢٣) . وَقَالَ تَعَالَى فِي الْأَحْزَابِ ٦: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ . وَمِنْ فُرُوعِ هَذِهِ الْأُمُومَةِ الرُّوحِيَّةِ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْهِنَ الزَّوْجَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْأَحْزَابِ ٥٢:

﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ ﴾

أَبْدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٠﴾

أبدأ الحديث وذلك وفقاً للترتيب الزمني لزواجه ﷺ:

١- السيدة خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي رضي الله عنها:

السيدة خديجة هي أولى زوجاته ﷺ زوجه إياها أبوها خويلد بن أسد ، ويقال أخوها عمرو بن خويلد ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بكرة فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولده كلهم إلا إبراهيم وكانت قبله عند أبي هالة بن مالك أحد بني أسيد بن عمرو بن تميم حليف بني عبد الدار فولدت له هند بن أبي هالة وزينب بنت أبي هالة وكانت قبل أبي هالة عند عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فولدت له عبد الله وجارية .

وكان عمرها وقت الزواج من النبي ﷺ أربعين سنة وعمر النبي ﷺ خمسا وعشرين سنة، فعاشا معاً لخمس وعشرين سنة بعد زواجهما (١٥ سنة قبل البعثة + ١٠ سنوات بعد البعثة) واستقرا في هناعتهما ناعمين بالألفة والاستقرار وقد أتم الله سبحانه وتعالى عليهما نعمته فرزقهما البنين والبنات وهم القاسم ، عبد الله ، زينب ، رقية ، أم كلثوم وفاطمة، إلى أن توفيت السيدة خديجة في عام ٦١٩م وهي في الخامسة والستين من عمرها بينما كان النبي ﷺ في الخمسين من عمره.

وجدير بالذكر أن النبي ﷺ لم يتزوج أية امرأة أخرى في حياتها، ومات القاسم وعبد الله قبل البعثة، وماتت بناته بعد البعثة وكانت السيدة فاطمة الزهراء أول من لحق به إلى الرفيق الأعلى من أهله وكان ﷺ قد أخبرها بذلك .

ويكفي أن تعرف أن السيدة خديجة رضي الله تعالى عنها هي الوحيدة من نساء العالمين التي أرسل الله ﷻ جبريل ﷺ إليها خصيصاً كي يقرأها السلام من الله:

[حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ عَنْ عُمَارَةَ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ].

كما هو ثابت في الصحيح. [انظر: صحيح البخاري: (كتاب فضائل الصحابة، باب تزوج النبي ﷺ خديجة وفضلها حديث رقم ٣٥٣٦)، فتح الباري ٧/١٣٣-١٣٤، ح ٣٨٢٠، ومسلم: (كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة) ٤/١٨٨٧، ح ٢٤٣٢٢].

بداية الكفاح

لم تمت زوجه الأولى ووزيره، إلا والدعوة الإسلامية قد جاوزت مكة إلى أطراف الحجاز، ثم إلى ما وراءها من بلاد العرب، وحملها فئة من صحابته الكرام عبر البيد والبحار إلى الحبشة... مهاجرين بدينهم.... متخلين عن ديارهم وأهلهم، عارضين على الدنيا خارج الجزيرة العربية مشهداً رائعاً من الإيمان البازل الصابر مائنين الأسماع والقلوب بحديث مثير عن نعمة الجهاد ومجد التضحية وبطولة الاستشهاد..

لم تمت رضي الله تعالى عنها، إلا وفي الموسم بمكة رجال من يثرب لن يلبثوا أن يبايعوا النبي ﷺ بالعقبة ويعودوا فيعبنوا المدينة كلها لنصرته وأقصى أمانهم أن يخوض بهم المعركة النبيلة ليذهبوا على الأيام بعزة النصر، أو شرف الموت في سبيل الله.. وبدأ الجهاد ... وبدأ معه التعدد....

وحينما انتهى الجهاد نزل معه قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ، إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ . (الأحزاب: ٥٢).

٢- السيدة سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي رضي الله عنها:

وكانت هذه المرحلة في حياة النبي ﷺ مرحلة الشدائد والابتلاء وهو في حاجة ماسة إلى من يسكن إليها لذلك فهو يتزوج السيدة سودة البالغ عمرها وقتئذ خمس وخمسون سنة، وأرجو الانتباه إلى عمر أزواج النبي ﷺ، ولكي ندرك مدى بطلان الافتراءات التي يثيرها أعداء الإسلام ضد الرسول ﷺ واتهامهم له بالشهوانية والأنانية.

علينا أن نتساءل: ما هي الخلفية وراء زوجاته: ما هو عمر أزواجه؟ ولماذا يتزوجهن؟ كانت السيدة سودة أرملة السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل . وهو ابن عمها وكانت قد هاجرت معه إلى الحبشة وكان من المهاجرين ثمانية أفراد من بني عامر يخرجون من ديارهم وأموالهم ويجوبون الفقر المرهوب ثم يركبون أهوال البحر لينجوا بدينهم من مطاردة شرسة آثمة ومن هؤلاء النفر الثمانية:

١- مالك بن زمعة بن قيس بن عبد شمس العامري وهو أخو السيدة سودة.

٢- السكران بن عمرو بن عبد شمس زوج السيدة سودة وابن عمها.

٣- ولدا عمرو بن عبد شمس وهم سليط وحاطب أخوي السكران.

٤- وابن أخيهما عبد الله بن سهيل بن عمرو.

وصحب ثلاثة من الثمانية أزواجهم وكلهن عامريات:

١- السيدة سودة بنتي زمعة ابن قيس بن عبد شمس.

٢- أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو بن عبد شمس.

٣- عمرة بنت الوقدان بن عبد شمس.

وهكذا خرجت الأسرة المؤمنة برجالها ونسائها من ديارها ووطنها راضية بما هو أفسى من الموت في سبيل الله ، ولما توفي عنها زوجها بعد الرجوع من الهجرة الثانية إلى الحبشة فأصبحت وحيدة لا ناصر لها ولا معين، ولو رجعت إلى أهلها الكفار لعذبوها ولحاولوا ردها إلى الشرك قسراً، وما كان هناك أي شخص يمكن أن يقوم بكفالتها والمحافظة على إسلامها، فاختار الله سبحانه وتعالى للنبي ﷺ كفالة هذه الأرملة الوحيدة الحزينة المسكينة المسنة فتزوجها بعد أن خطبتها له السيدة خولة بنت حكيم السلمية ، يمد لها يده الرحيمة يسند شيخوختها ويهون عليها الذي ذاقته من قسوة الدنيا، تزوجها عليه الصلاة والسلام بعد شهرين من موت السيدة خديجة رضي الله تعالى عنها أي في سنة ٦١٩م وتوفيت في آخر زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إي حوالي ٦٤٣م.

فهل يكون اقترانه بعجوز هي أول زوجاته بعد وفاة السيدة خديجة رضي الله تعالى عنها دليلاً على ما يذهب إليه أعداء الإسلام من أن تعدد زوجاته ﷺ كان للشهوة وحب النساء، وحتى يتقبلها وأمثالها فيما بعد أوحى الله له فقال عليه الصلاة والسلام: [حُببَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَجَعَلْتُ قَرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ]، وأرجو أن تتأمل قوله ﷺ حُببَ ولم يقل أحببت أي أن الأمر مفروض عليه حتى يتقبل مثل السيدة سودة رضي الله تعالى عنها ومن كن على أمثالها. ووالله إن مثل هذه الزيجة التي لا يطمع فيها أحد لهي بعض أعبائه عليه الصلاة والسلام وواجب ثقيل ألزم به نفسه الشريفة النبيلة ، وليس له من الأمر شيء فهو مسير من عند الله وما يفعله عن أمره بل هو تنفيذ لمراد الله .

و المدقق في زواج السيدة سودة يجد أن في هذا تشريع الزواج بالأرامل اللاتي يُنظر إليهن نظرة سوداء في الملل والأديان الأخرى كالهندوكية، فالرسول ﷺ أرسل للبشر كافة ولم يرسل لأمة بعينها كغيره من الأنبياء، لذا فسن زواجه لإبطال كل ما في الأديان المحرفة والملل الأخرى من خرافات وامتهان للنساء وبخاصة المزدريات منهن في مجتمعاتهن كالأرامل والمطلقات وتشريفهن بزواجه منهن وهو أشرف البشر فيمتثل به المؤمنون كافة.

٣- السيدة عائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب رضي الله تعالى عنها:

مقدمة

الأخطاء التاريخية الشائعة كالأخطاء اللغوية الشائعة، يظن المرء صحتها لذووعها وشهرتها وهي ليست صحيحة، وقد يطغى الخطأ على الصحيح بالإصرار عليه: "خطأ شائع خير من صحيح مهجور". بعض الأقوال المأثورة لكثرة ترديدها على الألسنة يخيل لبعضهم أنها آيات

قرآنية: "الأقربون أولى بالمعروف"، "كما تكونوا يولى عليكم" "كما تدين تدان" وغيرها. ولو لم يأت الله ﷻ لنا بسيرة نبيه لوط عليه السلام في كتابه الكريم لظننا أنه أول من مارس الشذوذ الجنسي أو دعا له في التاريخ، فبدلاً من نسبة كل من يحارب الشذوذ الجنسي إلى لوط أصبح يشتق من اسمه كل أسماء الشذوذ الجنسي وأفعاله "لاط، يلوط، لوطي، اللواط.. إلخ". لا شيء يتعرض للتزوير وتضارب الأقوال كالتاريخ، بحيث يصعب على الناس معرفة الحق من الباطل.

إن تاريخنا الإسلامي مليء بأوهام أصبحت حقائق لا يجرؤ أحد أن يقف طاعناً في صدقها، نتوارثها أباً عن جد ولسان حالنا يقول: "إنا وجدنا آباءنا على أمة، وإنا على آثارهم مهتدون". ومن هذه الأوهام زواج الرسول ﷺ من السيدة خديجة — عليها السلام — وهي في سن الأربعين.

إن أولاد الرسول ﷺ كلهم، عدا إبراهيم، هم من السيدة خديجة — عليها السلام —، فكيف تحمل امرأة بعد الأربعين ست مرات أو سبعة، ولا سيما أن الروايات كلها تتفق على أن ميلاد السيدة فاطمة الزهراء — رضي الله تعالى عنها — كان بعد البعثة، فإذا تزوج الرسول ﷺ من السيدة خديجة — عليها السلام — وهو في الخامسة والعشرين، ثم بعث وهو في الأربعين، أي بعد خمسة عشر عاماً من زواجه، فتكون السيدة خديجة — عليها السلام — قد ولدتها وقد تجاوز سنها ٥٥ عاماً على أقل تقدير.

قد تحمل المرأة بعد الأربعين مرتين أو ثلاثاً، ولكن أن تحمل كل سنتين حتى سن الخامسة والخمسين أو يزيد فأمر لا يصدق، مما يرجح أن سيدنا محمد ﷺ تزوج السيدة خديجة — عليها السلام — وهي في أواخر العشرينيات من عمرها، ولم تكن تكبره إلا بسنوات قليلة. وانتهاز فرصة هذا الرد لأقول أيضاً إن زواج الرسول ﷺ من السيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — وهي لما تبلغ التاسعة فرية تاريخية صدقناها هي الأخرى لأن تقديسنا لكتب التراث أعمانا عن توظيف عقولنا. فانتقاد شيء اتفق عليه آباؤنا الأولون دخيل على ثقافتنا، ولا يجوز في حق حضارتنا المعصومة!.

معلوم أنه لم يكن للعرب تاريخ يؤرخون به قبل العمل بالتاريخ الهجري، وكانوا يتذكرون السنوات بما وقع فيها أو قبلها أو بعدها من أحداث، كعام الفيل، وعام الفجار، أو أيام ربعة (حرب البسوس)، وأيام قيس (يوم داحس والغبراء، وأيام غيرها)، وعام الهجرة، وعام الفتح، إلخ، بل ظلت هذه العادة متبعة حتى بعد اعتماد التاريخ الهجري، وربما يجهل بعضنا في أي سنة هجرية كان عام الرمادة، ولكننا نعلم أنه حدث في عهد الخليفة الثاني، ولا تزال جداتنا في مصر تعمل بهذه الطريقة إلى اليوم، فهن يؤرخن عمر الشخص بمقارنته بعمر شخص آخر،

فإلى اليوم لا تعرف والدتي تاريخ ميلادي، كل ما تعرفه أنني ولدت بعد ميلاد أحد أبناء عماتي بثلاثة أشهر، وأن بيني وبين أخي الذي يصغرني مباشرة عامين ونصف العام. أطلق المؤرخون لأقلامهم العنان، في موضوع زواج الرسول ﷺ من السيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — في بداية الزواج وأثناء الزواج وبعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى.

أولاً: فقبل الزواج قالوا:

إن هذا الزواج انتهاك لحرمة الطفولة، واستجابة للوحشية الجنسية، وعبث واضح من رجل كبير بطفلة صغيرة، لا تعرف شيئاً من مآرب الرجال. فذكر ابن الأثير في كتابه الكامل " أن عائشة يوم زواجها كانت صغيرة بنت ست سنين، [الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٠٩] ثم قال : بني رسول الله ﷺ بعائشة في المدينة وهي ابنة تسع سنين ، ومات عنها وهي ابنة ثمان عشرة سنة. [الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢١٠]

والقصة بهذا العرض تفتح أبواب النقد ، وتثير الشبهات عند من يتصيدون مواطن الطعن في رسول الله ﷺ ، وينتهزون الفرص للحط من قدره بما يكتبون ويتحدثون.

إن مجرد ذكر زواج رجل — أي رجل — بطفلة في سن ست سنوات، يثير عاصفة السخط والاشمئزاز من هذا الرجل.

لكن، إذا ترك أمر السن هذا من غير ذكر، وصار الأمر للعرف والعادة، وتقدير مقتضيات البيئة، فمن السهل أن توجد المبررات التي لا تثير لوماً، ولا تفتح باب الشكوك والشبهات.

ومن التجني في الأحكام أن يوزن الحدث منفصلاً عن زمانه ومكانه، وظروف بيئته.

والآن صار لازماً على كل باحث أو قارئ ، في موضوع زواج النبي ﷺ من السيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — أن يعرف الأمور الآتية :

أولاً — أن كتب السيرة التي قدرت للسيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — تلك السن الصغيرة عند زواج النبي ﷺ بها ، روت — بجانب هذا التقدير — أمراً أجمع، الرواة على وقوعه ، وهو أن السيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — كانت مخطوبة قبل خطبتها من رسول الله ﷺ إلى رجل آخر هو " جبير بن مطعم بن عدي " الذي ظل على دين قومه إلى السنة العاشرة للهجرة ثم أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وكان من رواة الحديث .

فمتى خطبها "المطعم بن عدي" لابنه جبير؟

ليس معقولاً أن يكون خطبها وأبو بكر ﷺ مسلم وال بيته مسلمون ، لأن مصاهرة غير المسلمين حرام ، وتمنعها الخصومة الشديدة والصراع العنيف بين المشركين والمسلمين، وعليه فالغالب — بل المحتم — إذن أن تكون هذه الخطبة قبل بعثة الرسول ﷺ ، أي قبل ثلاثة عشر عاماً قضاها الرسول ﷺ في مكة.

فإذا بني بها الرسول ﷺ في العام الثاني للهجرة، تكون سنّها — إذ ذاك — قد جاوزت الرابعة عشرة، وهذا على فرض أن "المطعم بن عدي" خطبها لابنه في يوم مولدها، وهذا بعيد كل البعد أن تخطب البنت في يوم مولدها !

ثانياً — أن "خولة بنت حكيم" زوج عثمان بن مظعون رضي الله عنه، التي كانت تحمل هم الرسول ﷺ وتدبّر التفكير في شأنه بعد وفاة السيدة خديجة — عليها السلام — حين ذهبت إلى النبي ﷺ لتخرجه من شجوه وأحزانه، وتقول له : أفلا تزوجت يا رسول الله لتسلو بعض حزنك : وتؤنس وحدتك بعد خديجة ؟ وسألها رسول الله ﷺ : من تريدين يا خولة ؟ قالت : "سودة بنت زمعة" أو "عائشة بنت أبي بكر". والآن يستطيع القارئ أن يفهم، أن خولة حين قدمت السيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — مع سودة لرسول الله ﷺ، كانت تعتقد أن كليهما تصلح للزواج من رسول الله ﷺ، وتسد الفراغ الذي كان يشقى به بعد موت السيدة خديجة — عليها السلام — وكانت السيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — بكرة، والسيدة سودة — رضي الله تعالى عنها — ثيباً متقدمة في السن، فبمجرد العرض على رسول الله ﷺ بهذه الصورة — عرض زوجتين إحداهما متقدمة في السن وكانت تحت رجل آخر، والثانية كانت بكرة — مجرد هذا العرض — يدل على أن خولة بنت حكيم — نفسها — تشعر بأن كليهما صالحة تماماً لأن تكون زوجة .

ومعنى ذلك أن السيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — كانت في نمائها ونضوجها واضحة المعالم الأنثوية في نظر خولة على الأقل، وهي العارفة بمآرب الرجال في النساء . ثالثاً — كذلك نجد أن السيدة "أم رومان بنت عمير بن عامر" والدّة السيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — كان اغتباطها شديداً عندما فسخت خطبة عائشة من "جبير بن المطعم" كما طفرت بها الفرحه، لما علمت أن رسول الله ﷺ قبل زواجها، وقالت لأبي بكر رضي الله عنه : "هذه ابنتك عائشة، قد أذهب الله من طريقها جبيراً وأهل جبير، فادفعها إلى رسول الله ﷺ، تلق الخير والبركة.

إن الأم حين تطلب لفتاتها الزواج، تكون أعرف الناس بعلامات النضج في ابنتها، وتدرك ثورة الأنوثة في وليدتها، فتبدأ تتشوق إلى اليوم الذي ترى فيه ابنتها في زفافها، وتحن إلى زوج يكون لابنتها مصدر سعادة، يريها الحياة من نافذة الأسرة، ويدخل بها الدنيا من باب الأمهات .

كان زواج السيدة عائشة — وهي في سنّها المبكرة — زواج كرامة وتكريم لأبي بكر رضي الله عنه كما كان يراد به أيضاً توثيق الصلات بين تلك الفئة القليلة من المؤمنين بالله، وسط غيابة الكفر العمياء، والأهم من ذلك أنه لم تدهش مكة حينما أعلن نبأ المصاهرة بين أعزّ صاحبين وأوفى صديقين، بل استقبلته كما تستقبل أمراً طبيعياً مألوفاً ومتوقّعا، ولم يجد فيها أي رجل من

أعداء رسول الله ﷺ أنفسهم موضعاً لمقال ، بل لم يدر بخلد واحدٍ من خصومه الألداء أن يتخذ من زواجه ﷺ بالسيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — مطعناً أو منفذاً للتجريح والاتهام وهم الذين لم يتركوا سبيلاً للطعن عليه إلا وقد سلّكوه حتى ولو كان بهتاناً وزوراً .

وقد ذكر ابن كثير في "البداية والنهاية" أن السيدة أسماء بنت أبي بكر — رضي الله تعالى عنها — كانت تكبر أختها السيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — بعشر سنوات — البداية والنهاية، المجلد الرابع، الجزء الثامن، ص ٣١٥، (دار المنار، القاهرة، ٢٠٠١)، هناك عدة طباعات لهذا الكتاب وبإمكان القارئ البحث في باب ترجمة أسماء بنت أبي بكر الصديق — وقد توفيت السيدة أسماء — رضي الله تعالى عنها — عام ٧٣ هجرية عن عمر يناهز مائة سنة، كما جاء في "البداية والنهاية" وفي "الأعلام" للزركلي، وغيرهما من كتب الأعلام والتاريخ، ومن ثم يكون عمر السيدة أسماء بنت الصديق — رضي الله تعالى عنها — عام الهجرة ٢٧ عاماً، فكيف يكون عمر أختها التي تصغرها بعشر سنوات تسع سنوات في العام نفسه؟، لو حسبنا الأمر، لا تضح لنا أن الرسول ﷺ خطب أو تزوج السيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — وعمرها ١٧ عاماً تقريباً، ودخل بها بعد بدر وعمرها ١٩ عاماً، وهذا هو الأقرب إلى الصواب وإلى سيرة رسولنا الكريم ﷺ.

وعليه يمكننا استقراء التاريخ كالتالي:

[1] أسلمت السيدة أسماء — رضي الله تعالى عنها — بمكة وكان عمرها آنذاك خمسة عشر سنة، إذ علمنا أن أبا بكر الصديق ﷺ وعائلته كانوا من أوائل الذين أسلموا وقفنا على أن السيدة أسماء — رضي الله تعالى عنها — إذا ولدت قبل البعثة **بخمسة عشر سنة على الأقل** .

[2] هي أكبر من أختها عائشة أم المؤمنين **بعشر سنين**، يستتبع ذلك أن عمر السيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — قبل البعثة كان نحو **خمس سنوات على الأقل**، ولعل الإشارة في روايتها بأنها كانت ذات ستة سنوات حين خطبها رسول الله ﷺ كانت خطأ من الراوي، فلعلها قصدت أنها كانت ابنة ستة سنوات حين بعث النبي ﷺ .

[3] إذا أضفنا ٥ - ٦ سنوات وهو عمر السيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — التقريبي حين البعثة إلى ١٣ سنة هو عمر المرحلة المكية يكون الناتج هو ١٨ - ١٩ سنة وهو يمثل عمرها في المدينة بعد الهجرة .

[4] لما كان عمر السيدة فاطمة — رضي الله تعالى عنها — هو ١٨ سنة في ذلك الحين، نستطيع القول أن عمر السيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — التقريبي حين زواجها لم يكن يقل عن **19 سنة**، وهو يمثل الحد الأدنى لعمرها من خلال الاستقراء لما بين يدي من مصادر .

لقد شاع سن زواج السيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — وهي بنت تسع سنوات كما شاع سن زواج السيدة خديجة — عليها السلام — وهي في الأربعين، لأن الرواية المشهورة عندنا لا تتعرض للتحقيق والتدقيق، فلو نظر ابن كثير جيداً لترجمته للسيدة عائشة ولأختها السيدة أسماء — رضي الله تعالى عنهما — لتبين له تناقضاته في الترجمتين.

كل تواريخ ميلاد أولئك الذين عاصروا الرسول، ﷺ، هي من اجتهادات المؤرخين حسب اطلاعتهم على الوقائع والأحداث، ولكنها لا ترقى أبداً إلى درجة اليقين، فلا كان للسيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — شهادة ميلاد رسمية محفوظة في خزائن الآستانة، ولا نعرف لأبيها الصديق ﷺ كتيب (دفتر) عائلة صادراً من بلدية مكة ومحفوظاً اليوم في متحف اللوفر لكي نصدق أن رسولنا الكريم ﷺ تزوج من بنت في التاسعة من عمرها.

أحاول الآن أن أفكر بصوت مرتفع لاستقراء عمر أم المؤمنين السيدة خديجة — عليها السلام — و أم المؤمنين السيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — استقراء تاريخياً بعيداً عن الضبابية التاريخية التي أغرقنا فيها من لا عقل له من الذين روجوا لمقولة أن النبي ﷺ حينما كان في الخامسة والعشرين من عمره تزوج بمن تكبره بخمسة عشر من السنين، و حينما أصبح في الثالثة والخمسين تزوج بمن تصغره بأربع وأربعين عاماً.

ولنبداً بالسيدة خديجة — عليها السلام — ولننتهي بالسيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها .

أولاً: عمر أم المؤمنين السيدة خديجة — عليها السلام —

ذكر المؤرخون ثمانية أقوال في عمرها — عليها السلام — على الوجه التالي :

١ — ٢٥ سنة

صححه البيهقي في دلائل النبوة 2/71 : طبعة دار الكتب العلمية

٢ — ٢٨ سنة

شذرات الذهب : ١٤/١

مستدرك الحاكم: ١٨٢/٣

تاريخ الخميس : ٢٦٤/١

٣ — ٣٠ سنة

السيرة الحلبية: ١٤٠/١

تهذيب تاريخ دمشق: ٢٠٣/١

٤ — ٣٥ سنة

البداية و النهاية 2/295 :

السيرة النبوية لابن كثير: ٢٦٥/١

5- ٤٠ سنة

انساب الأشراف (قسم حياة النبي) ص ٩٨

المواهب اللدنية : ٣٨/١ و ٢٠٢

٦- ٤٤ سنة

تهذيب تاريخ دمشق: ٣٠٣/١

٧- ٤٥ سنة

تهذيب الأسماء 2/342 :

تاريخ الخميس : ٣٠١/١

٨- ٤٦ سنة

انساب الأشراف (قسم حياة النبي) ص ٩٨

وبالرغم من وجود روايات تفيد أنها كانت في منتصف أو أواخر العشرينات، كروايتي البيهقي الشافعي والحاكم النيسابوري، إلا أن المؤرخين تغاضوا عنها لصالح روايات أوائل أو منتصف الأربعينات .

ما دام عمرها ليس مذكورا في القرآن فلنستدل عليه إذا عقلا من خلال استقراء الظروف والملابسات التاريخية.

١- العرب كانوا يزوجون بناتهم في سن صغيرة نسبيا - لكن ليس في سن الطفولة بطبيعة الحال - ولا سيما أن كانت الفتاة أو السيدة محظية بجمال أو دلال أو جاه أو مال. والسيدة خديجة - عليها السلام - كانت من بيت عريق، وقد كان أبوها خويلد من زعماء العرب الذين تصدوا للتبع اليماني الملك تبان أسعد حينما أراد غزو مكة، وطبيعي أن تتزوج تلك الشريفة القرشية في سن مبكر .

٢- أنجبت السيدة خديجة - عليها السلام - لرسول الله ﷺ القاسم وعبد الله - الملقب بالطاهر والطيب - وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة وهذا يدل على أننا أمام امرأة في سني خصوبتها الأولى وليس أمام امرأة قد بلغت سن توقف الإنجاب أو تجاوزته أو سبقته بقليل.

٣- إذا كان لدينا من النصوص ما يؤيد هذه الشواهد التاريخية والطبيعية فلماذا نقهرها لصالح روايات لا ترتقي للدقة؟.

خذ مثلا الرواية التي رواها الحاكم النيسابوري - وهو بالمناسبة غير الحاكم الجشمي ألمعتزلي صاحب رسالة إبليس - في مستدركه على صحيح البخاري ومسلم :

أخبرني أبو بكر محمد بن أحمد بن بالويه، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أحمد بن محمد بن أيوب، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن محمد بن إسحاق: أن أبا طالب وخديجة بنت خويلد، هلكا في عام واحد، وذلك قبل مهاجر النبي ﷺ إلى المدينة، بثلاث سنين، ودفنت خديجة بالحجون، ونزل في قبرها رسول الله ﷺ وكان لها يوم تزوجها ثمان وعشرون سنة .
أو رواية البيهقي، والتي تفيد أنها كانت ابنة خمس وعشرين ربيعا حين تزوجها محمد ذو الخمس وعشرين ربيعا أيضا .

ثانيا: عمر أم المؤمنين السيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها —

ذكر المؤرخون أن السيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — كانت مخطوبة لمطعم بن عدي قبل أن يخطبها رسول الله ﷺ.

السؤال الآن: متى خطبها عدي لابنه مطعم؟ تسكت المصادر التاريخية !!!
في هذه الحالة نستقرئ الأحداث .

الاحتمال الأول : أن يكون خطبها بعد البعثة النبوية وهو أمر مستبعد نظرا للعداء الشديد من قبل الكافرين برسالة محمد ﷺ تجاه المؤمنين بها ولا سيما أن السيدة عائشة هي بنت أبي بكر صديق الرسول ﷺ ومن أوائل المؤمنين برسالته، ومن المستبعد إذا أن يخطب عدي عائشة لابنه وأبوها من المؤمنين الأول .

الاحتمال الثاني : أن يكون خطبها قبل البعثة وهو الاحتمال الأقوى، ولكنه يثير سؤالا هاما: كم كان عمرها قبل البعثة؟ عام؟ عامين؟ خمسة؟ عشرة؟ يسكت التاريخ كما سكت من قبل، إذاً نلجأ لبعض الفرضيات :

الفرضية الأولى : خطبها عدي لابنه مطعم قبل البعثة حين كان عمرها خمسة عشر سنة — مثلا، بموجب هذه الفرضية يكون عمر عائشة حين تزوجها الرسول الكريم ﷺ هو 28 سنة، حيث أن النبي تزوجها بعد الهجرة إلى يثرب وأنه أقام في مكة ثلاثة عشر من السنين خلال الدعوة المكية قبل الهجرة .

الفرضية الثانية : خطبها عدي لابنه مطعم قبل البعثة حين كان عمرها عشر سنين — مثلا. بموجب هذه الفرضية يكون عمر السيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — حين تزوجها الرسول الكريم ﷺ هو 23 سنة .

الفرضية الثالثة : خطبها عدي لابنه مطعم قبل البعثة حين كان عمرها خمس سنوات — مثلا. بموجب هذه الفرضية يكون عمر السيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — حين تزوجها الرسول الكريم ﷺ هو 18 سنة .

الفرضية الرابعة: الفرضية الثالثة: خطبها عدي لابنه مطعم قبل البعثة حين كان عمرها سنة واحدة فقط — مثلاً وهو أمر غير ممكن طبعاً ولكن لنفترضه، بموجب هذه الفرضية يكون عمر السيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — حين تزوجها الرسول الكريم ﷺ هو 14 سنة، وهو أكبر من الرقم الذي ذكره بخمس سنين .

إذاً فرضية التسع سنوات مرفوضة تماماً انطلاقاً من هذا الاستقراء وأصبح المجال مفتوحاً للترجيح، فما هو ؟.

إن الرسول ﷺ — في تقديري — لن يتزوج بفتاة في عمر ابنته الصغرى أو أصغر منها، فإذا علمنا أن السيدة فاطمة — رضي الله تعالى عنها — ولدت قبل البعثة بخمس سنين نعرف أن عمرها بعد الهجرة يصبح ١٨ عاماً، وعلى هذا فأنا أرجح أن يكون عمر السيدة عائشة أكبر من عمر السيدة فاطمة — رضي الله تعالى عنهما — ومن ثم فإنني أرجح احدي الفرضيتين : **الأولى ٢٨ سنة أو الثانية ٢٣ سنة .**

هناك أمر آخر قد لا يتنبه إليه أحد وهو أنها رضي الله تعالى عنها حين تزوجها رسول الله ﷺ طلبت منه أن تكنى فكيف تكنى بأم ولد وهي مازلت طفلة عمرها تسع سنين؟. لقد روى أبو داود وغيره بالأسانيد الصحيحة (الأذكار النووية ص ٢٩٥) عن عائشة: أنها قالت: يا رسول الله، كل صواحيبي (أو كل نسائك، أو كنيت نساءك فأكنيني، أو) لهن كنى. قال: فاكنتي بابنك عبد الله.

قال الراوي: يعني عبد الله بن الزبير، وهو ابن أختها أسماء بنت أبي بكر .

وكانت عائشة تكنى بأم عبد الله حتى ماتت .

أضاف أحمد والصنعاني، وأبو نعيم: قوله: ولم تلد قط(سنن أبي داود ج ٤ ص ٢٩٤ بعدة أسانيد والأذكار النووية ص ٢٩٥، والمعجم الكبير للطبراني ج ٢٣ ص ١٨ بعدة أسانيد، وكنز العمال ج ١٦ ص ٤٢٤ ومسند أحمد ج ٦).

2— وفي نص آخر: أنه قال لها: اكنتي بابنك، يعني عبد الله بن الزبير، فكانت تكنى أم عبد الله. (الأدب المفرد ص ١٢٥ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ١٦٤ وصفة الصفوة ج ٢ ص ١٥ ومسند أحمد ج ٦ ص ١٨٦).

3— وعنها قالت: كناني النبي ﷺ أم عبد الله، ولم يكن ولد لي قط (المعجم الكبير ج ٢٣ ص ١٨).

4— وقد حددت وقت تكنيتها بذلك، حيث روي عنها: لما ولد عبد الله بن الزبير أتيت به رسول الله ﷺ فتنقل في فيه، فكان أول شيء دخل في جوفه، وقال: هو عبد الله، وأنت أم عبد الله.

أضاف ابن حبان قولها: فما زلت أكنى بها، وما ولدت قط.

(سبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ١٦٤ والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ج ١٦ ص ٥٥٤ وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية ج ٤ ص ٣٩٢ و٣٩٣، عن ابن سعد وابن حبان وقال: وله طرق كثيرة عنها وراجع: معرفة علوم الحديث ص ١٩٠).

5- وفي نص آخر عنها: أنها قالت: يا رسول الله، كل نسائك لها كنية غيري، قال: أنت أم عبد الله (مسند احمد ج ٦ ص ١٨٦).

6- وحسب نص الحلبية: أنه ﷺ قال لعائشة: «هو عبد الله، وأنت أم عبد الله، قالت: فما زلت أكتني به، أي وكان يدعوها أمًا، لأنه تربى في حجرها» (السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣١٤، وذكر أخبار أصبهان ج ١ ص ٣١٥ و٩٣ والمصنف للصنعاني ج ١١ ص ٤٢ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ١٨ وراجع: الغدير ج ٦ ص ٣١٥ وطبقات ابن سعد ج ٨ ص ٦٤ و٦٣).

ويستحيل مما سبق كله ان تكنى السيدة عائشة بأم عبد الله وهي طفلة في التاسعة من عمرها.

الخلاصة

طبقاً لاستقراء التاريخ من خلال تاريخ ميلاد السيدة أسماء والذي تبين لنا فيه أن عمر السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها كان ١٩ سنة حين عقد عليها رسول الله ﷺ نجده يتماشى مع ما هو مذكور في المعارف لابن قتيبة حيث يذكر ابن قتيبة أن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قد توفيت سنة ثمان وخمسين هجرية، وعند غيره سنة سبع وخمسين هجرية، وقد تجاوزت السابعة والسبعين — المعارف لابن قتيبة ص ٥٩ —.

وذكرت دائرة المعارف الأمريكية أن وفاة السيدة عائشة — رضي الله تعالى — عنها كان يوم الثلاثاء ١٧ رمضان سنة ٨٥ هجرية الموافق ١٢ يوليو سنة ٦٧٨ ميلادية عن عمر ٦٦ سنة.

راجع المصادر التالية: المعجم الكبير للطبراني ج ٢٣ ص ٢٣ و ٢٤ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٤١١ و ٤١٢ ط الاستقامة والمنتظم ج ٣ ص ١٦ و ١٧ ومسند أحمد ج ٦ ص ٢١٠ و ٢١١ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٢ ص ٤١١ و ٤١٢ ط دار الكتب العلمية، وراجع: مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٢٥ و ٢٢٧ و ٢٢٦ عن الطبراني وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠٥ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٤٨ وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية ج ٤ ص ٣٨١ و ٣٨٢ عن أحمد والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٣٩ و ١٤٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ١٤٢ و ١٤٣ و ١٤٤ عن أحمد والبيهقي والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٣١ و ١٣٢ و ١٣٣ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ١٦٥ و ١٦٦.

ثانياً: أثناء الزواج كان حديث الإفك

وحديث الإفك من أخطر ما واجه رسول الله ﷺ من الأهوال والصعاب، فالمنافقون كانوا يقصدون من ورائه إلى محاربة النبي ﷺ بإساءة سمعته.

قد يحارب الإنسان إنساناً عن طريق مقاومته، وأحياناً يحاربه عن طريق تشويه سمعته، فحديث الإفك بشكل أو بآخر محاولة من المنافقين لتشويه سمعة النبي ﷺ ، ومع تشويه سمعة النبي القصد البعيد تشويه هذا الدين الحنيف، فالمعركة بين الحق والباطل معركة أزلية أبدية، فكل واحد له ولاء؛ أهل الإيمان يوالون الإيمان والمؤمنين والحق، وأهل الفسق والفجور يوالون بعضهم بعضاً، فينبغي أن يعرف الإنسان هو مع من؟، فالذي يوالي المؤمنين ويتبرأ من الكفار والمنافقين ، مؤمنٌ ورب الكعبة؛ أما الذي له ولاءٌ لغير المؤمنين هذا في إيمانه ضعف .

لذلك فالمنافقون أرادوا أن يشوهوا هذا الدين عن طريق تشويه سمعة النبي ﷺ من خلال اتهام زوجته بالفاحشة .

متى جاء حديث الإفك؟ بعد أن قال عبد الله بن أبي بن سلول للنبي وأصحابه : " سمّن كلبك يأكلك ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزُّ منها الأذل "، يقصد الأعز هو ومن معه، والأذل يقصد به النبي ﷺ والمهاجرين .

قال هذا المنافق رئيس المنافقين: " ماذا فعلتم بأنفسكم؟ أظلمتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير بلادكم ".

عملية تهجير، فالهدف البعيد جداً من حديث الإفك تهجير المهاجرين إلى بلادٍ أخرى، عن طريق تشويه سمعة الدين، من خلال تشويه سمعة النبي ﷺ من خلال اتهام زوجته الطاهرة بالفاحشة ..

يقول سبحانه وتعالى في سورة الطارق: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۖ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۚ﴾

فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ أَهْلَهُمْ رُؤَيْدًا ﴿١٧﴾

فماذا يعني من هذا الموضوع؟ أنت كمؤمن وطّن نفسك أن هناك من ينافئك ، هناك من يطعن في نزاهتك ، هناك من يريد أن يشوه سمعتك ، الدنيا دار ابتلاء وليست دار جزاء ، والإنسان يرقى على قدر ما يُبتلى به .

وخبر حديث الإفك ورد في الصحاح ، تقول السيدة عائشة رضوان الله عليها :

[كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفراً أفرع بين نسائه ، فأَيَّتِهْن خرج سهمها خرج بها معه ، فلما كانت غزوة بني المصطلق أفرع بين نسائه كما كان يصنع ، فخرج سهمي عليهن فخرج بي رسول الله ..] .

هناك حكمة بالغة من اصطحاب الزوجة في السفر يعرفها المتزوجون ، النبي ﷺ في أقواله ، وفي أفعاله ، وفي إقراره ، وفي صفاته مشرّع ، فكان إذا أراد سفراً — حتى ولو كان السفر غزوة — أفرع بين نسائه ، فأَيَّتِهْن خرج سهمها ، صحبها معه . قالت السيدة عائشة :

[... وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العُلُق — والعلق ما فيه بلغة من الطعام، أي طعامهن قليل ، إذا أوزانهن خفيفة — لم يهيجهن اللحم فينقلن — أي أن نساء الصحابة كنّ نحيلات — وكنت إذا رُحِّلَ بعيري جلست في هودجي ، ثم يأتي القوم الذين يرحلون هودجي في بعيري ، يحملونني، فيأخذون بأسفل الهودج ، فيرفعونه على ظهر البعير ، فيشدونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون بي] .

كلام واضح ؛ كان هناك هودج تجلس فيه ، يرفعه رجلان ، يضعانه فوق ظهر الجمل ، يربطانه ، ثم يأخذان بخطام البعير ، ويقودان هذا البعير في مسيرة الجيش . قالت السيدة عائشة:

[... فلما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من سفره، وجّه قافلاً حتى إذا كان قريباً من المدينة، نزل منزلاً فبات فيه بعض الليل، ثم أذن في الناس بالرحيل، فلما ارتحل الناس خرجت لبعض حاجتي...] .

هناك عشرات الاحتمالات التي كان من الممكن ألا يقع حديث الإفك، لكن الأحداث التي وقعت في عهد النبي ﷺ أحداثٌ مقصودةٌ لذاتها ، لم يقع حدثٌ صدفةً ، بل كل حدثٍ مركز مقصود لذاته، ليقف النبي ﷺ الموقف الكامل ، فيكون موقفه تشريعاً ، فقالت هذه السيدة الجليلة: [... ثم أذن في الناس بالرحيل، فلما ارتحل الناس خرجت لبعض حاجتي، وفي عنقي عقدٌ لي ...] . لو أنها لم تشعر بحاجةٍ إلى قضاء الحاجة لما خرجت، ولم يكن حديث الإفك.. يقول سبحانه وتعالى في سورة النور ١١: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ .

قالت :

[... خرجت لبعض حاجتي وفي عنقي عقدٌ لي ، فلما فرغت ، انسل من عنقي ولا أدري — انقطع خيط العقد فوق في الأرض ، لو كان الخيط ثخيناً أو متيناً لما انقطع ، لو لم ينقطع هذا الخيط لما كان حديث الإفك ، لو لم تشعر بحاجةٍ إلى قضاء الحاجة لما كان حديث الإفك — فلما رجعتُ إلى الرحل ذهبتُ ألتمسه في عنقي فلم أجده ، وقد أخذ الناس في الرحيل — قالت : — فرجعتُ ألتمسه حتى وجدته ، وجاءوا خلاف القوم الذين كانوا يرحلون لي البعير ، فأخذوا الهودج وهم يظنون أني فيه كما كنت أصنع...] .

وزنها خفيف جداً لم ينتبهوا ، فلو انتبهوا لما كان حديث الإفك — لو انتبهوا أن الهودج خفيف لما كان حديث الإفك — لو أنها تبحث عن العقد في مكانٍ قريب لما كان حديث الإفك ، لو أنهم رأوا شخصاً من بعيد ، لتفقدوها ، وذهبوا إليها ولما كان حديث الإفك ، معنى ذلك الحدث مقصود لذاته .

أحياناً تقع معك مشكلة؛ لو لم أسافر لما كانت، لو لم أسلك هذا الطريق لما كانت، لو لم أركب هذه المركبة لما كانت، لو لم تظهر لي حاجة للسفر لما كانت.
فلذلك...

" لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةٌ وَمَا بَلَغَ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئْهُ وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبْهُ "

شيءٌ مريحٌ جداً أن تقول : إذا شاء الله أمراً فعله ..
"... فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ "

أي أنك حينما تكون مؤمناً تلغي من قاموسك كلمة لو ، فكأنها غير موجودة ، الشدة النفسية تأتي من الندم ؛ فلا ندم ، ولا تمنى ، ولا حسرة ، ولا حزن ، كل هذه المعاني غير موجودة ، فهذا حديث مهم جداً ، أحياناً التعليم عن طريق الأفعال أقوى من الأقوال ، لغة العمل أبلغ من لغة القول .

كان من الممكن ألا يقع هذا الحديث ، لأكثر من عشرين سبب ، لكن الأحداث التي وقعت في عهد النبي ﷺ ؛ أحداثٌ مقصودةٌ لذاتها لتكون تشريعاً ، ولتكون السيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — قدوةً لكل امرأةٍ في الأرض أصيبت بسمعتها .

[... فأخذوا اليهودج وهم يظنون أني فيه كما أصنع، فاحتملوه، فشدوه على البعير، ولم يشكوا أني فيه، ورجعت إلى العسكر وما فيه داع ولا مجيب، قد انطلق الناس ...].

معنى ذلك أنها ابتعدت، فلما رجعت مكان اليهودج رأت الناس قد ارتحلوا، لا سميع ولا مجيب ولا قريب. قالت :

[... فتلفت بجلبابي ثم اضطجعتُ في مكاني الذي ذهبت إليه ، وعرفت أن قد لو افتقدوني رجعوا إلي ... — فقد كانت حكيمة، لعلمهم يفتقدونها بعد حين فيرجعوا إلى المكان الذي انطلقوا منه — قالت :

[... فوالله إني لمضطجعة إذ مرَّ بي صفوان بن المعطل السلمي ...].

لو لم يتأخر صفوان لما كان حديث الإفك.

فأنا أريد أن أزيد من قناعة القارئ أن كل شيء وقع أرادَه الله لحكمةٍ بالغةٍ بالغة ، يجب أن تعلم علم اليقين أن كل شيء وقع أرادَه الله، وأن كل شيء أرادَه الله وقع ، وأن إرادة الله متعلقةٌ بالحكمة المطلقة، وأن حكمته المطلقة متعلقةٌ بالخير المطلق، هذا الصحابي الجليل مرَّ بها [... وكانت مضطجعةً قد تلفت بجلبابها في مكانها الذي تركوها فيه ، وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته ...]. نشأت له حاجة فتخلف عن العسكر ، فلو لم تنشأ له حاجة لما

تخلف عن العسكر ولما كان حديث الإفك ، لو لم يتأخر لافتقدوها بعد حين ، رجعوا إلى المكان فوجدوها فحملوها وانطلقوا ، فلم يكن هناك حديث إفك..

[... فلم يبيت مع الناس في العسكر ، فلما رأى سوادي — لم يرى منها شيء ، ملففةً بجلبابها — أقبل حتى وقف عليّ فعرفني — دققوا الآن — وقد كان يراني قبل أن يضرب علينا الحجاب ، فلما رآني قال : إنا لله وإنا إليه راجعون أظعينة رسول الله ؟! وأنا متلففةً بثيابي ، قال : فما خلفك رحمك الله ؟ قالت : فما كلمته ثم قرّب البعير حتى أركبني ، حتى قال لي: اركبي رحمك الله واستأخر عني ، قالت : فركبت وجاء فأخذ برأس البعير فانطلق بي سريعاً يطلب الناس...].

هل يستطيع هذا الصحابي الجليل أن يفعل غير هذا الذي فعل ؟ صحابي جليل يرى أم المؤمنين ، يرى زوجة رسول الله ﷺ ، يرى ظعينة رسول الله ﷺ متخلفةً عن الركب وحدها ، متلفعةً بثيابها ، هل يستطيع أن يتركها ويمضي ؟ مستحيل.

[... فما كلمته . ثم قرّب البعير وقال : اركبي رحمك الله واستأخر عني، قالت : فركبت وأخذ برأس البعير ، فانطلق بي سريعاً يطلب الناس ، فوالله ما أدركنا الناس ، وما افتقدت حتى أصبحت ونزل الناس ، فلما اطمأنوا ، طلع الرجل يقودني ، فقال أهل الإفك ما قالوا — رأوا زوجة رسول الله ﷺ على بعير صفوان بن المعطل السلمي — فارتج العسكر ، فوالله ما أعلم بشيء من ذلك ، ثم قدمنا المدينة فلم أمكث أن اشتكيت شكوى شديدة ، ولا يبلغني شيء من ذلك ، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبوي ، ولا يذكران لي من ذلك قليلاً ولا كثيراً ...] .

فلماذا لم يذكر النبي ﷺ لها قليلاً ولا كثيراً ولا أبوها وأُمها ؟ لتقتهم الكبيرة بأنها طاهرة ، فأصعب شيء أن تتهم إنساناً بريئاً ، شيء لا يحتمل، ظلم شديد أن تفتري على إنسان إفتراء لا أصل له .

[... إلّا أنني قد أنكرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض لطفه بي ، إن كنت إذا اشتكيت رحمني ولطف بي ، فلم يفعل ذلك في شكواي تلك — فهي كانت مريضة — فأنكرت منه ، كان إذا دخل عليّ وأمي تمرّضني قال : كيف تيكَم ؟ ولا يزيد عليّ ذلك ، أما من قبل كان إذا دخل عليّ وأنا مريضة يقول : كيف عويش ؟ ...] .

عويش من ألفاظ التحبّب لاسم عائشة ، فهناك أسماء يُتحبب بها بتعديلها ، تصغيرها ، أو اختصارها ، أو ترخيمها ، كان عليه ﷺ يقول : [كيف عويش ؟].. أما الآن يقول : [كيف تيكَم ؟] .

[... أنكرت منه ذلك ، حتى وجدت في نفسي مما رأيت من جفائه عني فقلت له : يا رسول الله لو أذنت لي فانتقلت إلى أُمي فمرّضتني ، قال : لا عليك اذهبي إن شئت ...] .

استأذنت النبي ﷺ في أن تذهب إلى بيت أهلها — قال: لا عليك.

قالت: [فانتقلت إلى أمي ولا أعلم بشيء مما كان، حتى نقيت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة].

قالت: [وكنا قوماً عرباً لا نتخذ في بيوتنا هذه الكُف التي تتخذها الأعاجم ، نعافها ونكرها وإنما كنا نخرج في فُسْح المدينة ، وإنما كان النساء يخرجن كل ليلة في حوائجهن ، فخرجت لبعض حاجتي ومعى أم مسطح بنت رهم بن المطلب ، وكانت أمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر].

قالت: [فوالله إنها لتمشي معي إذ عثرت في مرطها — أي في كسائها — فقالت: تعس مسطح .].

الآن أول خبر يصل إلى عائشة ، هي ماذا رأت ؟ رأت النبي يجافئها ، ولكن ليس جفاء مطلقاً بل جفاء نسبياً ، كيف تيكمن ؟ سابقاً كيف عويش ؟ ، فالإنسان الحساس الذي عنده مشاعر رقيقة يشعر بأدق التغيرات ، فاستأذنت النبي ﷺ أن تنتقل إلى بيت أهلها فأذن لها ، وهي في طريق قضاء حاجتها قالت لها هذه المرأة : [تعس مسطح .] .

قلت: [بنس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بديراً ...] . هي لا تعلم ماذا حدث تقول : بنس مسطح . وهي لا تعلم عنه إلا خيراً .

صحابي جليل رأى أم المؤمنين في الطريق، أركبها على جملة، وقادها إلى الركب، قالت: أو ما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر ؟.

قلت: [وما الخبر ؟ فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك ...] .

اتهمت بالفاحشة مع صفوان بن المعطل السلمي. مرة ثالثة ورابعة وخامسة ؛ مئة احتمال يمكن أن يلغى حديث الإفك ، ولكن الله أراده ، دليل هذا قول الله عز وجل في سورة النور :
من آية " ١١ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ ۚ بَلْ هُوَ

خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾

قس على هذا الحديث أنه إذا أصابك شيء تكرهه، اقرأ قوله تعالى سورة البقرة ٧٩:

﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٦﴾

الله ﷻ لطيفٌ لما يشاء ؛ فالله ﷻ ينقل الإنسان من حال إلى حال ، من مستوى إلى مستوى من منزلة إلى منزلة ، من مقام إلى مقام ، يؤدّب ، يهذّب ، يشجّع ، يقوي ، يعين ، يعطي خبرات عميقة ، ما الإنسان الناضج ؟ إلا مجموعة خبرات ، كل خبرة تعني أن فيها مأساة ، هناك مشكلة ، وهناك خبرة مؤلمة ألمّت به .

[... قلت: وما الخبر ؟ فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك] .

أنك لا تجد إنساناً إلا وله أعداء ، لأن معركة الحق والباطل معركة أزلية أبدية ، إن كنت مع أهل الحق فأهل الكفر والفسوق يعادونك ، وإن كنت مع أهل الإيمان فأهل الكفر يعادونك .

قالت: [وقد كان هذا ؟!] . استفهام إنكاري . قالت : [نعم والله لقد كان] .

هذا الذي حصل ، هذه الكلمة التي ألقيت على مسامع السيدة عائشة كأنها قنبلة .

قالت: [... فوالله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصدّع كبدي] .

فأصعب شيء على المرأة الشريفة الطاهرة أن تتهم بشرفها ، أصعب شيء على الإطلاق أن تتهم المرأة العفيفة الطاهرة بشرفها .

قالت : [وقلت لأمي — أي: هل علمت أُمي بهذا الخبر — يغفر الله لكِ تحدث الناس بما تحدثوا به ، وبلغك ما بلغك ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً !!] .

سألت أمها أنه يا أُمي تتحدث بهذا الخبر ، وأنت تبقين ساكنة ؟ قالت:

[أي بنيتي خفّضي الشأن فوالله قلّما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها ، لها ضرائر إلا أكثرن عليها] .

أي هذا شيء طبيعي ، معنى ذلك أن هناك حسداً ، أحياناً الإنسان يُحسد ، فالحسود يلقي بالتهمة جزافاً ليشفّي صدره من محسودة .

قالت : [وقد قام رسول الله ﷺ في الناس يخطبهم ولا أعلم بذلك . ثم قال :

[أيها الناس ما بال رجال يؤذونني في أهلي ويقولون عليهن غير الحق ، والله ما علمت منهن إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجلٍ والله ما علمت منه إلا خيراً ، وما دخل بيتاً من بيوتي إلا وهو معي] .

تألم النبي ﷺ ، لقد آذوه أشد الأذى ، آذوه في عرضه .

قال : " أيها الناس ما بال رجال يؤذونني في أهلي ويقولون عليهن غير الحق ، والله ما علمت منهن إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجلٍ — أي صفوان بن المعطل السلمي — والله ما علمت منه إلا خيراً ، وما دخل بيتاً من بيوتي إلا وهو معي "] .

قالت : [وكان قد كبرَ ذلك عند عبد الله بن أبي سلول في رجالٍ من الخزرج مع الذي قال

مسطح] . أي صار في أناس من الصحابة تألموا أشد الألم لهذا الحديث ، وأناس آخرون تساهلوا قليلاً ، ومنافقون كثر شمتوا ، وفرحوا ، وأحبوا أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا .

قالت : [... ثم دخل عليّ رسول الله ﷺ وعندي أبواي ، وعندي امرأة من الأنصار ، وأنا أبكي وهي تبكي معي ، فجلس وحمد الله وأثنى علي ثم قال :

[يا عائشة إنه قد كان ما بلغك من قول الناس فاتقي الله، إن كنتِ اقترفتِ سوءاً مما يقول الناس فتوبي إلى الله فإن الله يقبل التوبة عن عباده].

قالت: [فو الله ما هو إلا أن قال ذلك تقلص دمعي حتى ما أحس منه شيئاً، وانتظرت أبوي أن يجيبا رسول الله، فلم يتكلما].

قالت : [وأيم الله لأنا كنت أحقر في نفسي ، وأصغر شأناً من أن ينزل الله عز وجل في قرآناً يُقرأ به في المساجد ويصلّى به ، ولكنني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في نومه شيئاً يكذب الله به عني لما يعلم من براءتي ، أو يُخبر خبراً ، فأما قرآنٌ ينزل في فو الله لنفسي كانت أحقر عندي من ذلك] .

تصوّرت أن الله يبرئها بمنام يراه النبي ﷺ ، بطريقة أو بأخرى ، أما أن ينزل وحي ، قرآن يُتلى إلى يوم القيامة في براءة هذه السيدة المصونة !! .

قالت : [والله كنت أحقر في نفسي من أن ينزل قرآنٌ في] .

قالت : [فلما لم أرَ أبوي يتكلمان قلت: ألا تجيبان رسول الله ؟ فقالا لي: والله ما ندري بماذا نجيبه . شيء مسكت ، تهمة كبيرة جداً لامرأة طاهرة عفيفة ، زوجها رسول الله ، أبوها أبو بكر ، أمها أم رومان ، قمم ، والتهمة كبيرة ، وبعدُ فأية امرأة إلى يوم القيامة اتهمت كما اتهمت السيدة عائشة ؛ ففي هذه السيدة المصونة أسوة حسنة .

قالت : [وأيم الله ما أعلم أهل بيتٍ دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكرٍ في تلك الأيام] .

الحياة فيها متاعب كثيرة، فأحياناً هناك متاعب لا يعلمها إلا الله تصيب الإنسان ..

" إن أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل " .

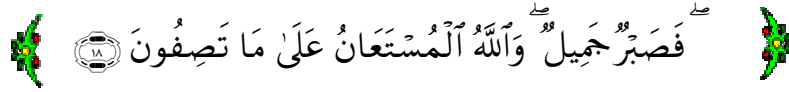
الإنسان يُبتلى على قدر إيمانه، فإن كان قوي الإيمان اشتد بلاؤه، وهذا البلاء يرفع درجاته عند الله ﷻ .

فلما قال لها النبي الكريم ﷺ: [يا عائشة إنه قد كان ما بلغك من قول الناس فاتقي الله، وإن كنتِ اقترفتِ سوءاً مما يقول الناس فتوبي إلى الله، فإن الله يقبل التوبة عن عباده].

قالت : [فو الله ما هو إلا أن قال ذلك حتى تقلص دمعي ، هنا استعبرت فبكيت ، ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً ، والله لئن أقررت بما يقول الناس والله يعلم أنني بريئة منه تصدقوني عندئذٍ ، لأقولن ما لم يكن ، ولئن أنا أنكرت ما تقولون لا تصدقوني !!] .

قالت : [ثم التمسيت اسم يعقوب فما أذكره، ولكنني أقول كما قال أبو يوسف: فصبرٌ جميل والله المستعان على ما تصفون].

أن الحزن خلّاق، فالمصائب أحياناً تصنع الرجال وتصنع النساء، المصائب محك، الإنسان حينما يمرُّ بظروف صعبة يصبح رجلاً بالمعنى الكبير، والمرأة حين تمرُّ بظروف صعبة تصبح أماً كبيرة.



قالت : [والله ما برح رسول الله مجلسه — وهو لا زال في المجلس — حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه ، فسُجِّي بثوبه ، ووضعت وسادة من أدم تحت رأسه ، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت فوالله ما فزعت كثيراً ، ولا باليت ، وقد عرفت أنني بريئة ، وأن الله غير ظالمي ، وأما أبوي فوالذي نفس عائشة بيده ما سرّني عن رسول اله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت أن نفسيهما ستخرجان فرقاً من أن يأتي من الله تحقيق ما قاله الناس .]

هي مطمئنة لأنها بريئة ، أما أبوها وأمها في قلقٍ شديدٍ جداً ، فلربما يُثَبِّتُ الوحي ما قاله الناس .

قالت : [ثم سرّني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس وإنه ليتحدّر منه مثل الجُمان في يومٍ شاتٍ ، فجعل يمسح العرق عن جبينه ويقول : [أبشري يا عائشة لقد أنزل الله براءتك] .]

الإنسان أحياناً كثيرة ما له إلا الله ، فانه يعلم الحقيقة ، إذا كان قلبك سليماً ، وإذا كنت مستقيماً ، وإذا كنت بريئاً فلا تخشَ أحداً، الله عزّ وجل سوف يبرّئك .

قالت : [فقلت : بحمد الله وذنبكم . ثم خرج إلى الناس فخطبهم ، وتلا عليهم ما أنزل الله عزّ وجل من القرآن في] .

بقي تعليق صغير على هذه الرواية، أن السيدة أم رومان لما نزلت براءة السيدة عائشة قالت لابنتها السيدة عائشة: " يا بنيتي قومي إلى رسول الله فاشكريه " . قالت: والله لا أقوم إلا لله . فتبسّم النبي ﷺ وقال : "عرفت الحق لأهله " .

وآيات براءة الصديقة بنت الصديق، الطاهرة المؤمنة عائشة هي قوله تعالى في سورة النور:

﴿لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُنَّ جُزْءٌ مِّمَّا كَسَبْنَ ۖ وَكُلٌّ أَتَوْهُنَّ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِنَّ لِيُخْبَرُنَّ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ۚ

أَمْرٍ مِّنْهُنَّ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُنَّ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۚ

وليس معنى نزول البراءة أن الذي رَوَّج هذا الحديث لن يُحاسب..

﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُنَّ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۚ

علامة الإيمان أن تحسن الظن بإخوانك يقول الله ﷻ سورة النور من آية " ١٢ " :

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ

مُبِينٌ﴾

فإذا كنت بريئاً، وقد ألصقت بك تهمةً شائنة، وكنت صادقاً، وكنت متأكداً، واثقاً من نفسك، لا تخشَ في الله أحداً، الله عزَّ وجل اسمه الحق، ومعنى اسمه الحق أي لا بدَّ من أن يحقَّ الحق.

* * *

رضي الله عن هذه السيدة الحصان العفيفة، التي امتحنها الله عزَّ وجل في أعز ما تملك، وصبرت، واحتسبت، فأنزل الله براءتها.

وكل واحد يمكن أن يستنبط من هذه القصة أن الله هو الحق ، وأنه لا بدَّ من أن يحقَّ الحق ، فإن كنت واثقاً من براءتك واستقامتك فإله سبحانه وتعالى يتولَّى الدفاع عنك؛ ولكن إياك أن تجلس مجلساً فيه مظنة اتهام لك ، وتلوم الناس إذا اتهموك ، لا تضع نفسك موضع التهمة وتلوم الناس إذا اتهموك ، كان ﷺ يمشي مع زوجته صفية فرأى صحابيين جليلين قال : " هذه زوجتي صفية " .

تعلم من هذه الواقعة أن تكون واضحاً إلى أبعد الحدود، تعلم من هذه الواقعة أن تكون مبيناً إلى أبعد الحدود، وقد قيل: "البيان يطرد الشيطان".

عود نفسك أن تفعل شيئاً لا يمكن أن يفسَّر إلا تفسيراً واحداً ، الشيء الذي يمكن أن يفسَّر تفسيرين ابتعد عنه ، وإذا تلبَّست به ؛ وضَّح قصدك ومرادك ، فلو أن الناس اتبعوا النبي ﷺ فيما قال : " هذه زوجتي صفية " .

وفي هذا الحديث درسٌ بليغٌ للمؤمنين ..

أول استنباط: إذا أراد الله شيئاً وقع.

الاستنباط الثاني: إذا كنت على حق، فالله عزَّ وجل سوف يتولَّى تبرئتك.

الاستنباط الثالث: لا ينبغي أن تضع نفسك موضع التهمة، ثم تلوم الناس إذا اتهموك.

ثالثاً: موقفها مع علي رضي الله عنه وموقعة الجمل

موقعة الجمل

الأسس والدوافع

رُوِّعت مدينة رسول الله ﷺ بمقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه في واحدة من المآسي الكبرى في التاريخ، ولم يكن مقتله عن ذنب اقترفه أو جرم ارتكبه أو سياسية باطشة التزمها أو ظلم أوقعه على أمته، وإنما استشهد في فتنة عمياء شهدتها المدينة المنورة، دبر لها من

دبر، وأعد لها مخطوطها لتفريق الأمة، وشغلها في حرب طاحنة تلتهم ثرواتها وزهرة شبابها، وتستنفد ثرواتها ومقومات حياتها.

وكان وراء إثارة هذه الفتنة اليهودي "عبد الله بن سبأ"، الذي ادعى الإسلام في عهد عثمان وبث أفكاره الخبيثة بالناس، وأخذ بنشرها في البلاد، وراح يخطط للنيل من عثمان بن عفان وولاته؛ فاستجاب له بعض ضعاف النفوس وأهل الأهواء.

سيطر الثائرون وأهل الفتنة على المدينة المنورة، وكانوا نحو عشرة آلاف من البصرة والكوفة ومصر، وبقيت الأمة بغير خليفة يدبر لها أمورها، وظل "الغافقي بن حرب" وهو من زعماء الفتنة يصلي بالناس إماما في مسجد النبي ﷺ عدة أيام قبل أن يختار الناس خليفتهم، وأصبح الناس في حيرة من أمرهم.

وفي هذا الموقف العصيب لم يكن هناك من الصحابة من هو أجدر لمنصب الخلافة الراشدة من علي بن أبي طالب ﷺ فهو أقدمهم سابقة في الإسلام، وأشدّهم بأسا وشجاعة، وأكثرهم علما وفقها، وأبلغهم لسانا وبيانا؛ فاتجهت إليه الأنظار، وتعلقت به القلوب والآمال ليحمل مسئولية الأمة وقيادة الركب في هذه الفتنة الهوجاء والمحنة القاسية التي ألّمت بالمسلمين، فقبل المنصب، وتحمل تبعاته بشجاعة واحتساب صادق، وتمت البيعة المباركة في اليوم (٢٥ من ذي الحجة ٣٥ هـ = ٢٤ من يونيو ٦٥٦م).

المهمة الصعبة

تولى علي بن أبي طالب ﷺ الخلافة ودم سلفه العظيم عثمان بن عفان ﷺ لم يجف بعد، وقاتلوه لا يزالون بالمدينة، وعليه أن يقتص من قتلة عثمان ﷺ ويعيد للخلافة هيبتها، وكان ذلك مطلبا عاما؛ فذهب إليه طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام — رضي الله تعالى عنهما — يطلبان منه أن يقيم حد القصاص على قتلة عثمان ﷺ فأجابهما بأن الأمر يحتاج إلى تمهل وتأن؛ فالذين قاموا بالقتل عدد قليل، ولكن وراءهم عشرة آلاف يملئون المدينة قد خدعوا بهم وهم مستعدون للدفاع عنهم؛ ولذلك عندما كانوا يسمعون قائلا يقول: من قتل عثمان؟ كانوا يجيبون في صيحة واحدة نحن جميعا قتلناه، فاقتنع الصحابي الجليلان — رضي الله تعالى عنهما — بما قاله علي بن أبي طالب ﷺ لهما.

وكانت الخطوة التي أقدم عليها أمير المؤمنين "علي" ﷺ هي عزل كل الولاة الكبار الذين كانوا على عهد عثمان ﷺ حتى تهدأ الفتنة وتستقر الأمور، وكان هؤلاء الولاة قد اتخذهم أهل الفتنة والثورة ذريعة للطعن على عثمان بن عفان ﷺ والخروج عليه، واتهامه ظلما وبهتاناً بمحاباتهم ومجاملتهم؛ فعزل " معاوية بن أبي سفيان " عن ولاية الشام، و" عبد الله بن سعد بن

أبي السرح" عن ولاية مصر، و" عبد الله بن عامر" عن ولاية البصرة، و" أبا موسى الأشعري
" عن ولاية الكوفة عليه السلام.

أصداء القرارات الصعبة

وهذا القرار الأخير راجعه فيه ابن عمه عبد الله بن عباس عليه السلام لا اعتراضا على القرار الذي هو من حق الخليفة في أن يعين من يراه جديرا بتحمل المسؤولية، والقيام بأمر الولاية التي يتولاها على خير وجه، وأن يكون هناك تنسيق بين الخليفة وأمرائه في الولايات، ولكن لأن الأوضاع العامة لا تزال مضطربة، والنفوس مشتتة، والفتنة قائمة تحتاج إلى وقت حتى تهدأ. ولذا اقترح عليه ابن عباس أن يرجئ تنفيذ هذا القرار فترة ولو لمدة سنة، أو يعزل من يشاء من الولاة، ويبقي معاوية على ولاية الشام؛ لأن معاوية لم يكن محل شكوى الشائرين، ولم يشترك أهل الشام في الفتنة، ولكن الإمام علي أصر على تنفيذ القرار؛ محتجا بأن الثائرين إنما ثاروا غضبا من ولاية عثمان، ولن تهدأ ثورتهم ما لم يُعزلوا، وكان من أثر ذلك أن الولاة الجدد تسلموا مهامهم خلفا لولاية عثمان، في الوقت الذي رفض معاوية بن أبي سفيان أن ينفذ القرار، ومنع دخول " سهل بن حنيف " الوالي الجديد إلى الشام من قبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

دارت رسائل ومخاطبات بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان حول هذا الشأن؛ الأول يطلب من الآخر أن يبايعه بالخلافة، وأن يذعن لأوامره باعتباره الخليفة الشرعي المبايع من كبار الصحابة. على حين يطالب معاوية من الخليفة أن يقتص من قتلة عثمان باعتباره ولي دمه؛ لأنه ابن عمه قبل أن يبايعه بالخلافة.

وقد ظل الأمر على هذا النحو شهرين من خلافة علي، والرسائل تدور بينهما دون أن تحقق نتيجة مرضية؛ حتى فوجئ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام برسالة من معاوية تتضمن عبارة واحدة "من معاوية إلى علي"؛ وهو ما يعني أن معاوية لم يقر بخلافة علي بن أبي طالب عليه السلام وأنه مُصر على موقفه؛ إذ لم يصفه بأمر المؤمنين، وأدرك علي عليه السلام أن حمل معاوية على البيعة لن يكون إلا بالقوة؛ فاستعد لذلك، وإن كانت هذه الخطوة نصحه في عدم الإقدام عليها بعض الصحابة، ومنهم ابنه " الحسن بن علي " عليه السلام.

موقعة الجمل

وفي الوقت الذي أخذ فيه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يجهز للخروج إلى الشام، جاءه ما لم يكن يتوقع؛ فقد كانت أم المؤمنين السيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — قد أدت فريضة

الحج، فسمعت وهي في طريقها إلى المدينة بنياً مقتل عثمان، فغضبت لهذه الجريمة البشعة، وقفلت راجعة إلى مكة، وأخذت تردد: "قتل والله عثمان مظلوماً،".

وفي مكة التقت بطلحة والزبير وبعض بني أمية من قوم عثمان، وتشاوروا في الأمر، وانتهى بهم الأمر إلى الاتجاه نحو البصرة؛ باعتبارها أقرب بلد من البلاد التي اشترك أهلها في الفتنة والخروج على عثمان رضي الله عنه.

وصلت هذه الأنباء إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فاضطر إلى تغيير خطته بالذهاب إلى البصرة لا إلى الشام قبل أن يصل جيش السيدة عائشة — رضي الله تعالى عنها — ومن معها إلى البصرة، لكنها كانت أسبق منه في الوصول إليها، غير أن والي البصرة "عثمان بن حنيف" أصر على منعهم من دخول البصرة، ودارت معركة صغيرة قتل فيها نحو ٦٠٠ من الفريقين؛ فارتاعوا من كثرة القتلى، وتنادوا إلى السلم وعقد الصلح وانتظار قدوم الإمام علي رضي الله عنه إلى البصرة.

وصل الإمام علي إلى البصرة، وعلم بما حدث من سفك الدماء؛ فأرسل رسولا إلى معسكر السيدة عائشة — رضي الله تعالى — عنها لبحث الأمر، وكانت النيات حسنة تبغي الإصلاح؛ فاتفقوا على الصلح، وتجديد البيعة للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

غير أن أنصار الفتنة ساءهم هذا الاتجاه، وأدركوا أن الصلح بين الفريقين لا يتفق وأهدافهم، وسيجعل علي يقوى بانضمام الفريق الآخر إليه، ويجعله قادراً على إقامة الحد عليهم باعتبارهم قتلة عثمان؛ ولم يكن لعلي حيلة في وجودهم في معسكره، ولا يقدر على منعهم؛ لكونهم قوة كبيرة تساندتهم عصبية قلبية؛ مما ضعف من صلابة جيش علي ووحدته، وأثار الفرقة والانقسام فيه فيما بعد، ولذا سارع زعيم الفتنة "عبد الله بن سبأ" بأن قدم لأصحابه اقتراحاً مؤداه أن يشنوا غارة بدون علم الإمام علي في جنح الليل على جيش السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها، وهم نائمون؛ فقام أتباعه بتنفيذ اقتراحه، وكان هذا مقدمة لحرب "الجمل" التي راح ضحيتها اثنان من خيرة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هما طلحة والزبير — رضي الله عنهما — ونحو ٢٠ ألفاً من المسلمين.

والحقيقة أن الصحابة الكرام لم يكونوا راغبين في إراقة الدماء، ولا يمكن أن يقع ذلك منهم، وقد رأينا رغبتهم في الصلح وحقن الدماء لولا أن أتباع ابن سبأ أفسدوا كل شيء، وأشعلوا الحرب بعد أن قتلوا عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وبعد المعركة أسند علي ولاية البصرة إلى عبد الله بن عباس، وانصرف إلى الكوفة ليستعد لإخضاع معاوية بن أبي سفيان أمير الشام الذي أعلن المعارضة من دون الولاية، وحاول الخليفة أن يحسم الأمر بالحسنى والسلم، لكن المفاوضات بينهما لم تصل إلى حل يحقن الدماء

لإصرار معاوية على مطلبه بتسليم قتلة عثمان ليقتلوا به، ثم يكون الأمر للأمة إن شاءت اختارت عليا وإن شاءت رفضت بيعته.

درء الشبهات

هذه الواقعة جعلت الرافضة وهي فرقة مارقة عن الإسلام يتناولون على السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها، قديماً حيث تصدي لهم الإمام ابن تيمية باقتدار شديد، وحديثاً مثل ما ادعاه الدكتور محمد التيجاني السماوي، تونسسي الأصل حاصل على الدكتوراه في الفلسفة من جامعة السربون وكان سنياً ثم اعتنق المذهب الرافضي فألف كتابه والمعنون بـ " ثم اهتديت " والكتاب من منشورات مؤسسة الفجر بلندن ويقوم حالياً ببلجيكا بعد أن طردته الحكومة التونسية من أراضيها، ولقد تصدي له الدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي فرد عليه بكتابه المعنون بـ " كتاب الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال " وهو الذي اعتمدنا عليه كثيراً في بحثنا هذا.

يقول هذا الرافضي: طاعناً في أم المؤمنين عائشة — رضي الله عنها وأبيها — ص ١٣٩ وما بعدها:

«ونتساءل عن حرب الجمل التي أشعلت نارها أم المؤمنين عائشة، إذ كانت هي التي قادتها بنفسها، فكيف تخرج أم المؤمنين عائشة من بيتها التي أمرها الله بالاستقرار فيه بقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (الأحزاب: ٣٣).

ونسأل بأي حق استباححت أم المؤمنين قتال خليفة المسلمين علي ابن أبي طالب وهو ولي كل مؤمن ومؤمنة....

ولمزيد البحث وليطمئن قلبي أقول أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الفتن التي تموج كموج البحر قال: لما سار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة بعث علي عمار بن ياسر والحسن بن علي فقدا علينا الكوفة، فصعدا المنبر فكان الحسن بن علي فوق المنبر في أعلاه، وقام عمار أسفل من الحسن ، فاجتمعنا إليه فسمعت عماراً يقول: إن عائشة قد سارت إلى البصرة ، ووالله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة ، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم ليعلم إياه تطيعون أم هي. كما أخرج البخاري أيضاً في كتاب الشروط، باب ما جاء في بيوت أزواج النبي ﷺ قال: قام النبي ﷺ خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة، فقال: ههنا الفتنة ههنا الفتنة ههنا الفتنة، من حيث يطلع قرن الشيطان.... وبعد كل هذا أتساءل كيف استحقت عائشة

كل هذا التقدير والاحترام من أهل السنة والجماعة، أ لأنها زوج النبي ﷺ ، فزوجاته كثيرات، وفيهن من هي أفضل من عائشة بتصريح النبي ﷺ نفسه].

جوابه:

أن قوله إنها أشعلت نار حرب الجمل وقادتها بنفسها... الخ كلامه فهذا من أظهر الكذب الذي يعلم فساده كل من له إطلاع على التاريخ وأحداث موقعة الجمل، وذلك أن هذه المعركة لم تقع بتدبير أحد من الصحابة لا علي ولا طلحة ولا الزبير ولا عائشة، بل إنما وقعت بغير اختيار منهم ولا إرادة لها، وإنما أنشب الحرب بينهم قتلة عثمان لما رأوا أن الصحابة ﷺ أوشكوا على الصلح، كما نقل ذلك المؤرخون وصرح به العلماء المحققون للفتنة وأحداثها: يقول الباقلاني في كتابه [التمهيد في الرد على الملحدة ص ٢٣٣]: « وقال جلة من أهل العلم إن الوقعة بالبصرة بينهم كانت على غير عزيمة على الحرب بل فجأة، وعلى سبيل دفع كل واحد من الفريقين عن أنفسهم لظنه أن الفريق الآخر قد غدر به، لأن الأمر كان قد انتظم بينهم وتم الصلح والتفرق على الرضا، فخاف قتلة عثمان من التمكن منهم والإحاطة بهم ، فاجتمعوا وتشاوروا واختلفوا، ثم اتفقت أرائهم على أن يفترقوا ويبدؤوا بالحرب سحرة في العسكرين ، ويختلطوا ويصيح الفريق الذي في عسكر علي: غدر طلحة والزبير، ويصيح الفريق الآخر الذي في عسكر طلحة والزبير: غدر علي، فتم لهم ذلك على ما دبروه، ونشبت الحرب، فكان كل فريق منهم مدافعاً لمكروه عن نفسه، ومانعاً من الإشاطة بدمه، وهذا صواب من الفريقين وطاعة لله تعالى إذا وقع، والامتناع منهم على هذا السبيل، فهذا هو الصحيح المشهور، وإليه نميل وبه نقول».

ويقول ابن العربي في كتابه [العواصم من القواصم ص ١٥٩]: « وقدم علي البصرة وتدانوا ليتراءوا، فلم يتركهم أصحاب الأهواء، وبادروا بإراقة الدماء، واشتجر بينهم الحرب، وكثرت الغوغاء على البغواء، كل ذلك حتى لايقع برهان، ولا تقف الحال على بيان، ويخفى قتلة عثمان، وإن واحداً في الجيش يفسد تدبيره فكيف بألف».

ويقول ابن حزم في كتابه [الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢٣٨/٤-٢٣٩]: « وأما أم المؤمنين والزبير وطلحة ﷺ ومن كان معهم فما أبطلوا قط إمامة علي ولا طعنوا فيها... فقد صح صحة ضرورية لا إشكال فيها أنهم لم يمشوا إلى البصرة لحرب علي ولا خلافاً عليه ولا نقضاً لبيعته... وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان أن الإغارة والتدبير عليهم، فبيتوا عسكر طلحة والزبير، وبذلوا السيف فيهم فدفع القوم عن أنفسهم فرُدُّوا حتى خالطوا عسكر علي، فدفع أهله عن أنفسهم، وكل طائفة تظن

ولا تشك أن الأخرى بدأتها بالقتال، فاختلف الأمر اختلافاً لم يقدر أحد على أكثر من الدفاع عن نفسه، والفسقة من قتلة عثمان، لعنهم الله لا يفترون من شب الحرب وإضرارها». فهذه بعض من أقوال العلماء المحققين كلها متفقة على أن الحرب يوم الجمل نشأت بغير قصد من الصحابة ولا اختيار منهم، بل إنهم كانوا كارهين لها، مؤثرين الصلح على الحرب، ولم يكن لأي أحد من الصحابة أي دور في نشوبها ولا سعي في إثارتها، لا عائشة — رضي الله عنها — كما زعم هذا الرافضي ولا غيرها، وإنما أوقد جذوتها وأضرم نارها سلف هذا الرافضي الحاقد، وغيرهم من قتلة عثمان رضي الله عنه وهو اليوم يرمي أم المؤمنين بذلك، فعليهم من الله ما يستحقون، ما أشد ابتلاء الأمة بهم، وأعظم جنايتهم عليها قديماً وحديثاً. وأما قوله: إنها خرجت من بيتها، وقد أمرها الله بالاستقرار فيه في قوله تعالى: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى}. [سورة الأحزاب آية ٣٣].

فالرد عليه:

أن السيدة عائشة — رضي الله عنها — إنما خرجت للصلح بين المسلمين، ولجمع كلمتهم، ولما كانت ترجو من أن يرفع الله بها الخلاف بين المسلمين لمكانتها عندهم، ولم يكن هذا رأيها وحدها، بل كان رأي بعض من كان حولها من الصحابة الذين أشاروا عليها بذلك. يقول ابن العربي في كتابه [أحكام القرآن ٥٦٩/٣-٥٧٠]: «وأما خروجها إلى حرب الجمل فما خرجت لحرب، ولكن تعلق الناس بها وشكوا إليها ما صاروا إليه من عظيم الفتنة وتهارج الناس، ورجوا بركتها في الإصلاح وطمعوا في الاستحياء منها إذا وقفت للخلق، وظنت هي ذلك، فخرجت مقتدية بالله في قوله: [لاخير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس] وبقوله: [وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما] والأمر بالإصلاح، مخاطب به جميع الناس من ذكر أو أنثى حر أو عبد...». وجاء في: [تاريخ الطبري ٤/٤٦٢].. "إن الغوغاء من أهل الأمصار، ونزاع القبائل، غزوا حرم رسول الله ﷺ، وأحدثوا فيه الأحداث، وآووا فيه المحدثين، واستوجبوا فيه لعنة الله ولعنة رسوله مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلا تره ولا عذر، فاستحلوا الدم الحرام فسفكوه، وانتهبوا المال الحرام، وأحلوا البلد الحرام، والشهر الحرام، ومزقوا الأعراض والجلود، وأقاموا في دار قوم كانوا كارهين لمقامهم، ضارين مضرين غير نافعين ولا متقين، ولا يقدرون على امتناع ولا يأمنون، فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم وما فيه الناس وراعاة، وما ينبغي لهم أن يأتوا في إصلاح هذا، وقرأت: { لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس } فنهض في الإصلاح ممن أمر الله عز وجل، وأمر رسول الله ﷺ الصغير والكبير والذكر والأنثى، فهذا شأننا إلى معروف نأمركم به ونحضكم عليه، ومنكر ننهاكم عنه ونحثكم على تغييره".

وفي [الثقات لابن حبان ٢/٢٨٢] وهو يتحدث عن خروج السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قال: "..... وقد خرجت مصلحة بين الناس، فمر من قبلك بالقرار في منازلهم، والرضا بالعافية حتى يأتيهم ما يحبون من صلاح أمر المسلمين).

وجاء في [تاريخ الطبري ٤/٤٨٨، والبداية والنهاية لابن كثير ٧/٢٤٨]: "ولما أرسل علي القعقاع بن عمرو لعائشة ومن كان معها يسألها عن سبب قدومها، دخل عليها القعقاع فسلم عليها، وقال: (أي أمة ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة؟ قالت: أي بني إصلاح بين الناس). و نقل ابن العماد في [شذرات الذهب ١/٤٢] " وبعد انتهاء الحرب يوم الجمل جاء علي إلى عائشة - رضي الله عنها - فقال لها: (غفر الله لك، قالت: ولك، ما أردت إلا الإصلاح". فتقرر أنها ما خرجت إلا للإصلاح بين المسلمين، وهذا سفر طاعة لا ينافي ما أمرت به من عدم الخروج من بيتها، كغيره من الأسفار الأخرى التي فيها طاعة لله ورسوله كالحج والعمرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في مجموع الفتاوى الكبرى في الرد على الرافضة في هذه المسألة ص ١٣٩:

(فهمي - رضي الله عنها - لم تتبرج تبرج الجاهلية الأولى، والأمر بالاستقرار في البيوت لا ينافي الخروج لمصلحة مأمور بها، كما لو خرجت للحج والعمرة، أو خرجت مع زوجها في سفره، فإن هذه الآية قد نزلت في حياة النبي ﷺ وقد سافر بهن رسول الله ﷺ بعد ذلك كما سافر في حجة الوداع بعائشة - رضي الله عنها - وغيرها وأرسلها مع عبد الرحمن أخيها فأردفها خلفه، وأمرها من التنعيم، وحجة الوداع كانت قبل وفاة النبي ﷺ بأقل من ثلاثة أشهر بعد نزول هذه الآية، ولهذا كان أزواج النبي ﷺ يحججن كما كن يحججن معه في خلافة عمر رضي الله عنه وغيره، وكان عمر يوكل بقطارهن عثمان، أو عبد الرحمن بن عوف، وإذا كان سفرهن لمصلحة جائزاً، فعائشة اعتقدت أن ذلك السفر مصلحة للمسلمين فتأولت في ذلك).

وأما قول الرافضي: استباح قتال خليفة المسلمين... **فقد تقدم إنها ما خرجت لذلك، وما أرادت القتال،** وقد نقل الزهري عنها أنها في كتابه [المغازي ص ١٥٤] قالت بعد موقعة الجمل: (إنما أريد أن يحجز بين الناس مكاني، ولم أحسب أن يكون بين الناس قتال، ولو علمت ذلك لم أقف ذلك الموقف أبداً).

ولهذا ندمت - رضي الله عنها - بعد ذلك ندماً عظيماً على شهود موقعة الجمل، على ما روى ابن أبي شيبه عنها في مصنفه [١/٥٤٣] أنها قالت:

(وددت أني كنت غصناً رطباً، ولم أسر سيري هذا).

وفي [الكامل في التاريخ ٣/٢٥٤. لابن الأثير] أنها قالت للقعقاع بن عمرو: (والله لو دددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة).

وموقف عائشة — رضي الله عنها — هذا هو موقف علي عليه السلام من الحرب بعد وقوعها.
فقد روى [ابن أبي شيبة في مصنفه ٥٤١/٧]: أن علياً قال يوم الجمل: (اللهم ليس هذا أردت، اللهم ليس هذا أردت).

وعنه عليه السلام أنه قال: (وددت أني كنت مت قبل هذا بعشرين سنة) [المصدر نفسه ٥٤٤/٧، والكامل لابن الأثير ٢٥٤/٣].

فثبت بهذا أن السيدة عائشة — رضي الله عنها — ما أرادت القتال أولاً، وندمت أن شهدته بعد وقوعه، فلئن كان ذنباً فهو مغفور لها من وجهين: بعدم القصد، وبالتوبة منه، هذا مع ما ثبت أنها خرجت لمقصد حسن وهو الصلح بين المسلمين، فهي بذلك مأجورة على قصدها مغفور لها خطؤها.

وموقف علي عليه السلام من الحرب دليل على أنه يرى أنها حرب فتنة، ولهذا تمنى لو لم يدخلها، وأنه مات قبلها بعشرين سنة، وذلك لاشتباه الأمور فيها، ولكونه لم يظهر له أن في قتال مخالفه يوم الجمل حقاً ظاهراً، ولو أنه كان يعتقد في مخالفه ما يعتقده الرافضة فيهم من الكفر والردة عن الإسلام بحربهم لعلي عليه السلام، فإنه لو كان يعتقد فيهم هذا لما ندم على قتالهم ذلك الندم العظيم، وفرح بقتلهم وقتالهم لما في ذلك من عز الإسلام وقمع أعدائه، ولما فيه من الأجر العظيم. كما حصل ذلك منه بعد قتال الخوارج — مع كونه لا يعتقد كفرهم — إلا أنه فرح بقتالهم فرحاً عظيماً، وكبر الله سروراً بقتلهم لما تأكد له وصفهم، الذي عهد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ذلك وجود ذي الندية فيهم، على ما جاء ذلك مخرجاً في الصحيحين).

[انظر: صحيح البخاري: (كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام) فتح الباري ٦١٧-٦١٨، ح ٣٦١٠، وصحيح مسلم: (كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج) ٧٤٨-٧٤٩/٢]

وفي هذا أكبر رد على هؤلاء الرافضة الطاعنين في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم المتهمين لهم بالعظائم، فلو كان لهم عقول لما حادوا عن موقف علي من مخالفه الذي لم يكن يتهمهم في دينهم، ولا يذمهم بشيء مما يتشدد به هؤلاء الأفاكون المجرمون، بل ثبت ثناؤه عليهم، ووصفه لهم بالإيمان والتقوى، واستغفاره لهم، كما تقدم نقل ذلك مفصلاً فيما قد سبق من البحث وكما مر قريباً استغفاره لعائشة واستغفارها له فرضي الله عنهم جميعاً.

وأما طعن الرافضي في أم المؤمنين عائشة بقول عمار: (والله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم بها ليعلم إياه تطيعون أم هي).

فالرد عليه: أن ليس في قول عمار هذا ما يطعن به على عائشة — رضي الله عنها — بل فيه أعظم فضيلة لها، وهي أنها زوجة نبينا صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة، فأى فضل أعظم من هذا، وأي

شرف أسمى من هذا، فإن غاية كل مؤمن رضا الله والجنة، وعائشة — رضي الله عنها — قد تحقق لها ذلك بشهادة عمار — رضي الله عنه — الذي كان مخالفاً لها في الرأي في تلك الفتنة، وأنها ستكون في أعلى الدرجات في الجنة بصحبة زوجها رسول ﷺ، كما شهد لها بذلك علي نفسه بعد انتهاء حرب الجمل على ما نقل الطبري أنه جاءها فأثنت عليه خيراً وأثنى عليها خيراً وكان فيما قال كما هو في [تاريخ الطبري ٤/٥٤٤]: (أيها الناس صدقت والله وبرت... وإنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة).

وبهذا قد جاء الحديث الصحيح المرفوع إلى النبي ﷺ على ما روى الحاكم في المستدرک من حديث عائشة — رضي الله عنها — أن النبي ﷺ قال لها: (أما ترضين أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرة، قالت: بلى والله، قال: فأنت زوجتي في الدنيا والآخرة). [رواه الحاكم في المستدرک ١٠/٤، وقال: «حديث صحيح ولم يخرجاه» وقال الذهبي في التلخيص المطبوع في حاشية المستدرک: «صحيح» كما أورد هذا الحديث مصطفى العدوي في كتابه الصحيح المسند من فضائل الصحابة وحكم بصحة الحديث ص ٣٥٦].

فيكون هذا الحديث من أعظم فضائل السيدة عائشة — رضي الله عنها — ولذا أورد البخاري الأثر السابق عن عمار في مناقب عائشة — رضي الله عنها — (انظر: صحيح البخاري: (كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة — رضي الله عنها —)، فتح الباري ١٠٦/٧، ح ٣٧٧٢).

وطعن الرافضي به على عائشة دليل على ضعف عقله، وقلة فهمه، وهذا مصداق ما ذكره العلماء عنهم أن هؤلاء الرافضة هم أكذب الناس في النقليات وأجهل الناس في العقلیات [من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وقد تقدم نقل النص كاملاً ص ١٣٩]. فتبين أن أثر عمار هذا حجة على الرافضي لاله.

وأما قول عمار في الجزء الأخير من الأثر: (ولكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو إياها) فليس بمطعن على عائشة — رضي الله عنها — **وبيان ذلك من عدة وجوه:**

الوجه الأول: أن قول عمار هذا يمثل رأيه، وعائشة — رضي الله عنها — ترى خلاف ذلك، وأن ما هي عليه هو الحق، وكل منهما صحابي جليل، عظيم القدر في الدين والعلم، فليس قول أحدهما حجة على الآخر.

الوجه الثاني: أن أثر عمار تضمن معنيين أولهما قوله: "إنها زوجة نبيكم في الدنيا والآخرة" وهذا نص حديث صحيح كما تقدم، والآخر قوله: (ولكن الله ابتلاكم بها لتتبعوه أو إياها) وهذا قول عمار، فإن كان قول عمار غير معارض للحديث فلا مطعن حينئذ، وإن كان معارضاً للحديث فالحديث هو المقدم.

الوجه الثالث: أن الشهادة بأنها زوجة ﷺ في الدنيا والآخرة، حكم عام باعتبار العاقبة والمآل. وقول عمار حكم خاص في حادثة خاصة، فرجع الحكم الخاص إلى العام وآل الأمر إلى تلك العاقبة السعيدة فانتهى الطعن.

الوجه الرابع: أن غاية ما في قول عمار هو مخالفتها أمر الله في تلك الحالة الخاصة، وليس كل مخالف مذموماً حتى تقوم عليه الحجة بالمخالفة، ويعلم أنه مخالف، وإلا فهو معذور إن لم يتعمد المخالفة، فقد يكون ناسياً أو متأولاً فلا يؤاخذ بذلك.

الوجه الخامس: أن عماراً — رضي الله عنه — ما قصد بذلك ذم عائشة ولا انتقاصها، وإنما أراد أن يبين خطأها في الاجتهاد نصحاً للأمة، وهو مع هذا يعرف لأم المؤمنين قدرها وفضلها وقد جاء في بعض روايات هذا الأثر عن عمار أن عماراً سمع رجلاً يسب عائشة، فقال: (اسكت مقبوحاً منبوحاً، والله إنها لزوجتي نبيكم في الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم أنطيعوه أو إياها). [نقله ابن كثير في البداية والنهاية ٢٤٨/٧]

ونحن نقول لهذا الرافضي المتطاول على أم المؤمنين كما قال عمار: اسكت مقبوحاً منبوحاً. وأما قول الرافضي إن النبي ﷺ قام خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة فقال: ههنا الفتنة ههنا الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان، وطعنه على عائشة — رضي الله عنها — بذلك وزعمه أن الرسول ﷺ أراد أن الفتنة تخرج من بيتها.

فجوابه: أنه لا يخفى ما في كلامه هذا من التضليل والتلبيس، وقلب الحقائق والتدليس على من لا علم عنده من العامة وذلك بتفسيره قول الراوي: (فأشار نحو مسكن عائشة) على أن الإشارة كانت لبيت عائشة وأنها سبب الفتنة، والحديث لا يدل على هذا بأي وجه من الوجوه، وهذه العبارة لا تحتل هذا الفهم عند من له أدنى معرفة بمقاصد الكلام.

فإن الراوي قال: (أشار نحو مسكن عائشة) أي جهة مسكن عائشة، ومسكن عائشة — رضي الله عنها — يقع شرقي مسجد النبي ﷺ فالإشارة إلى جهة المسكن وهو (المشرق) لا إلى المسكن، ولو كانت الإشارة إلى المسكن لقال: (أشار إلى مسكن عائشة) ولم يقل: (إلى جهة مسكن عائشة) والفرق بين التعبيرين واضح وجلي.

وهذه الرواية التي ذكرها أخرجها البخاري في كتاب فرض الخمس باب ما جاء في بيوت أزواج النبي ﷺ [انظر: صحيح البخاري مع فتح الباري ٢١٠/٦، ح ٣١٠٤] وليس كما زعم الرافضي أنها في كتاب الشروط.

وهذا الحديث قد جاء مخرجاً في كتب السنة من الصحيحين وغيرهما من عدة طرق، وبأكثر من لفظ، وقد جاء التصريح في هذه الروايات بأن الإشارة كانت إلى المشرق، وجاء النص فيها على البلاد المشار إليها بما يدحض دعوى الرافضي ويغني عن التكلف في الرد عليه بأي شيء آخر.

وها هي ذي بعض روايات الحديث من عدة طرق عن ابن عمر — رضي الله عنهما — .
 فعن ليث عن نافع عن ابن عمر — رضي الله عنهما — أنه سمع رسول الله ﷺ وهو مستقبل
 المشرق يقول: (ألا أن الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان) . [أخرجه البخاري في:
 كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ الفتنة من قبل المشرق، فتح الباري ٤٥/١٣، ح ٧٠٩٣، ومسلم:
 كتاب الفتن، باب الفتنة من المشرق... ٢٢٢٨/٤، ح ٢٩٠٥] وعن عبيد بن عمر قال: حدثني
 نافع عن ابن عمر: (أن رسول الله ﷺ قام عند باب حفصة فقال بيده نحو المشرق: الفتنة من
 حيث يطلع قرن الشيطان قالها مرتين أو ثلاثاً)، [أخرجه مسلم: كتاب الفتن، باب الفتنة من
 المشرق... ٢٢٢٩/٤. وعن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: (وهو مستقبل
 المشرق، ها إن الفتنة ههنا، ها إن الفتنة ههنا، ها إن الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن
 الشيطان) . [أخرجه مسلم: كتاب الفتن، باب الفتنة من المشرق... ٢٢٢٩/٤] .

وفي هذه الروايات تحديد صريح للجهة المشار إليها وهي جهة المشرق، وفيها تفسير للمقصود
 بالإشارة في الرواية التي ذكرها الرافضي. كما جاء في بعض الروايات الأخرى للحديث
 تحديد البلاد المشار إليها.

فعن نافع عن ابن عمر قال: (ذكر النبي ﷺ اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا،
 قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا إقال الخطابي: « نجد من جهة المشرق ومن كان بالمدينة كان
 نجده بادية العراق، ونواحيها وهي مشرق أهل المدينة »، فتح الباري لابن حجر ٤٧/١٣. [أخرجه البخاري:
 فأنه قال في الثالثة: هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان]. [أخرجه البخاري:
 (كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ الفتنة من قبل المشرق)، فتح الباري ٤٥/١٣، ح ٧٠٩٤.]
 وعن سالم بن عبد الله بن عمر أنه قال: يا أهل العراق؟ ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم
 للكبيرة سمعت أبي عبد الله بن عمر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الفتنة تجيء من
 ههنا وأوماً بيده نحو المشرق ، من حيث يطلع قرنا الشيطان) . [أخرجه مسلم: (كتاب الفتن،
 باب الفتنة من المشرق... ٢٢٢٩/٤] .

وفي بعض الروايات جاء ذكر بعض من يقطن تلك البلاد من القبائل ووصف حال أهلها.
 فعن أبي مسعود قال: (أشار رسول الله ﷺ بيده نحو اليمن فقال: ألا إن الإيمان ههنا، وإن
 القسوة وغلظ القلوب في الفدادين عند أصول أذنان الإبل، حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة
 ومضر) . [الفدادون: الذين تعلوا أصواتهم في حروثهم ومواشيهم واحدهم: فداد وقيل هم
 المكثرون من الإبل. النهاية لابن الأثير ٤١٩/٣.] [أخرجه البخاري في: (كتاب بدء الخلق،
 باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شغف الجبال) فتح الباري ٣٥٠/٦، ح ٣٣٠٢، ومسلم:
 (كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فيه) ٧١/١، ح ٥١] .

فدلت هذه الروايات دلالة قطيعة على بيان مراد النبي ﷺ من قوله: (الفتنة هاهنا) وأن المقصود بذلك بلاد المشرق، حيث جاءت الروايات مصرحة بهذا، كما جاء في بعضها وصف أهل تلك البلاد وتعيين بعض قبائلها، مما يظهر به بطلان ما ادعى الرافضي من أن الإشارة كانت إلى بيت عائشة، فإن هذا قول باطل، ورأي ساقط، لم يفهمه أحد وما قال به أحد سوى هذا الرافضي الحاقده، والذي يحمله على هذا هو بغضه لأم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - فعليه من الله ما يستحق وألبسه الله بطعنه في الصحابة لباس الذل والخزي في الدنيا والآخرة.

وأما قوله: كيف استحقت عائشة كل هذا التقدير والاحترام من أهل السنة والجماعة، لأنها زوج النبي ﷺ فزوجاته كثيرات وفيهن من هي أفضل من عائشة بتصريح النبي ﷺ.
وجوابه: أما كيف استحقت كل هذا التقدير فلما ثبت من فضائلها العظيمة الثابتة بالنصوص الصحيحة.

فمن ذلك تبرئة الله تعالى لها من فوق سبع سموات، في آيات من كتاب الله تتلى إلى أن يأذن الله برفع كتابه من الأرض، وذلك في قول الله تعالى من سورة النور: { إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم } [سورة النور آية ١١]. إلى قوله: { الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم } [سورة النور آية ٢٦].

فهذه الآيات من أكبر الأدلة على طهارتها، وشرفها، وعلو شأنها في الدين.

ومن الأدلة على فضلها من السنة.

ما ثبت في الصحيحين من حديث عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: قال: رسول الله ﷺ يوماً: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمُنْذِرِ الْكُوفِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ عَنْ زَكَرِيَّا بْنِ أَبِي زَائِدَةَ عَنْ عَامِرِ الشَّعْبِيِّ حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ أَنَّ عَائِشَةَ حَدَّثَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا إِنَّ جِبْرِيلَ يُقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامُ قَالَتْ وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ وَفِي الْبَاب عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي نُمَيْرٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَقَدْ رَوَاهُ الزُّهْرِيُّ أَيْضًا عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ عَائِشَةَ (حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ يُونُسَ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ أَبُو سَلَمَةَ إِنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا يَا عَائِشَةُ هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامُ فَقُلْتُ وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ تَرَى مَا لَمْ أَرَى تُرِيدُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﷺ).

[رواه البخاري في: (كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة - رضي الله عنها -)، فتح الباري ١٠٦/٧، ح ٣٧٦٨، ومسلم: (كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة - رضي الله عنها - ١٨٩٦/٤)].

وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَا ثَنَا شُعْبَةُ قَالَ يَحْيَى فِي حَدِيثِهِ قَالَ حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ مُرَّةٍ قَالَ ابْنُ جَعْفَرٍ عَنْ مُرَّةِ الْهَمْدَانِيِّ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ غَيْرُ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ وَآسِيَةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ).

[رواه أحمد في مسنده حديث رقم ١٨٨٣٧ رواه البخاري في: (كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة - رضي الله عنها-)، فتح الباري ١٠٦/٧، ح ٣٧٦٩، والجزء الأخير من الحديث وهو قوله: (وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ...) أخرجه البخاري أيضاً من طريق أنس ابن مالك في الباب نفسه برقم ٣٧٧٠، ومسلم في: (كتاب فضائل الصحابة، باب في فضائل عائشة - رضي الله عنها-) ١٨٩٥/٤، ح ٢٤٤٦].

وعن هشام بن عروة عن عائشة قالت إن كان رسول الله ﷺ ليفقد يقول: (و حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ وَجَدْتُ فِي كِتَابِي عَنْ أَبِي أُسَامَةَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيَنْفَقُ يَقُولُ أَيْنَ أَنَا الْيَوْمَ أَيْنَ أَنَا غَدًا اسْتِبْطَاءً لِيَوْمٍ عَائِشَةَ قَالَتْ فَلَمَّا كَانَ يَوْمِي قَبَضَهُ اللَّهُ بَيْنَ سَحْرِي وَتَحْرِي).

[رواه البخاري في: (كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة)، فتح الباري ١٠٧/٧، ح ٣٧٧٤، ومسلم: (كتاب فضائل الصحابة، باب في فضائل عائشة) ١٨٩٣/٤، ح ٢٤٤٣].

وعن هشام بن عروة قال: (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ حَدَّثَنَا هِشَامٌ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كَانَ النَّاسُ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ قَالَتْ عَائِشَةُ فَاجْتَمَعَ صَوَاحِبِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَقُلْنَ يَا أُمَّ سَلَمَةَ وَاللَّهِ إِنَّ النَّاسَ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ وَإِنَّا نُرِيدُ الْخَيْرَ كَمَا نُرِيدُهُ عَائِشَةُ فَمَرِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ أَنْ يُهْدُوا إِلَيْهِ حَيْثُ مَا كَانَ أَوْ حَيْثُ مَا دَارَ قَالَتْ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ أُمِّ سَلَمَةَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ فَأَعْرَضَ عَنِّي فَلَمَّا عَادَ إِلَيَّ ذَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ فَأَعْرَضَ عَنِّي فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّلَاثَةِ ذَكَرْتُ لَهُ فَقَالَ يَا أُمَّ سَلَمَةَ لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُمْ غَيْرِهَا).

[رواه البخاري في: (كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة حديث رقم ٢٤٩١)، فتح الباري ١٠٧/٧، ح ٣٧٧٥].

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل قال: فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، فقلت من الرجال؟ قال: أبوها، قلت ثم من قال: ثم عمر بن

الخطاب فعدّ رجالاً). [رواه البخاري في: (كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً)، فتح الباري ١٨/٧، ح ٣٦٦٢، ومسلم: (كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر) ١٨٥٦/٤، ح ٢٣٨٤].

إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على فضلها، وسبقها، وعلو شأنها في الدين، وعظيم مكانتها عند رسول الله ﷺ وفي هذا أكبر رد على هذا الرافضي الذي يتساءل مكابراً: لأي شيء استحققت عائشة هذا التقدير! فنقول له: لما ثبت من فضلها على لسان رسول الله ﷺ، وتفردها بتلك المناقب العظيمة التي لم يشاركها فيها أحد من أمهات المؤمنين عدا خديجة — عليها السلام — في تسليم جبريل عليها [حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ عَنْ عُمَارَةَ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ **فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمَنِّي** وَبَشَّرَهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ] كما هو ثابت في الصحيح. [انظر: صحيح البخاري: (كتاب فضائل الصحابة، باب تزوج النبي ﷺ خديجة وفضلها حديث رقم ٣٥٣٦)، فتح الباري ١٣٣/٧-١٣٤، ح ٣٨٢٠، ومسلم: (كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة) ١٨٨٧/٤، ح ٢٤٣٢].

وأرجو أن تتأمل قول السيدة خديجة وهي تعقب على قول جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ **[فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمَنِّي]** حيث قالت: الله هو السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام.

فهي لم تقل وعلى الله السلام كما نقول نحن فهذا لا يصح في شأنه تعالى وإنما قالت: الله هو السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام.. رضي الله تعالى عنها، فلقد كانت فقيهة وهي أول من استدل على نبوة زوجها بحسن أخلاقه.

وأما قول الرافضي وفيه (أي أمهات المؤمنين) من هي أفضل منها بتصريح رسول الله ﷺ فاعله يريد بذلك خديجة — رضي الله عنها — وهذا غير مسلم، فالمفاضلة بين خديجة وعائشة محل نزاع كبير بين العلماء المحققين، وذلك أن العلماء متفقون على أن أفضل نساء الأمة، خديجة وعائشة وفاطمة، ثم اختلفوا بعد ذلك في المفاضلة بينهن — رضي الله عنهن —.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأفضل نساء هذه الأمة خديجة، وعائشة، وفاطمة، وفي تفضيل بعضهن على بعض نزاع». [مجموع الفتاوى ٣٩٤/٤].

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن خديجة وعائشة أُمَيَّ المؤمنين أيهما أفضل؟ فأجاب: «بأن سبق خديجة وتأثيرها في أول الإسلام ونصرها وقيامها في الدين لم تشاركها فيه عائشة ولا غيرها من أمهات المؤمنين، وتأثير عائشة في آخر الإسلام وحمل الدين وتبليغيه إلى الأمة

وإدراكها من العلم ما لم تشاركها فيه خديجة ولا غيرها مما تميزت به عن غيرها». [مجموع الفتاوى ٣٩٣/٤]

وقال ابن حجر: «وقيل انعقد الإجماع على أفضلية فاطمة وبقي الخلاف بين عائشة وخديجة». [فتح الباري ١٠٩/٧]

وقال في شرح حديث أبي هريرة وأن جبريل أتى النبي ﷺ وأمره أن يقرأ خديجة السلام من ربها وفيه: «قال السهيلي: استدل بهذه القصة أبو بكر بن داود على أن خديجة أفضل من عائشة لأن عائشة سلم عليها جبريل من قبل نفسه، وخديجة أبلغها السلام من ربها، وزعم ابن العربي أنه لا خلاف في أن خديجة أفضل من عائشة، ورد بأن الخلاف ثابت قديماً، وإن كان الراجح أفضلية خديجة بهذا وبما تقدم». [فتح الباري ١٣٩/٧]

والمقصود هنا أن الخلاف بين العلماء في المفاضلة بين خديجة وعائشة مشهور، وليس المقام هنا مقام تحرير الخلاف في ذلك، وإنما القصد هو بيان بطلان دعوى الرافضي في زعمه أن النبي ﷺ قد نص على تفضيل خديجة على عائشة وصرح بذلك إذ لو حصل ذلك لما اختلف العلماء هذا الاختلاف الكبير في المفاضلة بينهم.

وعلى كل حال فليس فضل إحداهما على الأخرى بمطعن على المفضولة، بل في هذا أكبر دليل على علو مكانة هؤلاء النساء الثلاث (فاطمة وخديجة وعائشة) حيث إن الخلاف لم يخرج عنهن في أنهن أفضل نساء الأمة، وهذا نقيض ما قصده الرافضي الحاقق، فإنه إنما أراد بتفضيل خديجة على عائشة تنقص عائشة وهذا من جهله وقلة فهمه، فما الذي يضر عائشة لو كانت ثانية أو ثالثة نساء الأمة في الفضل، وهل هذا مدعاة لاحترامها وتقديرها أم للنيل منها والطنن فيها!!!... الحكم في هذا لك أيها القارئ وبه تعرف مدى ضلال هؤلاء الرافضة وبلادة أفهامهم وسخف عقولهم.

٤- السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما:

وهي أرملة سيدنا خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي القرشي الذي استشهد في غزوة بدر وفي تلك الأثناء توفيت السيدة رقية زوج عثمان بن عفان رضي الله عنه وبنت رسول الله ﷺ فعرض سيدنا عمر رضي الله عنه ابنته على سيدنا عثمان رضي الله عنه للزواج منها كما أخرج البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال فقال عثمان: "سأنظر في أمري" فلبث ليالي، ثم قال: "لقد بدا لي أن لا أتزوج" قال عمر لأبي بكر: "إن شئت أنكحك حفصة، فصمت، فكنت عليه أوجد مني على عثمان، فلبث ليالي ثم خطبها النبي ﷺ فأنكحها إياه: فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت علي حين عرضت على حفصة. فلم أرجع إليك شيئاً؟ قلت: نعم قال: إنه لم

يمنعني أن أرجع إليك إلا أنني علمت أن النبي ﷺ ذكرها، فلم أكن لأفشي سره، ولو تركها لقبلتها". ولقد ماتت رضي الله تعالى عنها في سنة ٤١ هجرية الموافق ٦٦٥ للميلاد وذلك في السنين الأولى لمعاوية بن أبي سفيان ولقد خلدت في التاريخ أم المؤمنين الحافظة لأول نسخة من المصحف الشريف، كتاب الله الخالد ومعجزة نبيه عليه الصلاة والسلام .

ولا يفوتنا هذا الأمر الهام أن زواجه ﷺ بالسيدة عائشة والسيدة حفصة له أهمية كبيرة من الناحية الاجتماعية لأنه كان سبب ربط قوي بينه وبين سيدنا أبي بكر الصديق وسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما، وهما اللذان قاما بخدمات جليلة للإسلام وضحايا بكل مرتخص وغال في سبيل الله وحب رسوله.

٥- السيدة وسَلَمَ زَيْنَبُ بِنْتُ خُزَيْمَةَ بِنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ هَلَالِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ صَعْصَعَةَ وَكَانَتْ تُسَمَّى أُمَّ الْمَسَاكِينِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

وكانت قبل زواجها من النبي ﷺ زوجة لطيف بن الحارث ثم تزوجت بعد مماته من أخاه عبيدة فهي أرملة عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف رضي الله عنه، وهو ابن عم الرسول ﷺ وهو البطل الذي استشهد في أول المبارزة في غزوة بدر وهي أيضاً من النساء المؤمنات اللاتي ضحين بالنفس والنفيس في سبيل الله، وكانت حين استشهاد زوجها تقوم بواجبها في إسعاف الجرحى وصبرت على استشهاد زوجها ولم تتخل عن واجبها حتى بعد وفاة زوجها إلى أن جاء النصر وهزم المشركون وكانت تتاهز الستين من عمرها، ولم يكن هناك من يعولها فكانت بحاجة ماسة إلى الرعاية، فلما علم الرسول ﷺ بحالتها وصبرها وجهادها وإخلاصها خطبها لنفسه، تزوجها النبي ﷺ في شهر رمضان من السنة الثالثة للهجرة الموافق فبراير ٦٢٥م وكان عمره ﷺ آنذاك يناهز الخامسة والخمسين وظلت السيدة زينب بنت خزيمة على قيد الحياة بعد زواجها من النبي ﷺ عامين اثنين ثم انتقلت إلى رحمة الله تعالى، رضي الله تعالى عنها وأرضاها، فكانت بعد السيدة خديجة رضي الله تعالى عنها الوحيدة من أزواج النبي ﷺ التي توفيت قبله ، ولم يختلف عليها اثنان حيثما ذكرت ذكرت وقد قرن اسمها بأُم المساكين ، فهي موصوفة بالطيبة والكرم والعطف على الفقراء ورحمتها للمساكين ورفقتها عليهم فكانت تطعمهم وتتصدق عليهم.

فما هو رأى هؤلاء الأفاكين المغرضين الذين يتقولون على الرسول ﷺ ويتهمونه بالشهوانية والأنانية في هذا الزواج الشريف الذي لا يهدف إلا إلى غاية نبيلة كريمة والذي يعبر عن المروءة والشهامة التي كان يتحلى بها الرسول الكريم ﷺ .

فهل يكون جزاء الصحابة وابن العم الشهيد أن تترك أرملته وحدها؟ ومن يصل الرحم ويجازي الشهيد ويخافه في أهله بكل البر والخير والرحمة سوى الصادق الأمين خاتم الأنبياء

والمرسلين ﷺ وهل مثل هذه الزيجة يكمن خلفها أي مطمع حسي أو غيره، أو أنها واجبات الدعوة وعبء إضافي على عاتق المصطفى ﷺ .

٦- السيدة أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية ، واسمها هند ؛ زوجة إياها سلمة بن أبي سلمة ابنها رضي الله عنها:

وهي أرملة عبد الله بن عبد الأسد من الأولين السابقين إلى الإسلام. كان قد هاجر إلى الحبشة ومعه زوجته السيدة أم سلمة التي خرجت فراراً بدينها. واستشهد زوجها البطل في غزوة أحد مخلفاً لها أيتامها الأربعة: ابنان صغيران وبنتان صغيرتان وكانوا بلا كفيل ولا معين. وكان عمر السيدة أم سلمة حينئذ بين خمس وخمسين وستين سنة. فقد النبي ﷺ ظروفها الصعبة وحاجة العائلة إلى من يكفلها ويرعاها فخطبها ولكنها اعتذرت في بداية الأمر وقالت: "إني مسنة. وإني أم أيتام، وإني شديدة الغيرة". فرد عليها النبي ﷺ وأرسل لها يقول بما معناه: "أنا لا أعبأ بالسن، أما الأيتام فأضمهم إلي، وإني أدعو الله سبحانه أن يذهب عن قلبك الغيرة". واستجاب الله لدعاء النبي فذهبت عن قلبها الغيرة ووافقت على الزواج فتزوجها عليه السلام وتربى أيتامها تربية حسنة وأحبهم عليه الصلاة والسلام حباً أكثر مما أحبهم أبوهم. هذه هي السيدة أم سلمة التي صححت خطأ أبي هريرة وأفتت مع السيدة عائشة أن الصوم يجوز في حالة الجنابة.

٧- السيدة زينب بنت جحش بن رثاب الأسديّة:

هي ابنة عم رسول الله ﷺ وأخت عبد الله بن جحش البطل الذي استشهد في غزوة أحد سليمة بني أسد بن خزيمة المضري وحفيدة عبد المطلب وابنة عمه الرسول محمد ﷺ السيدة أميمة بنت عبد المطلب، تزوجها النبي ﷺ في السنة الخامسة للهجرة . ولا نعرف من بين أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن بخلاف السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها من شغل زواجها مدينة رسول الله ﷺ مثل زينب بنت جحش، وذلك لما سبق هذا الزواج وأحاط به من ظروف خاصة، وما أثاره من شبهة وخلاف حسمها القرآن الكريم بآيات محكمات.

تزوجها زيد بن حارثة بن شراحبيل بن كعب، حيث خرجت أمه سعدى بنت ثعلبة لتزيره أهلها بني معن بن طيء، فأصابته خيل بني القين بن جسر فباعوه بسوق من أسواق العرب ، وكان حكيم بن حزام هو الذي اشتراه وجاءت السيدة خديجة وهي يومئذ زوج النبي ﷺ تزور ابن أخيها فعزم عليها أن تختار من شاعت من مواليه فأخذت زيدا وعادت به إلى بيتها ووهبته لزوجها محمد عليه الصلاة والسلام، ودعي بعد ذلك بزيد بن محمد ، وكان أول من أسلم بعد علي بن أبي طالب، وعندما هاجر الرسول ﷺ وأخى بين أصحابه كان زيد وحمزة عم

المصطفى أخوين، وعندما بلغ زيد سن الزواج اختار له المصطفى ﷺ زينب بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب.

وكرهت زينب وكره أخوها عبد الله بن جحش أن تزف الشريفة القرشية المضرية الحسبية النسبية إلى مولى من الموالي، وفزعا إلى ابن خالهما المصطفى ﷺ يسألانه ألا يتم هذا الزواج فما كانت بنات الأشراف ليتزوجن من موالٍ وإن اعتقوا فأنزل الله سبحانه وتعالى آية الأحزاب ٣٦ وتم لله و لرسوله ما أراد.

ولكن الحياة لم تصفُ لهما فلقد رأت أنها أشرف من زيد بسبب حسبها ونسبها وأن زيدا كان عبداً مملوكاً قبل أن يتبناه الرسول ﷺ. وهكذا ساءت العلاقات بينهما وكما ورد في بعض الروايات أنها كانت تغلظ له في القول، فشكا زيد إلى الرسول ﷺ وأراد أن يطلقها ولكن رسول ﷺ منعه من الطلاق ونصحه قائلاً: " أمسك عليك زوجك " ولكن ظل الخلاف بينهما يزداد حتى طلقها زيد، في تلك الآونة أراد الله سبحانه وتعالى أن يقضي الرسول ﷺ على نظام التبني الذي كان سائداً منذ أيام الجاهلية، وتحت هذا النظام كان العربي يتبنى ولد غيره فيقول له: " أنت ابني، أرتك وترثني "، وكان يصبح هذا الولد بمثابة ابنه الحقيقي في الأمور كلها حتى فيما يتصل بتحريم علاقة الزواج وما كان الله سبحانه أن يبيهم ويقهرهم على مثل تلك العادات التي كانت سائدة في الجاهلية كنظام التبني ، فأبطل الله سبحانه وتعالى هذا النظام كما ورد في صحيح البخاري وصحيح مسلم، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: " إن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد، حتى نزل القرآن {ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ} فقال النبي ﷺ : "أنت زيد بن حارثة بن شرحبيل ".

وبعد أن طلق زيد زينب، أمر الله سبحانه رسوله أن يتزوجها لإبطال نظام التبني إبطالاً كاملاً، ويشهد القرآن الكريم أن النبي ﷺ كان يخشى من السنة الناس أن يقولوا: تزوج محمد امرأة ابنه فقد جاء في القرآن الكريم {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا} [سورة الأحزاب]. ومع هذا الحكم القطعي نزلت آية أخرى تبين بوضوح أنه لن يأتي نبي بعد محمد ﷺ وهي: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} وعلينا أن نتأمل الآن بهدوء: أنه ليس هناك نبي بعد محمد ﷺ ومحمد ﷺ يخشى من السنة الناس إذا تزوج امرأة متبناه لأنه أمر خطير جداً، فلا قدر الله إن لم يتمكن محمد ﷺ وهو آخر الأنبياء من إبطال نظام التبني والقضاء عليه فمن ذا الذي يأتي بعده للقضاء على هذه البدعة؟. إذا خشي النبي ﷺ

والعياذ بالله من أسنة الناس وترك هذا الأمر وأخفق في القضاء على هذا النظام فكيف يتسنى لآخر أن يكون أجراً وأشجع من النبي ﷺ هذه نقطة على جانب كبير من الأهمية وعلمنا أن نفهم هذا الوضع جيداً، وقد ورد نص صريح في القرآن الكريم {زَوَّجْنَاكَهَا} وهو يحتم عليه ﷺ أن يتزوج من مطلقة متبناه زيد والحكمة من وراء ذلك هو القضاء على هذه البدعة، بدعة التبني وكان لابد للنبي ﷺ أن يرسم المنهاج أمام المؤمنين، لأنه إن لم يفعل بنفسه فمن ذا الذي يستطيعه غيره؟ لاسيما أنه لن يجيء بعد الرسول الخاتم، نبي آخر.

كانت هذه هي الظروف والملابسات وراء هذا الزواج وحكمته التشريعية الكبرى، أما ما يردده الأفاكون المغرضون فعلينا أن نقف عليه أيضاً قليلاً كي ندرك مدى افتراءهم وحقدهم على النبي ﷺ، إن أعداء الإسلام قد استغلوا بعض الروايات المذكورة في بعض كتب التفسير وفي الحقيقة، ليس هناك أي سند لهذه الروايات من ناحية العقل والرواية وهي مستحيلة من ناحية العقل والدراية، إنهم يزعمون أن النبي ﷺ مر ببيت زيد ذات يوم وهو غائب، فرأى زينب ف وقعت في قلبه فأحبها، فقال: " سبحان مقلب القلوب " سمعت زينب ذلك فأخبرت زوجها بما سمعت من الرسول ﷺ فلما علم زيد أن زينب وقعت في نفس رسول الله ﷺ أتاه يريد طلاقها فقال له الرسول ﷺ: " أمسك عليك زوجك " وفي قلبه غير ذلك، فطلقها زيد كي يتزوج بها الرسول ﷺ .

وجدير بالذكر أن الذي يروج لهذا الافتراء لا يذكر عامداً متعمداً أمرين هامين في هذه القضية وهما:

أولاً: أن زينب بنت جحش رضي الله عنها هي ابنة عم رسول الله ﷺ وقد ظلت تسكن مع الرسول ﷺ منذ طفولتها حتى وقت زواجها بزيد ولم يكن هناك حينئذ حجاب.

ثانياً: أن النبي ﷺ زوجها بزيد على الرغم مما تتمتع به من حسب ونسب. والآن لنسأل الضالين المضلين الذين يروجون لهذا البهتان: هل من الممكن لامرأة نشأت وترعرعت مع النبي ﷺ حتى بلغت مبلغ النساء ألا تقع في قلبه وهي بكر فإذا ما صارت ثيباً ومتزوجة بشاب آخر صادفت هوى في نفسه؟ ألم يكن من الممكن للنبي ﷺ أن يتزوجها وهي لم تزال بعد في دار معه؟ لماذا أجبرها على الزواج بمتبناه إذا كان يحبها؟ هل كان ثمة ما يحول دون ذلك؟، يفترض الأفاكون أن النبي ﷺ رآها أول مرة في بيت زيد ف وقعت في قلبه، إن هذا هو الافتراء بعينه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

إن من أهم مآثر الإسلام، تلك المآثر التي تميزه عن سائر النظم المطلقة، وهي التوفيق التام بين الناحية الخلقية والناحية المادية من الإنسانية... وهذا سبب من الأسباب التي عملت على ظفر الإسلام أينما حل، لقد أتى الإسلام بالرسالة الجديدة التي لا تجعل احتكار الدنيا شرطاً

للنجاة في الآخرة... هذه الخاصية الظاهرة في الإسلام تجلوا الحقيقة الدالة على أن النبي ﷺ كان شديد الاهتمام بالحياة الإنسانية، في المظهر الروحي والمظهر المادي...

الدروس المستفادة من وراء الحدث

لقد ارتبطت بالسيدة زينب رضي الله تعالى عنها تشريعات سماوية هامة:
أولاً: في زواجها رضي الله تعالى عنها من سيدنا زيد بن حارثة كان التمهيد للقضاء على نظام على الرق.
ثانياً: في زواجها رضي الله تعالى عنها من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القضاء على نظام التبني.

أولاً: في زواجها رضي الله تعالى عنها من سيدنا زيد بن حارثة كان التمهيد للقضاء على نظام على الرق.

وعندنا نلقي نظرة على الرق في النظام العالمي القديم والحديث ومنهج الإسلام في التعامل معه يجب ألا نغفل الحديث عن الرئيس الأمريكي أبراهام لنكولن .. من هو أبراهام لنكولن؟..
يعتبر الرئيس الأمريكي أبراهام لنكولن بنظر الشعب الأمريكي أعظم رئيس ظهر في تاريخ بلادهم لأنه الذي قاد هذه البلاد ووحدها في أحلك أيامها عندما كانت الحرب الأهلية تمزقها وهو الذي حرر العبيد ووضع نهاية سعيدة لأحزانهم.. فمن هو لنكولن وكيف نشأ وتدرج حتى أصبح رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية وكيف أصبح رمزا شامخا للوطنية الأمريكية.
ولد لنكولن في كوخ بسيط في ولاية كونكتيكي، وكان والده أميا لا يقرأ ولا يكتب، وكان يتعجب من رغبة ابنه في التعلم حتي انه قال: إن أبراهام يخدع نفسه بالتعليم، قد حاولت أن أوقفه عند حده، لكن هذه الفكرة الطائشة كانت قد تملكته فلم استطع انتزاعها منه!!
وكانت أمه اسمها نانسي هانكز من مواليد فرجينيا وعاشت مع ابنها حتي بلغ التاسعة من عمره، ثم ماتت بعد أن تركت في نفسه أثرا لايمحي فهي التي شجعت علي حب القراءة. وقد انفصل عن عائلته في سن الحادية والعشرين من عمره، وقد كان طويل القامة.. نحيفا..
ودرس القانون.

وكان من هموم لنكولن أن يتم اتحاد الولايات المختلفة وان يلغي الرقيق.. فكان يحز في نفسه أن يري الرجال والنساء والأطفال يباعون في سوق الرقيق وكان يقول: لو كان في مقدوري أن أوقف كل ذلك لأوقفه فوراً وبمنتهي العنف.

عندما أقام في مدينة **نيو اورلينز**، حدثت له حادثة تتم علي شخصيته وقدرته علي ضبط النفس وعلي التحدي في نفس الوقت.. فقد كان في هذه المدينة جماعة من الشبان يرأسهم (جاك ارمسترونج) وكان مشهورا بشجاعته وممارسته للمصارعة، وطلب هؤلاء الشبان من أبراهام

لينكولن مصارعة ارمسترونج، وحتى لايتهم بالجبن قرر منازللة الخصم، وصرعه وانتصر عليه، وعندما حاول أنصار الخصم مهاجمته أعلن لهم أنه سوف يهزمهم جميعا، إلا أن ارمسترونج عندما آفاق من صدمة الهزيمة أعلن أحقية لنكولن في النصر وأصبح صديقا له. عمل لنكولن صاحب متجر محاميا، ولكنه كان مهموما بمسألة العبيد، وكان نظام العبيد معمولا به في الولايات الجنوبية، ولكنه غير مسموح به في الولايات الشمالية، بينما احتدم النقاش حول هذا النظام وهل يعمل به في الولايات التي بدأت تنشأ في القرب.. واختلف الناس بين مؤيد ومعارض وكان من رأي ابرهام لنكولن أن يكون تحرير العبيد علي مراحل ، وكان يقول:عندما يحكم الرجل الأبيض نفسه بنفسه فهذه هي الحكومة الذاتية ، ولكن عندما يريد الرجل الأبيض أن يتحكم في غيره من الملونين فهذا هو الاستبداد والطغيان.. ولا يجب إطلاقا أن يتحكم الإنسان في أخيه الإنسان دون رغبة هذا الأخير وموافقة:وقد كتب خطابا لأحد أصدقائه يقول فيه:إنني أؤمن بوجود الله. وأعرف أن الله لا يقبل الظلم، ولا يرضي بأن يستعبد الإنسان أخاه الإنسان، وإنني أري أن العاصفة قادمة لامحالة.. وأعرف أن الله معي، وأنا مستعد أن أبذل كل جهدي وحياتي لتحقيق الحق.. فأنا لاشيء علي الإطلاق.. أما الحق والعدل فهما كل شيء!'

وقد دخل لينكولن في معركة الرئاسة ضد دوجلاس، وكانت المعركة تتطلب بالطبع أن يعرض كل واحد منهما منهجه ورؤيته لمختلف القضايا.. وكان علي كل منهما أن يتحول في مختلف الولايات حتي يجذب إليه أصوات الناخبين.. كان لنكولن عن الجمهوريين ، والآخر عن الديمقراطيين والغريب أن النصر في هذه المعركة كانت لأبراهام لينكولن.. وأصبح رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية..

وغادر بلدته في فبراير ١٨٦١ مصطحبا زوجته وأولاده الثلاثة الصغار متجها إلي واشنطن ولم يكن الأمر سهلا ولا هينا أمام الرئيس الأمريكي الجديد، فقد أعلنت سبع ولايات في الجنوب انفصالها ، واختارت لنفسها رئيسا آخر، بسبب أنها تري في نظام العبيد الذي نجده ضرورة اقتصادية علي عكس ولايات الشمال.. وكان لابد أن تتدلع الحرب الأهلية، واندلعت هذه الحرب التي تمكن فيها الشمال من الانتصار..

ولكن رغم قيام هذه الحرب الأهلية، فقد اتخذ أبراهام لينكولن قرارا خطيرا.. وفي أثنائها.. فقد وقع علي وثيقة تحرير العبيد في الجنوب.

وفي مساء الجمعة السابق علي عيد الفصح سنة ١٨٦٥، كان هناك رجل من الجنوب يدعي (بوش) كان قد قرر التخلص من الرئيس الأمريكي أبراهام لينكولن ، عندما علم أن الرئيس سوف يذهب إلي مسرح فورد في واشنطن، فقد تسلل إلي المقصورة الذي يجلس فيها الرئيس، وصوب رصاص مسدسه إلي رأسه، وأطلق عليه النار، وأسرع إلي خشبة المسرح،

حيث اختلط بالمثلين، ووسط الارتباك الذي ساد المسرح، وبين ذهول الحاضرين، استطاع الجاني، أن يخرج من المسرح حيث كان ينتظره حصان قفز علي ظهره واختفي. بينما لفظ الرئيس أبراهام لينكولن أنفاسه الأخيرة في صباح اليوم التالي، حيث نقل جثمانه في قطار حمله إلي مدينة سيرنج فيلد بولاية النيوبي. حيث ووري التراب.

دفن الرجل الذي أحبه الناس في بلاده، وخاصة الرقيق الذي حررهم من ذل الرق. والذي يقرأ قصة حياة أبراهام لينكولن الذي ولد في كوخ من الأكواخ الفقيرة وعاش حياته مدافعا عن مبدأ أخلاق هام وهو تحرير العبيد، كما آمن بأهمية اتحاد الولايات الأمريكية تحت علم واحد.. الذي يقرأ هذه الصورة ويرى ماعليه اليمين الأمريكي الآن لابد ان يتساءل: أين المبادئ التي نادي بها رجل كالرئيس الأمريكي لينكولن !!؟

والسؤال الآن هل تم تحرير الرقيق فعلاً؟...

بعد توقيع مرسوم تحرير العبيد في أمريكا سنة ١٨٦٥، كانت المفاجأة أن العبيد راحوا يتنزلون لأصحاب الأراضي للعمل عندهم مفضلين العبودية على الحرية ، لقد طاردهم ذل العبودية أينما كانوا، فلم يسمح لهم بالارتداد في الأماكن العامة حتى أن الباربات وضعت عليها لافتات وكتب عليه " غير مسموح بدخول السود والكلاب "، ولسوف تجد الفارق الكبير بين منهج أبراهام لنكولن في تحرير الرقيق ومنهج القرآن الأسمى في نفس ذات القضية بأسلوب عملي متخذا من زواج زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه بالسيدة زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها وأرضاها نبراساً كان مؤداه ما سوف نرى.

إن الولايات المتحدة الأمريكية التي تتشدد ومازالت بالحرية تعيش حتى هذه اللحظة وقد فرقت بين أفراد الوطن الواحد، ففي ولاية **نيو اورلينز** التي يقطنها أغلبية السود الفقراء والذين جاءوا من إفريقيا وتحرروا بسلطان القانون وليس مصادفة أن يكون قاتل لينكولن اسمه بوش. حديثاً عندما تعرضت ولاية **نيو اورلينز** إلى **إعصار كاترينا المدمر** رأينا رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الحالي — لحظة كتابة هذه الدراسة في أواخر شهر سبتمبر ٢٠٠٥ — قد تباطأ عن إنقاذ المدينة المنكوبة لا شيء إلا لأن غالبية أهلها من السود الأفارقة.

وحينما ضرب إعصار ريتا مدينة تكساس — مدينة البيض الأغنياء — بعد شهر من إعصار كاترينا رأيناه وقد بذل جهده هو وكل أجهزة الدولة لإنقاذ المدينة وهو ما لم يحدث مع نيو أورلينز.

واقراً معي المقالات التالية كما ذكرتها وكالات الأنباء العالمية:

إعصار كاترينا ٢٠٠٥/٠٨/٣١

إعصار كاترينا الذي ضرب السواحل الجنوبية الشرقية للولايات المتحدة أسفر عن مقتل



المئات وخلف خسائر مادية تقدر بالمليارات. فيما ترك نحو مليون شخص منازلهم في منطقة نيو اورليانز. وقال مسئولو خدمات الطوارئ أن نحو مليون شخص من بين سكان المنطقة البالغ عددهم ١,٣ مليون يعتقد أنهم غادروا. وتكس بعض أولئك غير القادرين على الجلاء عن المنطقة أو

غير الراغبين في المغادرة في صالة لوزيانا سوبردوم العملاقة المغطاة للألعاب الرياضية.. وتم تحويل اتجاه السير على عدة طرق إلى اتجاه واحد خروجاً من المنطقة للإسراع بعمليات الجلاء فيما اصطف الناس في محطات البنزين والمتاجر لشراء المياه والإمدادات. وقال ماكس مايفيلد مدير المركز القومي الأمريكي للأعاصير في ميامي أن قوة كاترينا بلغت الدرجة الخامسة بمقياس سافير سيمسون المؤلف من خمس درجات. وبلغ ضغط الإعصار كاترينا المركزي وهو مقياس كثافة العواصف ٩٠٤ مليبار مما يجعله واحد من أقوى أربعة أعاصير في تاريخ الولايات المتحدة.



نيو أورليانز تغرق

وغمرت المياه مدينة نيو اورلينز بولاية لوزيانا. وشوهت أعداد غير محددة من الجثث تطفو في مياه الفيضان هناك. ويتوقع المسؤولون زيادة عدد القتلى بينما تتوجه عناصر الإنقاذ إلى المناطق الأشد تضرراً.

وقد استخدمت المروحيات والقوارب لإنقاذ المئات الذين

حاصروهم الفيضان على أسطح منازلهم. كما تعرضت الأحياء المنخفضة المستوى بالمدينة لفيضانات خطيرة. ويقول مراسل بي بي سي في نيو أورليانز إن الشوارع مغطاة بالحطام ومياه الفيضانات وإن عمليات تجري لإنقاذ الأشخاص المحاصرين على أسطح المنازل.

ويقول مراسل بي بي سي أن مياه الأمطار في نيو أورليانز تشبه جدارا من الماء يغطي واجهات ناطحات السحاب مثل الشلالات وتسببت في قطع التيار الكهربائي عن مناطق واسعة من المدينة، وسقوط النخيل في الشوارع ودُمرت المتاجر والسيارات. ووصلت سرعة الرياح التي أتت بها الإعصار على المدينة إلى أكثر من ٢٠٠ كيلومترا في الساعة. وأطاح الإعصار بجزء من سقف ستاد نيوأورليانز الذي لجأ إليه الآلاف من سكان المدينة. لكن لم تلحق أضرار جسيمة بالحي الفرنسي وهو المركز التاريخي للمدينة بسبب وقوعه في منطقة مرتفعة نسبيا، إلا أن مناطق شاسعة من المدينة غمرتها مياه الفيضان التي وصل عمقها في بعض المناطق إلى ثلاثة أمتار. كما تسبب الإعصار في قطع إمدادات الكهرباء عن نحو مليون منزل.



تقدر الخسائر التي سببها الإعصار بنحو ٢٥ مليار دولار

وقال عمدة نيو أورليانز راي نايجن إن عملية إنقاذ واسعة النطاق تجري حاليا في المدينة التي غمرت المياه ٨٠ بالمائة من مساحتها باستثناء الحي الفرنسي التاريخي الذي يقع في منطقة مرتفعة نسبيا. وأضاف قائلاً "إننا نحاول إنقاذ الأفراد الذين احتجزتهم المياه فوق أسطح المنازل، كما شوهدت جنث تطفو في مياه الفيضان ولكن لم يصدر بعد بيان بحجم الخسائر البشرية". وتقول السلطات الأمريكية إن ما يزيد عن ٨٠% من سكان نيو أورليانز قد هجروا منازلهم بحثا عن مأوى في مناطق أخرى.



منصة بحرية لاستخراج البترول جرفت قوة الرياح والأمواج بعيدا عن موقعها الأصلي إلى أن حشرت أسفل جسر في مدينة موبيك بولاية الاباما

كما خصصت السلطات أماكن إيواء طارئة للذين لا يقدرّون على مغادرة المدينة، واحتوى بعض السكان في مبان فندقية مرتفعة وفي بعض الكنائس.

وحذر خبراء الطقس من أن العواصف الشديدة والأمطار الغزيرة تتقدم صوب ولايتي تنيسي وأوهايو.

ويقول مايكل براون مدير الوكالة الفيدرالية لإدارة الحالات الطارئة "إن الفيضانات في كل مكان، في نيوأورليانز وميسيسيبي وألاباما".

وأضاف قائلاً "كل الأراضي التي تقع في مستوى منخفض تعرضت للتدمير".

الخسائر المبدئية



مدينة نيو أورليانز غمرتها المياه

وتقدر قيمة الخسائر المبدئية للإعصار في الولايات المتحدة بأكثر من ٢٥ مليار دولار.

ويتزايد القلق بشأن الآثار الاقتصادية على قطاع التأمين، الذي يتوقع أن يتكبّد خسائر فادحة هي الأكبر في تاريخ هذه الصناعة في الولايات المتحدة والتي تتجمّع عن كارثة طبيعية.

وقد أدت قوة الإعصار كاترينا إلى إغلاق بعض منصات النفط والمصافي في خليج المكسيك، الأمر الذي أدى إلى قفز أسعار النفط إلى ما فوق حاجز السبعين دولارا للبرميل الواحد. ويقول لورانس إيجلز، من الوكالة الدولية للطاقة، إنه لم يفاجأ برد الفعل الصادر عن أسواق النفط.

وقد تم إخلاء جميع منصات إنتاج النفط بخليج المكسيك والبالغ عددها نحو ٢١ منشأة نفطية، تنتج نحو ربع الإنتاج المحلي الأمريكي من البترول والغاز. توقعت شركة لتقييم أضرار الأعاصير أن يكون "كاترينا" واحدا من أكبر الأعاصير تكلفة في تاريخ الولايات المتحدة، فقد يكلف شركات التأمين نحو ٢٥ مليار دولار.

إعصار ريتا

ريتا يضرب شواطئ تكساس ولويزيانا ويشرد الملايين

ضرب الجزء الشمالي من

محيط مركز إعصار ريتا

الشواطئ بين ولايتي

تكساس ولويزيانا مصحوبا

برياح تصل سرعتها ١٩٥

كم/ساعة صباح اليوم،

حسبما أفاد المركز الوطني

الأميركي للأعاصير.

وكانت أمطار غزيرة

تصاحبها هبات من الرياح

الشديدة قد ضربت الساحل



الجنوبي لتكساس، قبل ساعات من وصول ريتا الذي كان على بعد ٦٥ كم فقط عن المنطقة. وحسب توقعات المركز الوطني للأعاصير فإن الإعصار سيضرب هذه المنطقة التي

تضم عددا كبيرا من مصافي النفط، وقد شعر عدد من الأشخاص الذين رفضوا إخلاء بيوتهم على الحدود بين تكساس ولويزيانا بمقدمات الإعصار. وأطلقت الإنذارات في مدينة سارجنت في ولاية تكساس ومورجان سيتي في ولاية لويزيانا فيما قطع التيار الكهربائي في مدينة بومون في ولاية تكساس والتي تبعد نحو ٥٠ كم عن الساحل. وبدأت مولدات الكهرباء تتفجر متأثرة بالصواعق، وقد أخلت المدينة بشكل كامل تقريبا من سكانها البالغ عددهم نحو ١١٤ ألف نسمة.



وقد توقع المركز الوطني للأعاصير بأن يضرب ريتا بومون بعد أن يمر في بورت آرثر جنوبا التي يخشى المسؤولون فيها أن تغرق الفيضانات المدينة التي تعد مركزا مهما لتكرير النفط، وقال أحد رجال الإطفاء في بورت آرثر إنهم يتوقعون كارثة.

وكان حريق كبير قد اندلع الليلة الماضية في جالفستون، بعد أن تعرضت لهطول كثيف للأمطار وضربتها رياح عاتية بلغت سرعتها ١١٠ كم/ساعة. ولم يعرف سبب الحريق الذي امتد إلى عدد من المباني بالمدينة التي تبعد ٨٠ كم جنوب ولاية هيوستن، وقد أعلنت السلطات الأمريكية أنها أجلت أكثر من ٩٠% من سكان جالفستون التي فقدت نحو ١٢ ألفا من سكانها عام ١٩٠٠ بإعصار عنيف دمرها.

وقال المركز الوطني للأعاصير إن قوة الإعصار تراجعت أمس الجمعة، ليحل بين الفئتين الرابعة والثالثة على مقياس سافير-سمبسون المؤلف من خمس درجات.



نزوح وتأهب، وخوفا من إعصار ريتا قرر الملايين من سكان ولايتي تكساس ولويزيانا المغادرة، وأغلقت الشركات والمصانع والمدارس. وقد أعدت الحكومة حافلات لإجلاء السكان.

وفي خضم ذلك النزوح الجماعي نحو الشمال قتل ٢٤ شخصا وأصيب آخرون في حريق اندلع بحافلة بين طوابير طويلة من السيارات على الشارع الرئيسي بهيوستن وهي في طريقها إلى أماكن آمنة من الإعصار، وكان معظم الضحايا من المسنين.

من جانبها جندت السلطات الأمريكية كل إمكانياتها وطاقتها لمواجهة ريتا، وسط مخاوف من تكرار سيناريو كاترينا وما خلفه من تشريد مئات الآلاف وخسائر بمليارات الدولارات. ويتوقع أن يبلغ عدد المتضررين نحو خمسة ملايين شخص.

ووضعت وحدات من عناصر الحرس الوطني والرعاية الطبية على أهبة الاستعداد بينما اتخذت مروحيات الإنقاذ وقوارب البحث والنجاة مواقعها استعدادا لمواجهة ما هو أسوأ، وطلبت حاكم ولاية لويزيانا كاثرين بلانكو ١٥ ألف جندي اتحادي إضافي لتعزيز فرق الإغاثة.



تأهب لمواجهة ريتا بعد انتقادات سببها
كاترينا لإدارة بوش

وقد أكد الجيش الأميركي أنه نشر آلاف الجنود ووفر الموارد على الأرض من أجل مساعدة المسؤولين الاتحاديين والمحليين على التحرك بطريقة سريعة وفعالة، مشيرا إلى تعيين الأميرال لاري هيريت لقيادة عمليات الإغاثة. من جانبه ألغى الرئيس الأميركي جورج بوش رحلته المقررة إلى تكساس أمس الجمعة، لتفادي أي تدخل مع تحركات فرق البحث والإنقاذ قريبة من المنطقة التي يتوقع أن يضربها ريتا.

وطالب بوش في كلمة ألقاها أمس بمبنى وزارة الدفاع (البنتاجون) سكان المناطق الساحلية في خليج المكسيك، بامتنال التوجيهات الرسمية عبر اللجوء إلى مناطق شمالية قبل وصول الإعصار.

خفت قوة إعصار ريتا بعد أن عصف بالسواحل الجنوبية لعدة ولايات أمريكية. فلقد اجتاح الإعصار السواحل الأمريكية بقوة ٢٠٠ كم في الساعة وتراجعت سرعة الرياح إلى حوالي مائة وخمسة وعشرين كيلومترا في الساعة. غير أن الأمطار الغزيرة لا تزال تتهمر مما دفع بالرئيس الأميركي جورج بوش الذي يشرف بنفسه على عمليات الإنقاذ إلى تحذير سكان بعض المناطق. وقد نجت مدينة هيوستون الأمريكية من دمار محقق حيث حاد



إعصار ريتا عن مساره تجاه الشرق في حين مازالت الفيضانات تهدد المدينة. كما لم تتعرض مدينة جلفستون في ولاية تكساس لمركز الإعصار أيضا كما كان متوقعا إلا أن الرياح العاتية أسفرت عن اقتلاع الأشجار، وإشعال النيران في المدينة. وقد ضرب إعصار ريتا السواحل الجنوبية الشرقية للولايات

المتحدة، ووصلت سرعة الرياح إلى ٢٠٠ كيلومتر في الساعة وتعرضت المدن إلى أمطار غزيرة وذلك في الساعات الأولى من صباح السبت. وغمرت مياه الفيضانات الناتجة عن الإعصار عدة مناطق بمدينة نيو أورلينز بولاية أريزونا والتي لم تكد تفيق من الدمار الذي

خلفه إعصار كاترينا. وقد ارتفع منسوب المياه إلى أكثر من مترين ببعض المناطق بالمدينة التي انتهت فرق الإنقاذ منذ أيام قليلة فقط من نزح المياه التي خلفها إعصار كاترينا منها.



الرياح والأمطار والحرائق تنتشر في مدن أمريكية

وقد أعلن المركز القومي الأمريكي للأعاصير أن الإعصار ريتا قد خفت حدته إلى المستوى الثاني بعد أن كان يصنف في المستوى الرابع قبل ساعات من وصوله إلى السواحل الأمريكية. وفي الوقت ذاته يتحرك الإعصار إلى مدينة بورت آرثر الواقعة في تكساس والتي تضم منشأة لتكرير النفط ، وتخشى السلطات من أن تغرق المدينة تحت المياه المتدفقة. وحذرت السلطات من أن ما

يصل إلى ٥,٥ مليون شخص في تكساس قد يتضررون نتيجة الإعصار. وقد نزح أكثر من مليوني شخص من المناطق الساحلية إلى أخرى داخلية تعتبر أكثر أمانا.

حريق بحافلة

من ناحية أخرى ، قتل أربعة وعشرون شخصا على الأقل نتيجة حريق اندلع على متن حافلة للركاب خارج مدينة دالاس في ولاية تكساس يوم الجمعة. ووقع الحادث على طريق سريع مزدحم يغص بالسيارات التي تحمل أشخاصا فارين من مسار الإعصار. وكانت الحافلة تقل أشخاصا من الذين جرى إجلاؤهم بسبب خطر الإعصار. وقالت محطات تلفزة محلية إن احتراق الحافلة قد أدى إلى إغلاق طريق السيارات الرئيسي المؤدي إلى خارج المدينة.



مخاوف من تأثر أكثر من خمسة ملايين

شخص من إعصار ريتا

وقال شهود عيان إنهم شاهدوا دخانا أسود يتصاعد من الحافلة ثم شاهدوا ألسنة النيران تندلع فيها. وقالت السلطات إن الدلائل تشير إلى أن الحادث نجم على ما يبدو عن انفجار بعض اسطوانات الأوكسجين التي كان يحملها بعض كبار السن لمساعدتهم في التنفس على متن الحافلة.

بوش ألغى الزيارة

وألغى الرئيس الأمريكي جورج بوش زيارته لتكساس لأنه لا يريد أن "تعيق الزيارة جهود أعمال الإغاثة". وكان بوش قد التقى المسؤولين الأمنيين في وقت مبكر من يوم الخميس وأخبر الصحفيين أن "المسؤولين على كافة مستويات الحكومة يعدون لمواجهة الأسوأ". وكان ريك بيرري، حاكم ولاية تكساس، قد اتصل بالرئيس بوش صباح الخميس ليطلب إرسال الجنود للمساعدة في الإنقاذ والتفتيش بعد هبوب الإعصار. ويرابط في تكساس حاليا خمسة آلاف من أفراد الحرس الوطني وألف من أفراد جيش الولاية

استعدادا لهبوب الإعصار. وفي هيوستن، قال مراسل بي بي سي أن المدينة خالية كليا، وسماؤها ملبدة والرياح سريعة جدا.

بوش يبشر منكوبي "ريتا" بمساعدات فورية



لويزيانا، الولايات المتحدة -- (CNN) وصل الرئيس الأمريكي جورج بوش، الثلاثاء، إلى ضاحية بومون في لويزيانا، لمعاينة الخراب الناتج عن إعصار "ريتا" الذي ضرب الشواطئ في جنوب غرب الولايات المتحدة.

وأعلن بوش أن المنكوبين جراء إعصار "ريتا"

سيستفيدون من التقديرات التي ستعطيها الحكومة

وأن العائلات المتضررة في لويزيانا ستحصل على مبلغ ألفين دولار ستصرف لهم فورا، على اعتبار أنها تدخل ضمن فئة المساعدات الطارئة والفورية .



وأقر بوش بالوضع البائس الذي تعيشه العائلات التي لم تعد قادرة على العودة إلى البيوت المهدمة، إلا أنه دعى هؤلاء، في الوقت نفسه، إلى عدم العودة حاليا.

وقال بوش خلال لقائه المسؤولين عن جهود الإغاثة "ليس وقت العودة الآن".

نذكر أن إعصار "ريتا" خلف أضرارا مادية كبيرة في كل من ولاية تكساس وميسيسيبي، إلا أنه لم يوقع ضحايا بين السكان بالقدر الذي أوقعه إعصار "كاترينا" الذي سبقه.

فقد بلغ عدد القتلى جراء الإعصار ٣٥، لاقوا حتفهم بسبب انهيار المنازل والحوادث الناتجة عن الفيضانات المائية والرياح القوية.

أكثر المناطق المهدمة هي كامبرون في لويزيانا، و"هولي بيتش" و "كريول"، إضافة إلى الأضرار التي أصابت المصافي النفطية في بورت آرثر وبومون.

منهج الإسلام في تحرير الرقيق

وهكذا وجدنا أن الرق من الأمور التي كانت منتشرة قبل الإسلام وبعده، ولما جاء الإسلام لم يكن طرفا أوحد فيها، ولكنه جفف منابعها.

يقول فضيلة الشيخ الغزالي - رحمه الله - :

في مطالع البعثة المحمدية كان الرقيق واقعا غير مؤلم ولا مستغرب ولا منكور، وكانت جماهير الأرقاء تزحم المشارق والمغارب، لا يابئهم لهم أحد ولا يفكر في إنقاذهم مُصلح.

في أرجاء الدولة الرومانية النصرانية كان العبيد يخدمون في صمت، وربما قُدِّم بعضهم طعاماً للوحوش في بعض المناسبات، وكان اليهود — وفق تعاليم التوراة — يُنظمون أساليب الاسترقاق للعبانيين وغير العبرانيين.

ولم الأسى على الرقيق وحدهم؟ إن المنبوذين في القارة الهندية كانوا أنجاساً لا تُعرف لهم حرمة، ولقد وقع ابنٌ لامرأةٍ برهميةٍ في بئر، وكان أحد المنبوذين يستطيع إنقاذه لو أذنت أمه، لكن الأم فضّلت أن يموت ولذها ولا يعيش بعد ما لمسه منبوذاً!

الإسلام أول من تكلم في تحرير الرقيق في عصره:

في هذا الجو القابض الظلوم كانت الإنسانية تعيش، ما أنصفتها فلسفة اليونان التي تُقرُّ الاسترقاق بعقلها المفكر! ولا أنصفتها مواريث التدنُّ التي احتضنها الكهنة وأظلمت بها الأرض، حتى تكلم محمد، وأصاخ الناس إلى ما جاء به، فإذا هم يسمعون أن البشر كلهم إخوة بينهم نسبٌ واحدٌ، وتسري في أوصالهم نفخة من روح الله، وأنهم سواسيةٌ في الحقوق والواجبات، وأنهم خلُقوا ليتعارفوا ويتحابوا (يا أيُّها الناسُ إنا خلقناكم من ذَكَرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائلَ لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (الحجرات: ١٣) وسمع الناس للمرة الأولى في تاريخهم أن المسترقين يجب أن تُفكَّ قيودهم وتُعتق رقابهم، وأن العانين ينبغي أن يُحرروا من الذلِّ والجوع والهوان، وأن العقبات دون هذا كله لابد من اقتحامها لمن يريد رضوان الله (فلا اقتحم العقبة. وما أدراك ما العقبة. فكُّ رقبة. أو إطعام في يومٍ ذي مسغبةٍ يتيماً ذا مقربة. أو مسكيناً ذا متربة) (البلد: ١١-١٦) وعلى المؤمنين أن يتجرّدوا لأداء هذا الواجب، فلا يُحرّروا الأسرى ليجعلوهم أتباعاً أو عبيدٍ إحسان بعد ما كانوا عبيدٍ سطوة، كلاً، إنهم كما قال تعالى: (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً. إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً) (الإنسان: ٨ — ٩).

إلغاء الإسلام لمصادر الرق :

ولمّا جاء دور التشريع لنقل هذه المبادئ إلى قوانين ملزمةٍ نظر الإسلام إلى مصادر الرقّ فألغاهما كلها على النحو الآتي:

الرق للعجز عن سداد الدين :

كان الرومانيون ومن قبلهم العبرانيون يحكمون بالعبودية على مُقترفي بعض الجرائم، ومن هذه الجرائم عند الرومان عجزُ المُعسر عن الوفاء بالدين، وقد رفض الإسلام هذه النظرة رفضاً حاسماً، ولم يسترق في أية مخالفة، بل رصد من الزكاة المفروضة سهماً لازماً لسداد ديون المُعسرين، قال تعالى: (وإن كان ذو عسرةٍ فنظرةٌ إلى ميسرةٍ وأن تصدقوا خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون) (البقرة: ٢٨٠).

خطف الأحرار :

وكان الخطف إلى القرن الماضي مصدرًا هائلًا للاستعباد، وقد ظلَّ الأوروبيون يصطادون البشر بضعة قرون من غرب أفريقيا، في ظروف تكتنفها الوحشية المطلقة، وتمَّ خطف عشرات الملايين وهلاكٌ مثلهم في أثناء الغارات التي كان يقوم بها قراصنتهم، وأبى الإسلام إباءً شديدًا خطفَ الأحرار، وهدم كل ما انبنى على هذا الخطف من آثار، وجاء في الحديث القدسي عن ربِّ العزة: "قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمُّهم يوم القيامة، ومَن كنتُ خصمَهُ خصمْتُه" غلبتُه "رجلٌ أعطى بي ثم غدر، ورجلٌ باع حُرًّا فأكل ثمنه، ورجلٌ استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يُعْطِهِ الأجر".

أسرى الحروب :

والمصدر الثالث للاسترقاق — وهو مصدر خطير — أسرى الحروب، إن أولئك المنكودين الخزايا كانوا يواجهون مستقبلًا غامضًا، وقد يكون الاسترقاق أهونَ ما يتوقعون. وفي الحرب العالمية الثانية لم تُعرف مصائر الألوف المؤلفة من أسرى الروس لدى الألمان أو أسرى الألمان لدى الفرنسيين. فإن كان ذلك ما وقع أيام التحضر والارتقاء فما ظنك بما كان يقع قديمًا؟ .

على أية حال فإن الإسلام في أول حرب خاضها خرج على الدنيا بمبادئ أركى وأرق في معاملة الأسرى، فنزل على رسول الله ﷺ في الأسرى بعد معركة بدر: (يا أيُّها النبي قُلْ لِمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ) (الأنفال: ٧١، ٧٠) والخيانة التي تشير إليها الآية موقفُ المشركين من قضية الحريات الدينية والإنسانية كلها، فقد كان موقفًا غبيًّا متعنًّا مليئًا بالكبرياء والقسوة، أكان هذا موقف عبدة الأوثان وحدهم؟ كلا، فإن أهل الكتاب كانوا أخسَّ وأظلم، يقول الله تعالى: (وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ) (البقرة: ١٤٥).

ليكن، فليس لأحد أن يرغمهم على اتباع. لكنهم لم يكتفوا بهذا، بل لجأوا إلى صدِّ الأتباع وفتنة الضعفاء وقيل لهم: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (آل عمران: ٩٩).

ولو أن الكُفرة للإسلام كان عواطف فردٍ أحمق أو سلوك نفرٍ متعصبين لهان الخطب، لقد تحوّل إلى حرب ساخنة يصلّاها دينٌ عدّه خصومه خارجًا على القانون ولم يروا الاعتراف به أبدًا، ولننظرُ إلى صدر تاريخنا القديم ولننساءل:

متى اعترفت الأديان الأخرى بحق الحياة للإسلام وحق أتباعه في إقامة مجتمع له؟ لا مجوسُ فارس، ولا يهودُ المستعمرات المقاومة في جزيرة العرب، ولا الرومان الذين

اعتنقوا النصرانية ليجعلوا منها ذريعة استعمارٍ أسودَ أكلَ الشامَ ومصرَ وغيرَهما طولَ خمسة قرون.

ومع ما أَحَسَّهُ سلفنا من وحشيةٍ ونكيرٍ فقد خاضوا ضدَّ أعدائهم حربًا عادلة، وأمروا بكسرِ شوكتهم ومحقِّ كبرهم، حتى إذا قَلَمُوا أظفارهم وأذلُّوا طُغيانهم قيلَ لهم: لكم أن تَمُنُّوا على الأسرى والمنهزمين (فإذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْنَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فِإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) (محمد: ٤).

وقد يَفْزَعُ البعض لكلمة (ضَرْبَ الرِّقَابِ) بيد أن فَرْعَهُ هذا يذهب عندما يَعْلَمُ أن عَرَبِيًّا من أذْئابِ الرومِ ومن وُلَاتِهِمْ شمالَ الجزيرةِ قَبَضَ على المسلم الذي جاء برسالةٍ من لدى النبي — صلى الله عليه وسلم — يدعو فيها إلى الإسلام وقال له: أنت حاملُ رسالةِ محمد؟ قال: نعم. فأمر بضَرْبِ عُنُقِهِ!

كأن حملَ كتابِ رقيقِ العبارةِ مَقْبُولِ العرضِ جريمةٌ تُعَالَجُ بالقتلِ السريعِ !
بِمِ يُعَامَلُ هؤلاء الأذئاب من سِماسرةِ الاستعمارِ الرومانيِّ الْمُتَعَصِّبِ!
إنها الحرب ولا شيءَ غيرها.

ثم قيل بعد ذلك للمقاتلين المسلمين: (فإذا أَثْنَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فِإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) المَنُّ أو الفداء! ليس هناك تصريحٌ في الآيةِ باسترقاقِ أحدٍ، لم يُعَدِ الأسرُ مَنَبَعًا دائمًا لأسواقِ الرقيقِ كما كان ذلك مَعْهودًا في القرونِ الأولى.
وهنا نبحت: كيف يتمُّ تنفيذُ هذا المبدأ؟

هل يُطْلَقُ المسلمون سراحَ الأسرى دون قيدٍ أو شرطٍ ليعودوا إلى مُقاتلتهم مرةً أخرى؟
هل يتمُّ هذا التحرير في الوقت الذي يُباعُ أبناؤهم فيه هنا وهناك؟
دعوة الإسلام لتحريم الرق في العالم :

إن مُعاملةَ الأسرى ليست تشريعًا مَحَلِّيًّا يصدر من جانبٍ واحدٍ، إنه تشريعٌ تلتزم به أطرافُ مُتَشَابِكَةِ المصالح، مُتَعَاوَنَةً على احترامِ قِيمٍ مُعَيَّنَةٍ.
هل يجد المسلمون هذه المعاني عند خصومهم؟

كلَّا، فإن هؤلاء الخصوم من عِبْدَةِ الأصنام أو من أتباعِ الكتبِ الأولى لا يَقْرؤون للمسلمين بحقِّ الوجود، فكيف يَسمحون لهم بحقِّ البقاء وحريةِ التدينِ!

وعندما يُوجد تفهُّمٌ دوليٌّ على "المَنِّ أو الفداء" فنحن أولُ من يُهرَعُ إلى الإسهام فيه وإنفاذِ عهوده، إن مبدأَ المعاملةِ بالمثلِ له أثره العميق في العلاقاتِ والمعاملاتِ الدوليةِ، وقد قلنا: إن الأمريكيين لو عَرَفُوا أن اليابانَ تَمْلِكُ رادعًا نوويًّا ما فَجَّرُوا قنابلهم الذرية فوق "هيروشيما" وناجازاكي!

وإلى أن يتم تفاهم عالمي على أسلوب إنساني في مُعاملة الأسرى انفراد الإسلام بتعاليم تحنو على أولئك المنكوبين، وتذكر بالأخوة الإنسانية، وتوصي بالرحمة، وتُعاقب على الغلظة، أو بعبارة موجزة: جفف منابع الرق جَهْدَ الطاقة، ونوع أسباب التحرر والانطلاق! فليس هناك أمرٌ باسترقاق، وإنما هناك أوامرٌ بالإعتاق، وقد بسطنا ذلك كله في مَوطن آخر (حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة).

موقف الإسلام من إنهاء الرق في العصر الحديث: قال لي شخصٌ من المُتأثرين بالاستعمار الثقافي: إن الحضارة الحديثة هي التي حرّرت النساء والأرقاء، ولا ريب أنها انساقت إلى ذلك من مَوارِثها الدينية!

قلت له: إن الحضارة الحديثة مكّنت ناساً لهم فِطرة سليمة من خدمة البشرية، مثل "أبراهام لنكولن" الذي قاد حرباً شديدة لتحرير العبيد، وقد لقيَ الرجل مصرعه بعد هذا البلاء، كما لقيَ غاندي مصرعه على يدٍ هنديٍّ مُتعصبٍ لدينه!

وأصحاب الفطرة السليمة الذين جاهدوا في سبيل هذه الغايات النبيلة كانوا يستوحون ضمائرهم وحدها، أين تجد المَوارِث الدينية في تحرير النساء عندما تقرأ رسالة "بولس الأول" إلى أهل "كورنثوسي" الإصحاح الرابع عشر فقرة ٢٤ وما بعدها:

"لَتَصْمُتْ نِسَاؤُكُمْ فِي الْكَنَائِسِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مَأْذُونًا لِهِنَّ أَنْ يَتَكَلَّمْنَ، بَلْ يَخْضَعْنَ! كَمَا يَقُولُ النَّامُوسُ أَيْضًا، وَلَكِنْ إِنْ كُنَّ يُرِيدْنَ أَنْ يَتَعَلَّمْنَ شَيْئًا فَيَسْأَلْنَ رِجَالَهُنَّ فِي الْبَيْتِ؛ لِأَنَّهُ قَبِيحٌ بِالنِّسَاءِ أَنْ يَتَكَلَّمْنَ فِي كَنِيسَةٍ؟"

وأيّن تجد المَوارِث الدينية في تحرير الأرقاء عندما تقرأ رسالة بولس إلى أهل "أفسس": "أيها العبيد، أَطِيعُوا سَادَتَكُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ بِخَوْفٍ وَرِعْدَةٍ! فِي بَسَاطَةِ قُلُوبِكُمْ كَمَا لِلْمَسِيحِ، وَلَا بِخِدْمَةِ الْعَيْنِ كَمَا يَرْضَى النَّاسُ، بَلْ كَعَبِيدِ الْمَسِيحِ... الخ"؟ (على هذا النصِّ وغيره استقرَّ الرقُّ في الغرب، وقتلَ أحدُ المتدينين المُتعصبين له "لنكولن" مُحرر العبيد).

إن رجالاً من أصحاب القلوب الكبيرة هم الذين جاهدوا بشرف لتكسير القيود التي أنشأها التظالم البشري على مرّ العصور، والحقيقة أنه لا دينَ إذا طُمست الفطرة وطُغَت الأثرَة! وللإسلام علامة مُميّزة يُعرف بها ويلفت كلٌّ امرئٍ إليها، تبدو في قوله تعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (الروم: ٣٠) ومن هنا حكمنا بأن التقاليد التي يتعارف الناس عليها يجب نبذها إذا خالفت الفطرة! ويستحيل أن تكون هذه التقاليد ديناً وإن استمسك بها بعض الكُهان!

والآن مع الآيات الكريمة، يقول سبحانه وتعالى في سورة الأحزاب ٣٦:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾

هذه الآية شوط جديد في إعادة تنظيم المجتمع المسلم على أساس التصور الإسلامي . وهو يختص ابتداء بإبطال نظام الرق والذي كان متبعاً في الجاهلية وقد شاء الله أن ينتدب لإبطال هذا التقليد من الناحية العملية رسوله ﷺ وقد كانت العرب تحرم مطلقة الابن بالتبني حرمة مطلقة الابن من النسب ؛ وما كانت تطبق أن تحل مطلقات الأدياء عملاً ، إلا أن توجد سابقة تقرر هذه القاعدة الجديدة . فانتدب الله رسوله ليحمل هذا العبء فيما يحمل من أعباء الرسالة . وسنرى من موقف النبي ﷺ من هذه التجربة أنه ما كان سواء قادراً على احتمال هذا العبء الجسيم ، ومواجهة المجتمع بمثل هذه الخارقة لمألوفه العميق ! وسنرى كذلك أن التعقيب على الحادث كان تعقيباً طويلاً لربط النفوس بالله ولبيان علاقة المسلمين بالله وعلاقتهم بنبيهم ، ووظيفة النبي بينهم . . كل ذلك لتيسير الأمر على النفوس ، وتطبيب القلوب لتقبل أمر الله في هذا التنظيم بالرضى والتسليم .

ولقد سبق الحديث عن الحادث تقرير قاعدة أن الأمر لله ورسوله، وأنه:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾

مما يوحي كذلك بصعوبة هذا الأمر الشاق المخالف لمألوف العرب وتقاليدهم العنيفة. روي أن هذه الآية نزلت في السيدة زينب بنت جحش — رضي الله عنها — حينما أراد النبي ﷺ بأمر من الله ﷻ أن يحطم الفوارق الطبقيّة الموروثة في المجتمع المسلم ؛ فيرد الناس سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، وكان الموالي — وهم الرقيق المحرر — طبقة أدنى من طبقة السادة، ومن هؤلاء كان زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ الذي تبناه، فأراد رسول الله ﷺ أن يحقق المساواة الكاملة بتزويجه من شريفة من بني هاشم ، قريبتة ﷺ زينب بنت جحش ؛ ليسقط تلك الفوارق الطبقيّة بنفسه ، في أسرته وما فعله عن أمر منه وما كان ليقدّر لولا أن أمره الله ﷻ بذلك ، وكانت هذه الفوارق من العمق والعنف بحيث لا يحطمها إلا فعل واقعي من رسول الله ﷺ تتخذ منه الأمة المسلمة أسوة ، وتسير البشرية كلها على هداه في هذا الطريق .

روى ابن كثير في التفسير قال: قال العوفي عن ابن عباس — رضي الله عنهما — : قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾

وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾، وذلك أن رسول الله ﷺ انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة ؓ فدخل على زينب بنت جحش الأسدية - رضي الله عنها - فخطبها ، فقالت: لست بناكحته ! فقال رسول الله ﷺ : " بلى فانكحيه " ، قالت: يا رسول الله . أؤمر في نفسي ؟ فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسول الله ﷺ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾.

قالت: قد رضيته لي يا رسول الله منكحا ؟ قال رسول الله ﷺ: " نعم " ! قالت: إذن لا أعصي رسول الله ﷺ قد أنكحته نفسي !

وقال ابن لهيعة عن أبي عمرة عن عكرمة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش لزيد بن حارثة ؓ فاستكفت منه ، وقالت: أنا خير منه حسباً - وكانت امرأة فيها حدة - فأنزل الله تعالى: ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾.

وهكذا قال مجاهد وقتادة ومقاتل بن حيان أنها نزلت في زينب بنت جحش - رضي الله عنها - حين خطبها رسول الله ﷺ على مولاه زيد بن حارثة ؓ فامتنعت ثم أجابت . والمدقق في قول ابن عباس عن السيدة زينب " فاستكفت منه ، وقالت: أنا خير منه حسباً " يدرك طبيعة المجتمع الذي يعيش على الأنساب ولا يتصور أحداً أن هذا الأمر يعد بسيطاً،

ففي رواية لأحمد مسند البصريين حديث رقم ١٨٩٤٨:

حَدَّثَنَا عَفَانُ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ كِنَانَةَ بْنِ نَعِيمٍ الْعَدَوِيِّ عَنْ أَبِي بَرزَةَ الْأَسْلَمِيِّ أَنَّ جُلَيْبِيًّا كَانَ امْرَأً يَدْخُلُ عَلَى النِّسَاءِ يَمُرُّ بِهِنَّ وَيَلَاعِبُهُنَّ فَقُلْتُ لِمَارَاتِي لَا يَدْخُلُنَّ عَلَيْكُمْ جُلَيْبِيٌّ فَإِنَّهُ إِنْ دَخَلَ عَلَيْكُمْ لَأَفْعَلَنَّ وَلَأَفْعَلَنَّ قَالَ وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ إِذَا كَانَ لِأَحَدِهِمْ أَيْمٌ لَمْ يُزَوِّجْهَا حَتَّى يَعْلَمَ هَلْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا حَاجَةٌ أَمْ لَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ زَوِّجْنِي ابْنَتَكَ فَقَالَ نَعَمْ وَكَرَامَةً يَا رَسُولَ اللَّهِ وَنَعَمْ عَيْنِي فَقَالَ إِنِّي لَسْتُ أُرِيدُهَا لِنَفْسِي قَالَ فَلَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لَجُلَيْبِيٍّ قَالَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَشَاوِرُ أُمًّا فَأَتَى أُمًّا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ ابْنَتَكَ فَقَالَتْ نَعَمْ وَنُعْمَةٌ عَيْنِي فَقَالَ إِنَّهُ لَيْسَ يَخْطُبُهَا لِنَفْسِهِ إِنَّمَا يَخْطُبُهَا لَجُلَيْبِيٍّ فَقَالَتْ أَجُلَيْبِيٌّ ابْنَةُ أَجُلَيْبِيٍّ ابْنَةُ أَجُلَيْبِيٍّ ابْنَةُ لَا لَعَمْرُ اللَّهِ لَا تَزَوِّجْهُ فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ لِيَأْتِيَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُخْبِرَهُ بِمَا قَالَتْ أُمًّا قَالَتْ الْجَارِيَةُ مَنْ خَطَبَنِي إِلَيْكُمْ فَأَخْبَرْتُهَا أُمًّا فَقَالَتْ أَتَرُدُّونَ عَلَيَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرَهُ ادْفَعُونِي فَإِنَّهُ لَمْ يُضِيعْنِي فَاَنْطَلَقَ أَبُوهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ قَالَ شَأْنُكَ بِهَا فَرَوَّجَهَا جُلَيْبِيًّا قَالَ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ لَهُ قَالَ فَلَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ لِأَصْحَابِهِ هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ قَالُوا نَفَقْدُ فُلَانًا وَنَفَقْدُ فُلَانًا قَالَ أَنْظِرُوا هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ قَالُوا لَا قَالَ لَكِنِّي أَفْقِدُ جُلَيْبِيًّا قَالَ فَاطْلُبُوهُ فِي الْقَتْلِ قَالَ فَطَلَبُوهُ فَوَجَدُوهُ إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ ثُمَّ قَتَلُوهُ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَا هُوَ ذَا إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ ثُمَّ قَتَلُوهُ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَامَ عَلَيْهِ فَقَالَ قَتَلَ سَبْعَةً وَقَتَلُوهُ هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ثُمَّ وَضَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَاعِدَيْهِ وَخَفَرَهُ لَهُ مَا لَهُ سَرِيرٌ إِلَّا سَاعِدَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ وَضَعَهُ فِي قَبْرِهِ وَلَمْ يُذَكَّرْ أَنَّهُ غَسَلَهُ

قَالَ ثَابِتٌ فَمَا كَانَ فِي الْأَنْصَارِ أَيُّمٌ أَنْفَقَ مِنْهَا وَحَدَّثَ إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ثَابِتًا قَالَ هَلْ تَعْلَمُ مَا دَعَا لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُمَّ صَبِّ عَلَيْهَا الْخَيْرَ صَبًّا وَلَا تَجْعَلْ عَيْشَهَا كَدًّا كَدًّا قَالَ فَمَا كَانَ فِي الْأَنْصَارِ أَيُّمٌ أَنْفَقَ مِنْهَا قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا حَدَّثَ بِهِ فِي الدُّنْيَا أَحَدٌ إِلَّا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ مَا أَحْسَنَهُ مِنْ حَدِيثٍ .

وقد أثبتنا الرواية الخاصة بجلبيبيب لأنها تدل على منطق البيئـة الذي توكل الإسلام بتحطيمه ، وتولى رسول الله ﷺ تغييره بفعله وسنته . وهو جزء من إعادة تنظيم المجتمع المسلم على أساس منطق الإسلام الجديد ، وتصوره للقيم في هذه الأرض ، وانطلاق النزعة التحريرية القائمة على منهج الإسلام ، المستمدة من روحه العظيم .

ولكن نص الآية أعم من أي حادث خاص. وقد تكون له علاقة كذلك بإبطال آثار التبني ، وإحلال مطلقات الأدعياء، وحادث زواج رسول الله ﷺ من زينب — رضي الله عنها — بعد طلاقها من زيد . الأمر الذي كانت له ضجة عظيمة في حينه . والذي ما يزال يتخذه بعض أعداء الإسلام تكأة للطعن على رسول الله ﷺ حتى اليوم ، ويلفقون حوله الأساطير ! .

فهذا المقوم من مقومات العقيدة هو الذي استقر في قلوب تلك الجماعة الأولى من المسلمين استقراراً حقيقياً ؛ واستيقنته أنفسهم ، وتكيفت به مشاعرهم . . هذا المقوم يتلخص في أنه ليس لهم في أنفسهم شيء ؛ وليس لهم من أمرهم شيء . إنما هم وما ملكت أيديهم لله . يصرفهم كيف يشاء ، ويختار لهم ما يريد . وإن هم إلا بعض هذا الوجود الذي يسير وفق الناموس العام . وخالق هذا الوجود ومدبره يحركهم مع حركة الوجود العام ؛ ويقسم لهم دورهم في رواية الوجود الكبيرة ؛ ويقرر حركاتهم على مسرح الوجود العظيم . وليس لهم أن يختاروا الدور الذي يقومون به، لأنهم لا يعرفون الرواية كاملة ؛ وليس لهم أن يختاروا الحركة التي يحبونها لأن ما يحبونه قد لا يستقيم مع الدور الذي خصص لهم ! وهم ليسوا أصحاب الرواية ولا المسرح ؛ وإن هم إلا أجراء، لهم أجرهم على العمل، وليس لهم ولا عليهم في النتيجة !

عندئذ أسلموا أنفسهم حقيقة لله . أسلموها بكل ما فيها ؛ فلم يعد لهم منها شيء . وعندئذ استقامت نفوسهم مع فطرة الكون كله ؛ واستقامت حركاتهم مع دورته العامة ؛ وساروا في فلکهم كما تسير تلك الكواكب والنجوم في أفلاكها ، لا تحاول أن تخرج عنها ، ولا أن تسرع أو تبطئ في دورتها المتناسقة مع حركة الوجود كله .

وعندئذ رضيت نفوسهم بكل ما يأتي به قدر الله، لشعورهم الباطن الواصل بأن قدر الله هو الذي يصرف كل شيء، وكل أحد، وكل حادث، وكل حالة. واستقبلوا قدر الله فيهم بالمعرفة المدركة المريحة الواثقة المطمئنة.

وشئنا فشيئا لم يعودوا يحسون بالمفاجأة لقدر الله حين يصيبهم، ولا بالجزع الذي يعالج بالتجمل ؛ أو بالألم الذي يعالج بالصبر . إنما عادوا يستقبلون قدر الله استقبال العارف المنتظر المرتقب لأمر مألوف في حسه، معروف في ضميره، ولا يثير مفاجأة ولا رجفة ولا غرابة، إنه الاستسلام المطلق ليد الله تقود خطاهم، وتصرف حركاتهم ؛ وهم مطمئنون لليد التي تقودهم، شاعرون معها بالأمن والثقة واليقين، سائرون معها في بساطة ويسر ولين.

وهم — مع هذا — يعملون ما يقدر عليهم ، ويبذلون ما يملكون كله ، ولا يضيعون وقتا ولا جهدا ، ولا يتركون حيلة ولا وسيلة . ثم لا يتكلفون ما لا يطيقون ، ولا يحاولون الخروج عن بشريتهم وما فيها من خصائص ، ومن ضعف وقوة ؛ ولا يدعون ما لا يجدونه في أنفسهم من مشاعر وطاقات ، ولا يحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا ، ولا أن يقولوا غير ما يفعلون .

وهذا التوازن بين الاستسلام المطلق لقدر الله ، والعمل الجاهد بكل ما في الطاقة ، والوقوف المطمئن عند ما يستطيعون . . هذا التوازن هو السمة التي طبعت حياة تلك المجموعة الأولى وميزتها ؛ وهي التي ألهتها لحمل أمانة هذه العقيدة الضخمة التي تتوء بها الجبال !

ومن هذا البيان ينجلي أن هذا النص القرآني: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ (٣٦) . أشمل وأوسع وأبعد مدى من أي حادث خاص يكون قد نزل فيه. وأنه يقرر كلية أساسية، أو الكلية الأساسية، في منهج الإسلام.

ثانياً: في زواجها رضي الله تعالى عنها من رسول الله ﷺ كان القضاء على نظام التبني.

ثم يجيء الحديث عن حادث زواج النبي ﷺ من السيدة زينب بنت جحش ، وما سبقه وما تلاه من أحكام وتوجيهات:

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفِيَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَخَشِيَ النَّاسُ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ

مَمَّا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا لَكَ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا



قَضَوْا مِنْهُمْ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا

مضى في أول السورة إبطال تقليد التبني ؛ ورد الأدعياء إلى آبائهم، وإقامة العلاقات العائلية على أساسها الطبيعي:

وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَائَكُمْ أَوْلِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ

يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿١٠﴾ أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ

فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ



مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا

ولكن نظام التبني كانت له آثار واقعية في حياة الجماعة العربية ؛ ولم يكن إبطال هذه الآثار الواقعية في حياة المجتمع ليمضي بالسهولة التي يمضي بها إبطال تقليد التبني ذاته. فالتقاليد الاجتماعية أعمق أثرا في النفوس. ولا بد من سوابق عملية مضادة . ولا بد أن تستقبل هذه السوابق أول أمرها بالاستنكار ؛ وأن تكون شديدة الوقع على الكثيرين.

وقد مضى أن رسول الله ﷺ زوج زيد بن حارثة — الذي كان متبناه ، وكان يدعى زيد ابن محمد ثم دعى إلى أبيه — من زينب بنت جحش ، ابنة عمه رسول الله ﷺ ليحطم بهذا الزواج فوارق الطبقات الموروثة ، ويحقق معنى قوله تعالى في سورة الحجرات ١٣:

﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٤﴾

ويقرر هذه القيمة الإسلامية الجديدة بفعل عملي واقعي.

ثم شاء الله أن يحمل نبيه بعد ذلك — فيما يحمل من أعباء الرسالة — مؤنة إزالة آثار نظام التبني ؛ فيتزوج من مطلقة متبناه زيد بن حارثة . ويواجه المجتمع بهذا العمل ، الذي لا يستطيع أحد أن يواجه المجتمع به ، على الرغم من إبطال عادة التبني في ذاتها !

وألهم الله نبيه ﷺ أن زيدا سيطلق زينب ؛ وأنه هو سيتزوجها ، للحكمة التي قضى الله بها . وكانت العلاقات بين زيد وزينب قد اضطربت، وعادت توحى بأن حياتهما لن تستقيم طويلا. وجاء زيد مرة بعد مرة يشكو إلى رسول الله ﷺ اضطراب حياته مع زينب ؛ وعدم استطاعته المضي معها . والرسول ﷺ على شجاعته في مواجهة قومه في أمر العقيدة دون لجلجة ولا خشية ، يحس ثقل التبعة فيما ألهمه الله من أمر زينب ؛ ويتردد في مواجهة القوم بتحطيم ذلك

التقليد العميق ؛ فيقول لزيد [الذي أنعم الله عليه بالإسلام وبالقرب من رسوله وبحب الرسول له ، ذلك الحب الذي يتقدم به في قلبه على كل أحد بلا استثناء . والذي أنعم عليه الرسول بالعنق والتربية والحب] . . يقول له: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ (الأحزاب : ٣٧) .

ويؤخر بهذا مواجهة الأمر العظيم الذي يتردد في الخروج به على الناس . كما قال الله تعالى: ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ! ﴾ .

وهذا الذي أخفاه النبي ﷺ في نفسه ، وهو يعلم أن الله مبديه ، هو ما ألهمه الله أن سيفعله . ولم يكن أمرا صريحا من الله . وإلا ما تردد فيه ولا أخره ولا حاول تأجيله . ولجهر به في حينه مهما كانت العواقب التي يتوقعها من إعلانه . ولكنه ﷺ كان أمام إلهام يجده في نفسه ، ويتوجس في الوقت ذاته من مواجهته ، ومواجهة الناس به . حتى أذن الله بكونه . فطلق زيد زوجه في النهاية . وهو لا يفكر لا هو ولا زينب ، فيما سيكون بعد . لأن العرف السائد كان يعد زينب مطلقة ابن لمحمد لا تحل له. حتى بعد إبطال عادة التبني في ذاتها . ولم يكن قد نزل بعد إحلال مطلقات الأدعياء. إنما كان حادث زواج النبي بها فيما بعد هو الذي قرر هذه القاعدة، بعدما قبل هذا القرار بالدهشة والمفاجأة والاستكار.

وفي هذا ما يهدم كل الروايات التي رويت عن هذا الحادث ؛ والتي تشبث بها أعداء الإسلام قديما وحديثا، وصاغوا حولها الأساطير والمفتريات !
إنما كان الأمر كما قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ . وكانت هذه إحدى ضرائب الرسالة الباهظة حملها رسول الله ﷺ فيما حمل ؛ وواجه بها المجتمع الكاره لها كل الكراهية ، حتى ليتردد في مواجهته بها وهو الذي لم يتردد في مواجهته بعقيدة التوحيد ، ودم الآلهة والشركاء ؛ وتخطئة الآباء والأجداد !
﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ .. لا مرد له ، ولا مفر منه . واقعا محققا لا سبيل إلى تخلفه ولا إلى الحيدة عنه .

وكان زواجه ﷺ من زينب - رضي الله عنها - بعد انقضاء عدتها .

أرسل إليها زيدا زوجها السابق . وأحب خلق الله إليه . أرسله إليها ليخطبها عليه .

عن أنس - رضي الله عنه - قال: لما انقضت عدة زينب - رضي الله عنها - قال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة . " اذهب فاذكرها علي " فانطلق حتى أتاها وهي تخمر عجينها . قال: فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها، وأقول: إن رسول الله ﷺ ذكرها !

فوليتها ظهري ، ونكصت على عقبي ، وقلت: يا زينب . أبشري . أرسلني رسول الله ﷺ بذكرك . قالت: ما أنا بصانعة شيئا حتى أوامر ربي عز وجل . فقامت إلى مسجدها . ونزل القرآن . وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن . . .

❖ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَخَشَوْنَهُ وَلَا تَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٢٩﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن

رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٠﴾ ❖

وقد روى البخاري - رحمه الله - عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوفِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ قَالَ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ طَهْمَانَ أَبُو بَكْرٍ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ كَانَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ تَفْخَرُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقُولُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْكَحَنِي مِنَ السَّمَاءِ وَفِيهَا نَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ . رواه النسائي في سننه حديث رقم ٣٢٠٠ ولم تمر المسألة سهلة ، فلقد فوجئ بها المجتمع الإسلامي كله ؛ كما انطلقت السنة المنافقين نقول: تزوج حليلة ابنه !

ولما كانت المسألة مسألة تقرير مبدأ جديد فقد مضى القرآن يؤكد لها ؛ وبزيل عنصر الغرابة فيها ، ويردها إلى أصولها البسيطة المنطقية التاريخية:

❖ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ❖ . .

فقد فرض له أن يتزوج زينب، وأن يبطل عادة العرب في تحريم أزواج الأديعاء. وإذن فلا حرج في هذا الأمر، وليس النبي ﷺ فيه بدعا من الرسل .

❖ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ❖ (الأحزاب : ٣٨) . .

فهو أمر يمضي وفق سنة الله التي لا تتبدل . والتي تتعلق بحقائق الأشياء ، لا بما يحوطها من تصورات وتقاليد مصطنعة لا تقوم على أساس .

❖ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ❖ .

فهو نافذ مفعول، لا يقف في وجهه شيء ولا أحد. وهو مقدر بحكمة وخبرة ووزن، منظور فيه إلى الغاية التي يريدها الله منه. و يعلم ضرورتها وقدرها وزمانها ومكانها . وقد أمر الله رسوله أن يبطل تلك العادة ويمحو آثارها عمليا، ويقرر بنفسه السابقة الواقعية. ولم يكن بد من نفاذ أمر الله .

وسنة الله هذه قد مضت في الذين خلوا من قبل من الرسل:
 ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ .
 (الأحزاب : ٣٩) .

فلا يحسبون للخلق حسابا فيما يكلفهم الله به من أمور الرسالة، ولا يخشون أحدا إلا الله الذي أرسلهم للتبليغ والعمل والتنفيد.

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ ..

فهو وحده الذي يحاسبهم ، وليس للناس عليهم من حساب .
 ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (الأحزاب : ٤٠) .

فزينب ليست حليمة ابنه، وزيد ليس ابن محمد، إنما هو ابن حارثة، ولا حرج إذن في الأمر حين ينظر إليه بعين الحقيقة الواقعة.
 والعلاقة بين محمد ﷺ وبين جميع المسلمين — ومنهم زيد بن حارثة — هي علاقة النبي بقومه ، وليس هو أبا لأحد منهم:

﴿وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ .

ومن ثم فهو يشرع الشرائع الباقية، لتسير عليها البشرية ؛ وفق آخر رسالة السماء إلى الأرض، التي لا تبدل فيها بعد ذلك ولا تغيير . ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ .
 فهو الذي يعلم ما يصلح لهذه البشرية، وما يصلحها ؛ وهو الذي فرض على النبي ما فرض ، واختار له

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ١٢ هُوَ

الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ

بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝ ١٣

ما اختار . ليحل للناس أزواج أديانهم ، إذا ما قضوا منهن وطرا ، وانتهت حاجتهم منهن ، وأطلقوا سراحهن . . قضى الله هذا وفق علمه بكل شيء . ومعرفته بالأصلح والأوفق من النظم والشرائع والقوانين ؛ ووفق رحمته وتخييره للمؤمنين .
 وإليك القصة كما ذكرها ابن حجر العسقلاني في فتح الباري شرح صحيح البخاري حديث رقم ٤٤١٣ ، عند شرحه لقوله تعالى:

﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ .

قَوْلُهُ : إِنَّ هَذِهِ آيَةٌ (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ) .

نَزَلَتْ فِي شَأْنِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ ، هَكَذَا اقْتَصَرَ عَلَى هَذَا الْقَدْرِ مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ ، وَقَدْ أَخْرَجَهُ فِي التَّوْحِيدِ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ : " جَاءَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَشْكُو ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : اتَّقِ اللَّهَ وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ، قَالَ أَنَسٌ : لَوْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَاتِمًا شَيْئًا لَكُنَّ هَذِهِ الْآيَةُ " قَالَ : " وَكَانَتْ تَفْتَخِرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " الْحَدِيثُ . وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ عَنْ مُؤَمَّلِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ بِلَفْظٍ " أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْزِلَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ فَجَاءَهُ زَيْدٌ يَشْكُوهَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ ، فَنَزَلَتْ إِلَى قَوْلِهِ : (زَوْجَانِكَهَا) قَالَ : يَعْنِي زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ " . وَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ هَذِهِ الْقِصَّةَ مِنْ طَرِيقِ السُّدِّيِّ فَسَاقَهَا سِيَاقًا وَاضِحًا حَسَنًا وَلَفْظَهُ " بَلَّغْنَا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ ، وَكَانَتْ أُمِّهَا أُمِّمَةً بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَادَ أَنْ يُزَوِّجَهَا زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ مَوْلَاهُ فَكَرِهَتْ ذَلِكَ ، ثُمَّ إِنَّهَا رَضِيَتْ بِمَا صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ ، ثُمَّ أَعْلَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أَنَّهَا مِنْ أَزْوَاجِهِ فَكَانَ يَسْتَحْيِي أَنْ يَأْمُرَ بِطَلَاقِهَا ، وَكَانَ لَا يَزَالُ يَكُونُ بَيْنَ زَيْدٍ وَزَيْنَبَ مَا يَكُونُ مِنَ النَّاسِ ، فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُمْسِكَ عَلَيْهِ زَوْجَهُ وَأَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ ، وَكَانَ يَخْشَى النَّاسَ أَنْ يَعْيَبُوا عَلَيْهِ وَيَقُولُوا تَزَوَّجَ امْرَأَةَ ابْنِهِ ، وَكَانَ قَدْ تَبَنَّى زَيْدًا " . وَعِنْدَهُ مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ : أَعْلَمَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ زَيْنَبَ سَتَكُونُ مِنْ أَزْوَاجِهِ قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا ، فَلَمَّا أَتَاهُ زَيْدٌ يَشْكُوهَا إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ : اتَّقِ اللَّهَ وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ قَالَ اللَّهُ : قَدْ أَخْبَرْتُكَ أَنِّي مُزَوِّجُكَهَا ، وَتَخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ . وَقَدْ أَطْنَبَ التِّرْمِذِيُّ الْحَكِيمُ فِي تَحْسِينِ هَذِهِ الرِّوَايَةِ وَقَالَ : إِنَّهَا مِنْ جَوَاهِرِ الْعِلْمِ الْمَكْنُونِ . وَكَأَنَّهُ لَمْ يَقِفْ عَلَى تَفْسِيرِ السُّدِّيِّ الَّذِي أوردته ، وَهُوَ أَوْضَحُ سِيَاقًا وَأَصَحُّ إِسْنَادًا إِلَيْهِ لِضَعْفِ عَلِيِّ بْنِ زَيْدِ بْنِ جُدْعَانَ . وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقُ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : جَاءَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ زَيْنَبَ اسْتَدَّتْ عَلَيَّ لِسَانَهَا ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُطْلِقَهَا ، فَقَالَ لَهُ : اتَّقِ اللَّهَ وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ، قَالَ : وَالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ أَنْ يُطْلَقَهَا وَيَخْشَى قَالَةَ النَّاسِ . وَوَرَدَتْ آثَارٌ أُخْرَى أَخْرَجَهَا ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَالطَّبْرِيُّ وَنَقَلَهَا كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ لَا يَنْبَغِي التَّشَاغُلُ بِهَا ، وَالَّذِي أوردته مِنْهَا هُوَ الْمُعْتَمَدُ . وَالْحَاصِلُ أَنَّ الَّذِي كَانَ يُخْفِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ إِخْبَارُ اللَّهِ إِيَّاهُ أَنَّهَا سَتَصِيرُ زَوْجَتَهُ ، وَالَّذِي كَانَ يَحْمِلُهُ عَلَى إِخْفَاءِ ذَلِكَ خَشْيَةُ قَوْلِ النَّاسِ تَزَوَّجَ امْرَأَةَ ابْنِهِ ، وَأَرَادَ اللَّهُ إِبْطَالَ مَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ عَلَيْهِ مِنْ أَحْكَامِ التَّبَنِّيِّ بِأَمْرِ لَا أُبْلَغُ فِي الْإِبْطَالِ مِنْهُ وَهُوَ تَزَوُّجُ امْرَأَةِ الَّذِي يُدْعَى ابْنًا . وَوُقُوعُ ذَلِكَ مِنْ إِمَامِ الْمُسْلِمِينَ لِيَكُونَ أَدْعَى لِقَبُولِهِمْ . وَإِنَّمَا وَقَعَ الْخَبْطُ فِي تَأْوِيلِ مُتَعَلِّقِ الْخَشْيَةِ وَاللَّهِ أَعْلَمُ ، وَقَدْ أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ مِنْ طَرِيقِ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ عَنْ الشَّعْبِيِّ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : " لَوْ

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَاتِمًا شَيْئًا مِنَ الْوَحْيِ لَكُمْ هَذِهِ الْآيَةُ (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ - يَعْنِي بِالْإِسْلَامِ - وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ - بِالْعَتَقِ - أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ) إِلَى قَوْلِهِ : (قَدَرًا مَقْدُورًا) وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا تَزَوَّجَهَا قَالُوا : تَزَوَّجَ حَلِيلَةَ ابْنِهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ) الْآيَةُ ، وَكَانَ تَبْنَاهُ وَهُوَ صَغِيرٌ . قُلْتُ : حَتَّى صَارَ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ زَيْدُ ابْنِ مُحَمَّدٍ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ - إِلَى قَوْلِهِ - وَمَوَالِيكُمْ) . قَالَ التِّرْمِذِيُّ : رَوَى عَنْ دَاوُدَ عَنْ الشَّعْبِيِّ عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ إِلَى قَوْلِهِ : " لَكُمْ هَذِهِ الْآيَةُ " وَلَمْ يَذْكُرْ مَا بَعْدَهُ . قُلْتُ : وَهَذَا الْقَدْرُ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ كَمَا قَالَ التِّرْمِذِيُّ ، وَأُظُنُّ الزَّائِدَ بَعْدَهُ مُدْرَجًا فِي الْخَبَرِ ، فَإِنَّ الرَّاوِيَّ لَهُ عَنْ دَاوُدَ لَمْ يَكُنْ بِالْحَافِظِ . وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ : إِنَّمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَزَيْدٍ : (أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ) اخْتِبَارًا لِمَا عِنْدَهُ مِنَ الرَّغْبَةِ فِيهَا أَوْ عَنْهَا ، فَلَمَّا أَطْلَعَهُ زَيْدٌ عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنْهَا مِنَ النُّفَرَةِ الَّتِي نَشَأَتْ مِنْ تَعَاطُفِهَا عَلَيْهِ وَبِذَاءَةِ لِسَانِهَا أَذِنَ لَهُ فِي طَلَاقِهَا ، وَلَيْسَ فِي مُخَالَفَةِ الْأَمْرِ لِمُتَعَلِّقِ الْعِلْمِ مَا يَمْنَعُ الْأَمْرَ بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَرَوَى أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ طَرِيقِ سُلَيْمَانَ بْنِ الْمُغِيرَةِ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ : " لَمَّا انْقَضَتْ عِدَّةُ زَيْنَبَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَزَيْدٍ : اذْكُرْهَا عَلَيَّ ، قَالَ : فَانْطَلَقْتُ فَقُلْتُ : يَا زَيْنَبَ ، أَبْشِرِي ، أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُكَ . فَقَالَتْ : مَا أَنَا بِصَانِعَةٍ شَيْئًا حَتَّى أُوَامِرَ رَبِّي ، فَقَامَتْ إِلَى مَسْجِدِهَا ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ ، وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ " وَهَذَا أَيْضًا مِنْ أُبْلَغَ مَا وَقَعَ فِي ذَلِكَ ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الَّذِي كَانَ زَوْجَهَا هُوَ الْخَاطِبُ ، لِئَلَّا يَظُنَّ أَحَدٌ أَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ قَهْرًا بِغَيْرِ رِضَا . وَفِيهِ أَيْضًا اخْتِبَارٌ مَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْهَا هَلْ بَقِيَ مِنْهُ شَيْءٌ أَمْ لَا ؟ وَفِيهِ اسْتِحْبَابُ فِعْلِ الْمَرْأَةِ الْإِسْتِخَارَةَ وَدُعَائَهَا عِنْدَ الْخُطْبَةِ قَبْلَ الْجَابَةِ ، وَأَنَّ مَنْ وَكَّلَ أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَسِّرَ اللَّهُ لَهُ مَا هُوَ الْأَحْظَرُ لَهُ وَالْأَنْفَعُ دُنْيَا وَآخِرَى .

تقول السيدة زينب لما انقضت عِدَّتِي لم أعلم إلا ورسول الله ﷺ قد دخل علي بيتي ، وأنا مكشوفة الشعر ، فعلمت أنه أمر من السماء ، فقلت يا رسول الله : بلا خطبة ولا إلهاد ؟! قال ﷺ الله زوج وجبريل الشاهد وتزوج الرسول ﷺ امرأة زيد بعده ، وانتفى ما كان أهل الجاهلية يعتقدونه من أن الذي يتبنى غيره يصير ابنه.

وكانت وليمة العرس حافلة مشهودة، فلقد ذبح النبي ﷺ شاة ، وأمر أنس بن مالك رضي الله عنه أن يدعو الناس إلى الوليمة ، فترافدوا أفواجا أفواجا ، يأكل كل فوج ويخرج ، ثم يدخل فوج آخر ، حتى أكلوا كلهم.

الفخر :

لقد كانت السيدة زينب تفتخر بزواجها من الرسول ﷺ وتقول يا رسول الله إني والله ما أنا كإحدى نسائك ، ليست امرأة من نسائك إلا زوجها أبوها أو أخوها أو أهلها ، غيري زوجينيك

الله من السماء وقد كانت - رضي الله عنها - تفتخر على نساء النبي ﷺ فتقول زوجك أهايكين ، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات فلما سمعتها السيدة عائشة - رضي الله عنها - قالت أنا التي نزل عذري من السماء فاعترفت لها زينب - رضي الله عنها -

السخاء والجود:

لقد سميت السيد زينب بأم المؤمنين ومفزع اليتامى وملجأ الأرمال ، وقد اكتسبت تلك المكانة بكثرة سخائها وعظيم جودها ، وقد قال الرسول ﷺ لنسائه أسرعن لحاقاً بي أطولكن يداً تقول السيدة عائشة أن النبي ﷺ إنما أراد طول اليد بالصدقة ، وكانت زينب امرأة صناع اليد ، فكانت تدبغ وتخرز وتتصدق به في سبيل الله تعالى . وبعد وفاة الرسول ﷺ كان عطاؤها اثني عشر ألفاً ، لم تأخذه إلا عاماً واحداً ، فجعلت تقول اللهم لا يدركني هذا المال من قابل ، فإنه فتنة ثم قسمته في أهل رحمتها وفي أهل الحاجة ، فبلغ عمر فقال هذه امرأة يراؤ بها خيراً فوقف عليها وأرسل بالسلام ، وقال بلغني ما فرقته ، فأرسل بألف درهم تستبقه فسلكت به ذلك المسلك .

وفاتها:

توفيت السيدة زينب سنة عشرين من الهجرة وهي بنت ثلاث و خمسين سنة ، قالت السيدة عائشة رحم الله زينب ، لقد نالت في الدنيا الشرف الذي لا يبلغه شرف ، إن الله زوجها ، ونطق به القرآن ، وإن رسول الله ﷺ قال لنا وأسرعن بي لحوقاً أطولكن باعاً فبشرها بسرعة لحوقها به ، وهي زوجته في الجنة . وهي أول من توفي من زوجات النبي ﷺ بعده ، وذلك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، والذي صلى عليها رضي الله تعالى عنها وأرضاها وذلك سنة ٢٠ للهجرة وهي ابنة ٥٣ سنة ، وهي أول من حمل بالنعش من موتى العرب ، ودفنت في البقيع . رضي الله عنها .

٨ - السيدة: جُوَيْرِيَّةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ الْخَزَاعِيَّةِ رضي الله عنها:

السيدة جُوَيْرِيَّةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ الْخَزَاعِيَّةِ وهي غير ميمونة بنت الحارث الهلالية المضرية - آخر زوجات النبي ﷺ - ، وكانت أرملة لمسافع بن صفوان الذي كان من ألد أعداء الإسلام وأشدهم خصومة للرسول ﷺ ، كان قد قتل يوم المريسيع خلاله غزوة بني المصطلق وتركها ف وقعت أسيرة في يد المسلمين ، وهي أيضا بنت الحارث بن ضرار سيد بني المصطلق الذين كانوا يتآمرون على المسلمين وأحيانا يغيرون عليهم ويوقعون بهم الضرر .

أحداث هامة كبار:

لقد شغل رسول الله ﷺ إثر زواجه من السيدة زينب بنت جحش بأحداث هامة كبار ملأت النصف الثاني من السنة الخامسة للهجرة..

ففي شوال وأوائل ذي القعدة، كانت واقعة الخندق التي لقي فيها الرسول ﷺ والمسلمون جموع الأحزاب من المشركين الذين أغراهم بالخروج لحرب الرسول ﷺ في مدينته نجر من اليهود وعدوهم النصر، لقيهم الرسول ﷺ في ثلاثة آلاف من المسلمين وراء الخندق الذي حفره حول المدينة، وقد أقبلت قريش في عشرة آلاف ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد.

ونقض اليهود العهد الذي قطعوه على أنفسهم بالحياد، وعظم البلاء بالمسلمين واشتد الخوف، وآتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم، وزلزلوا زلزالاً شديداً، وتخاذل الذين خرجوا للقتال مع الرسول ﷺ طمعاً في الغنيمة، فلما ظنوا أنه مهزوم كروا راجعين إلى ديارهم.. وكان حصار مرهق استغرق سبعة وعشرين يوماً، ثم دارت الدائرة على المشركين وتم النصر للرسول ﷺ والذين آمنوا معه، يقول سبحانه وتعالى في سورة الأحزاب:

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنْفِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطْعُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرًا ﴿٢٧﴾

ووضع المسلمون السلاح وقد أجهدتهم المعركة وآووا إلى بيوتهم في الصباح يلتمسون راحة طويلة، فنا انتصف النهار حتى تناهى إلى أسماعهم صوت داعي الرسول ﷺ يؤذن في الناس: [من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة].

واستأنفوا القتال، وحاصروا يهود بني قريظة خمساً وعشرين ليلة قبل أن يتم التسليم في شهر ذي القعدة وصدر ذي الحجة..

ثم يتبعها غزوة ذي قرد ، ويعود إلى المدينة فما يقيم بها شهراً وبعض شهر حتى يبلغه أن بني المصطلق — وهم حي من خزاعة — يجمعون الجموع لقتال النبي ﷺ بقيادة زعيمهم الحارث بن أبي ضرار ، وخرج إليهم الرسول ﷺ ومعه من نسائه السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما حتى لقيهم على ماء لهم يقال له المريسي، فكان قتال مريع ، انتهى بهزيمة بني المصطلق وسيقت نساؤهم سبايا، وفيهم جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد القوم وقائدهم (٦٢٦م).

وقفل المصطفى راجعاً إلى المدينة، ليفتقد السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها، ثم لم يلبث أن رآها تدخل المدينة على بعير صفوان بن المعطل السلمي، فاطمأن عليها، وخرج ليوزع الغنائم على المجاهدين في قتال بني المصطلق، ثم انصرف إلى بيته خالي البال إلا من شئون الدعوة التي أوشكت أن تقضي على الوثنية المشركة والضلال الموروث، وكان من محنة الإفك وحديث الإفك على السيدة عائشة ما هو معروف — وكما مر بك عند الحديث عن زواجها رضي الله تعالى عنها — وما لاقاه الرسول ﷺ من آلام نفسية لا يطيقها بشر... ولكنه التشريع... كان لابد من تشريع للأمة الإسلامية حول التكيف الجنائي لجريمتي القذف والزنا، وكان لابد وأن يكون بيت النبوة محل هذا التشريع وما يتكبده النبي ﷺ وآل بيته من آلام نفسية ضرورية لاحتامية الدعوة... وقبل قليل عشنا معه ﷺ في محنته النفسية حول زواجه من السيدة زينب بنت خويلد وتشريع القضاء على ظاهرتي الرق والتبني.

في هذه الظروف النفسية الأليمة والتي أضاعت حلاوة النصر تأتي السيدة جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار تطلب لقاء النبي ﷺ لتستعين به على أمرها من كتاب ثابت بن قيس ولا تعلم أن السماء تدخر لها ولقومها الخير كله.

فلقد ورد في صحيح البخاري عن عائشة — رضي الله تعالى عنها — أنها قالت: "أصاب رسول الله خير نساء بني المصطلق، فأخرج الخمس منه ثم قسمه بين الناس، فأعطى الفرس سهمين والرجل سهماً، ف وقعت **جُوَيْرِيَّةُ بِنْتُ الْحَارِثِ** في سهم ثابت بن قيس، فجاءت إلى الرسول فقالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيد قومهم، وقد أصابني من الأمر ما قد علمت، وقد كاتبني ثابت على تسع أواق، فأعني على فكاكي، فقال ﷺ: "أو خير من ذلك؟". فقالت: ما هو؟. فقال: "أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك". فقالت: نعم يا رسول الله. فقال رسول الله: "قد فعلت". فلما علم أصحاب النبي ﷺ بهذا قالوا: "أصهار رسول الله يسترقون؟". فأعتقوا ما كان في أيديهم من سبي بني المصطلق، فبلغ عتقهم مائة بيت بزواجه عليه السلام بنت سيد بني المصطلق.

ولم يسع لبني المصطلق بعد إطلاق سراحهم والإحسان عليهم من قبل الرسول ﷺ والمسلمين إلا أن يسلموا ويتخلصوا من حقدهم على الإسلام والنبي ﷺ ويقنعوا عن جرائم قطع الطريق والغارات التي كانوا يشنونها على ديار المسلمين (كانت هذه القبيلة من قطاع الطريق). وقد ورد في بعض الروايات أنه وصل أبو السيدة جويرية لعنتها من الأسر قبل زواجها بالرسول ﷺ وأراد أن يأخذها معه ويدفع تسع أوقيات من عنده وهنا ترك النبي ﷺ الأمر للسيدة جويرية أن تختار بين أمرين:

(١) إما أن تذهب إلى قبيلتها مع أبيها.

(٢) وإما أن تسلم وتختار الزواج بالرسول ﷺ فاختارت الإسلام والزواج بالرسول ﷺ على الكفر والرجوع إلى أهلها وقبيلتها، فكان هذا الزواج بركة عليها وعلى أهلها وقبيلتها لأنه كان سببا لإسلامهم وعققتهم وترك أعمال قطع الطريق، فقال الناس: "إن جويرية أيمن امرأة على قومها"، من هنا نرى أن هذا الزواج كان ميمونا على بني المصطلق لأنه استبدل عداوتهم للإسلام إلى حبهم لله والرسول والإسلام وهو مبارك على المسلمين أيضا لأنه خلصهم من غارات بني المصطلق ومؤامراتهم وبدأ بنو المصطلق يساعدون المسلمين ويجاهدون في سبيل الله.

ولقد عاشت السيدة جويرية إلى أن استقر الأمر لمعاوية، وتوفيت رضي الله تعالى عنها بالمدينة بعد منتصف القرن الأول الهجري (٥٦ هـ - ٦٧٦م)، وعرفت في تاريخ الإسلام، بأمر المؤمنين التي لم تكن امرأة أعظم على قومها بركة منها... رضي الله تعالى عنها وأرضاها...

٩- السيدة: صَفِيَّةُ بِنْتُ حَيٍّ بْنِ أَخْطَبَ رضي الله عنها:

انتهت السنة السادسة للهجرة، بعد أن أحدثت في بيت النبوة ضجة ما قبلها ضجة، تزوج فيها المصطفى صلى الله عليه وسلم بجويرية بنت الحارث وابنتي بمحنة الإفك في أعز أزواجه وأحبهن إلي قلبه بعد السيدة خديجة أم المؤمنين الأولى، وفيها أيضاً تم صلح الحديبية. وبزغ هلال المحرم من سنة سبع، والرسول ﷺ يتهايم لمعركة حاسمة تقطع دابر اليهود اللئام الذين كشفت وقعة الخندق عما ينطوون عليه من حقد خبيث، وما يبيتون للإسلام من شر.... وخرج الرسول ﷺ في النصف الثاني من المحرم إلى خيبر معقل العدو، فما أشرف عليها حتى هتف: (الله أكبر .. خربت خيبر..). وخربت خيبر في محرم سنة ٧ هـ / ٦٢٩ م ، وفتحت حصونها حصناً حصناً، وقتل رجالها، وسبي نساؤها، وفيهن عقيلة بني النضير، السيدة صَفِيَّةُ بِنْتُ حَيٍّ بْنِ أَخْطَبَ ملك اليهود.

نسبها رضي الله عنها

هي أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب بن سعية بن ثعلبة بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبي الحبيب بن النضير بن النحام بن ناخوم من سبط لاوي بن يعقوب عليه السلام ثم من ذرية هارون بن عمران عليه السلام أخي موسى كليم الله عليه السلام أمها : برة بنت سموءل أخت رفاعة بن سموءل القرظي

كانت ولادة السيدة صفية — رضي الله عنها — بعد بعثة الرسول ﷺ بثلاث سنين تقريباً، ونشأت بين قومها من يهود بني النضير الذين يترعهم أبوها.

رؤيا و بشارة

كانت السيدة صفية قد رأت رؤيا في منامها أن قمرا وقع في حجرها فذكرت ذلك لأبيها فضرب وجهها ضربة أثرت فيه و قال : انك لتمدنين عنقك إلى أن تكوني عند ملك العرب و مازال الأثر في وجهها حتى أتى بها إلى رسول الله ﷺ فسألها عنه فأخبرته الخبر

عداء مسبق

عندما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة المنورة بأمر ربه ﷻ ونزل بمحلة قباء وتسامع أهل المدينة بقدمه، ووفدوا إليه مرحبين.. كان من بين الوافدين إليه أبوها حيي وعمها أبو ياسر، وتقص السيدة صفية ما دار بين أبيها وعمها من حديث بعد رؤيتهما للنبي ﷺ فتقول: كنت أحب أولاد أبي إليه وإلي عمي أبي ياسر.. فلما قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة، ونزل بقاء في منزل عمرو بن النجار، وغدا عليه أبي وعمي مغلسين — أي: مبكرين قبل غروب الشمس — فلم يرجعا حتى كان غروب الشمس، فأتيا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهويني.

فتقول: فهششت إليهما كما كنت اصنع، فو الله ما التفت إلي واحد منهما مع ما بهما من الغم. وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي: أهو هو؟ — أي: أهذا هو النبي الذي بشرت به التوراة — ؟ فقال له أبي نعم، هو هو والله.

فقال له عمي: أتعرفه وتثبته؟ فقال له أبي: نعم. فقال له عمي: فماذا في نفسك منه؟ فقال له أبي: عداوته والله ما بقيت.

شاهدت السيدة صفية الأحداث والمصائب التي نزلت بقومها من بني إسرائيل، بسبب حربهم للرسول ﷺ شاهدت في مطلع عمرها جلاء بني قينقاع، ثم جلاء عشيرتها من بني النضير، ثم ما نزل ببني قريظة من عقوبات عادلة بسبب نقضهم لعهودهم. وشاهدت كيف أن أباه حيي بن أخطب كيف قاد اليهود في حربهم للنبي ﷺ ولأصحابه، وكيف انه ذهب إلي مشركي قريش وإلي غيرهم ليحرضهم علي محاربة المسلمين، وكيف أن عاقبته كانت القتل بسبب إصراره علي عداوة المسلمين إلي آخر لحظة من حياته، وكان مقتله في أعقاب غزوة بني قريظة..

وتزوجت السيدة صفية وهي دون الخامسة عشرة من عمرها بواحد من زعماء قومها وهو سلام بن مشكم القرظي ثم انفصل عنها وتزوج من زينب بنت الحارث بن ضرار، فتزوجت هي بزعيم آخر من زعماء قومها هو كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضري، وقد قتل في غزوة خيبر — لاحظ أنها لم تتعرض للغمز واللمز بالنسبة لزواجها من سلام وكنانة وذلك من قبل أعداء الإسلام، فكم كان عمرها يوم أن خطبها سلام بن مشكم وكم كان عمرها يوم أن دخل بها وكم من العمر مكثت عنده، وكم كان عمرها بعد ذلك يوم أن خطبها كنانة بن الربيع وكم كان عمرها يوم أن دخل بها، لا أحد يتكلم ولا يذكرها بسوء لا لشيء إلا لأنها يهودية الأصل، وقارن ما حدث مع السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها .

وغزوة خيبر كانت في شهر المحرم من السنة السابعة للهجرة، وفيها تم النصر للمسلمين بقيادة النبي ﷺ علي يهود خيبر بعد معارك شديدة، وبلغ عدد الذين استشهدوا فيها من المسلمين خمسة عشر شهيدا، بينما قتل من يهود خيبر أكثر من تسعين قتيلا كان منهم سلام بن مشكم القرظي و كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق زوجا .

صفية رضي الله عنها في بيت النبوة

وكان من بين السبايا من نساء اليهود السيدة صفية ومعها ابنة عم لها، وقد سار بهما بلال — رضي الله عنه — فمر بها علي بعض القتلى من يهود خيبر، ومن أقارب صفية وابنة عمها. استطاعت السيدة صفية أن تكتم حزنها وآلامها، أما ابنة عمها فقد رفعت صوتها بالعويل والنحيب.. جيء بها إلي الرسول ﷺ وهما علي تلك الحال من الحزن، فقال ﷺ لبلال معاتباً:

يا بلال أنزعت من قلبك الرحمة، حين تمر بامرأتين علي قتلي رجالهما؟!!!

قال ﷺ للسيدة صفية: اختاري، فإن اخترت الإسلام اخترتك لنفسي، وإن اخترت اليهودية فعسي أن أعتقك فتلحقني بأهلك.

قالت: يا رسول الله، لقد اخترت الإسلام، وآمنت بك قبل أن تدعوني، حيث صرت إلي رحلك، وما لي في اليهودية من مأرب، ولقد خيرتني الكفر والإسلام، فأله ورسوله أحب إلي من العتق، وأن أرجع إلي قومي، فأمسكها رسول الله ﷺ لنفسه.

و بعد أن انتهت عدتها، تزوجها رسول الله ﷺ، في قبة بعد أن دفعها ﷺ لأُم سليم لتصلح من شأنها وبات تلك الليلة أبو أيوب الأنصاري رضي الله تعالى متوشحاً سيفه يحرسه ويطوف بتلك القبة حتى أصبح رسول الله ﷺ فرأى مكان أبي أيوب فقال مالك يا أبا أيوب قال: يا رسول الله خفت عليك من هذه المرأة قتلت أباهما وزوجها وقومها وهي حديثة عهد بكفر فبت أحفظك، فقال ﷺ اللهم أحفظ أبا أيوب كما بات يحفظني .

وجاء أنه ﷺ لما قطع ستة أميال من خيبر وأراد أن يعرس بها فأبى فوجد النبي ﷺ في نفسه فلما سار ووصل الصهباء مال إلى دومة هناك فطاوعته فقال لها ما حملك على إياك حين أردت المنزل الأول قالت يا رسول الله خشيت عليك قرب يهود.

وأقام ﷺ بذلك المحل ثلاثة أيام وجعل وليمتها حيسا في نطع صغير - والحيس تمر وأقط وسمن - وقال ﷺ من كان عنده شيء فليجيء به وبسط نطعا فجعل الرجل يجيء بالتمر أي وجعل الرجل يجيء بالأقط .

وحاولت زينب بنت الحارث وهي زوجة سلام بن مشكم قتل النبي ﷺ بأن أهدته شاة مسمومة بتحريض من بعض قومها ، وقد لاق منها النبي ﷺ مضغة فلم يستسغها وأخبرته الشاة أنها مسمومة، وكان يرافقه البشر بن البراء فاساغها ومات مسموما من أكلها . وقد اعترفت زينب بفعلها لأنها أرادت أن تستريح من النبي ﷺ إن كان كاذبا أما إن كان صادقا في نبوته فسيخبر بالأمر ، وقد عفى عنها .

عاشت السيدة صفية - رضي الله عنها - في بيت النبوة ، وازدادت إيمانا علي إيمانها، وإخلاصا علي إخلاصها، وكانت تحسن صناعة الأطعمة التي يحبها النبي ﷺ.

تقول السيدة عائشة - رضي الله عنها: ما رأيت صانعة طعام مثل صفية، صنعت لرسول الله ﷺ طعاما وهو في بيتي، ارتعدت من شدة الغيرة، فكسرت الإناء، ثم ندمت فقلت يا رسول الله: ما كفارة ما صنعت؟ قال ﷺ: كفارة ذلك: إناء مثل الإناء، وطعام مثل الطعام.

كانت - رضي الله عنها - رقيقة العاطفة، تتألم عندما تشعر بالتعريض بها، سمعت مرة من تتباهي عليها وتتسبها إلي اليهودية، فذهبت إلي النبي ﷺ وهي تبكي، وشكت إليه ما سمعت، فقال لها ﷺ علي سبيل التسلية لها والترويح عنها: هلا قلت لمن يفخر عليك: زوجي محمد، وأبي هارون، وعمي موسى؟. نزل كلام النبي ﷺ علي قلبها بردا وسلاما.

حلمها رضي الله عنها

كانت رضي الله عنها تمتاز بالحلم والأناة والسماحة، ومن الأدلة علي ذلك أن جارية لها قالت لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يا أمير المؤمنين إن سيدتي صفية تحب يوم السبت، وتصل رحمها من اليهود.

فبعث عمر - رضي الله عنه - إلي السيدة صفية يسألها عن ذلك فقالت: أما السبت فإنني لا أحبه منذ أن أبدلني الله به يوم الجمعة. أما اليهود فإن لي فيهم رحما فأنا أصلها.

ثم قالت لجاريته: ما الذي حملك علي أن تقول ذلك لأمر المؤمنين؟ فقالت الجارية الشيطان هو الذي حملني علي ذلك فكان رد أم المؤمنين صفية علي جاريته: اذهبي فأنت حرة لوجه الله.

موقف لا ينسى

لما ابتلى الله تعالى عبده ذا النورين عثمان رضي الله عنه بالحصار كانت السيدة صفية رضي الله عنها من الذين دافعوا عنه فروي عن كنانة — مولى صفية رضي الله عنها — قال : قدمت صفية رضي الله عنها في حجابها على بغلة لترد عن عثمان فلقينا الأشر فضرب وجه البغلة وهو لا يعرف راكبتها فقالت لي صفية رضي الله عنها : ردني لا تفضحني ثم وضعت أم المؤمنين عليها السلام خشبا من منزلها إلى منزل عثمان رضي الله عنه تستخدمه معبرا تنقل عليه الماء و الطعام

تشريع جديد

ومن الواضح أنه كان من الضروري ألا يتزوج ابنة ملك اليهود سوى من يفوق أباه منزلته ومكانته، ومن غير الرسول ﷺ وهو سيد ولد آدم، وليس معقولا ولا مقبولا أن تترك هذه المسكينة بعدما كانت فيه من عز ورفاهية ورفعة لمن قد يسيء معاملتها، وفي زواجها من المصطفى تشريع للمسلمين بمشروعية الزواج من نساء أهل الكتاب. عاشت السيدة صفية — رضي الله عنها — وفية لدينها، مؤدية لحقوق خالقها ﷺ إلى أن توفيت سنة خمسين أو اثنتين وخمسين من الهجرة والأمر مستقر لمعاوية، وقد جاوزت الستين من عمرها، ودفنت مع أمهات المؤمنين بالبقيع — رضي الله تعالى عنهن جميعا.

١٠ — السيدة: أُم حَبِيبَةَ ، واسمُها رَمْلَةُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ رضي الله عنها:

كانت السيدة " رَمْلَةُ " بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ زعيم مكة وقائد المشركين الذي كان في جاهليته ألد أعداء الإسلام بعد أبي جهل، زوجة لابن عمه الرسول ﷺ ، عبيد الله بن جحش الأسدي ، وقد أسلم عبيد الله فأسلمت معه " رَمْلَةُ " ومازال أبوها أبو سفيان على الكفر، وخشيت أذى أبيها، فهاجرت مع زوجها إلى الحبشة وهي مثقلة بحملها، وتركت أباه بمكة وقد جن غيظه، وقهره أن أسلمت ابنته وليس له إليها سبيل، وهناك في الحبشة وضعت رَمْلَةُ بنتها " حبيبة بنت عبيد الله " والتي كنيبت بها فصارت تدعى أُم حَبِيبَةَ ، وإذ هي في غربتها تكتم حنينها إلى الوطن، وتحاول أن تجد في زوجها وطفلتها عوضاً عما فارقت من أهل وعشيرة، قامت ذات ليلة من نومها مذعورة فقد رُوعت برؤيا لعبيد الله زوجها وهو بأسوأ صورة، واستيقظت لتعلم أن عبيد الله قد ارتد عن دينه الذي من أجله هاجر إلى الحبشة واعتنق النصرانية دين الأحباش وحاول أن يردّها عن دين الإسلام فصبرت على دينها. وكادت بنت أبي سفيان تهلك غماً وأسى وحسرة، فم كانت هجرة عبيد الله إذن، وفيم كان عذاب الاضطهاد ومحنة التشرد وأشجان الاغتراب ومرارة التكر للآباء والأجداد.

وكانت و قد أسلمت وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش فرارا بدينها، ومات زوجها في الحبشة فأصبحت وحيدة ليس لها كفيل ولا معين، إن هي عادت إلى أبيها في مكة المكرمة فالنتيجة واضحة، ستجبر على الرجوع إلى الكفر قهرا وإلا عذبت عذابا شديداً، أما في المدينة المنورة فليس لها من يكفلها ويرعاها.

فلما أعلم الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ بما أصابها وصبرها على دينها، خطبها ﷺ وأرسل إلى النجاشي ملك الحبشة ليزوجه إياها ولم تكن تعلم شيئاً.

ومرت فترة من الزمن وهي في عزلتها الحزينة، فما شعرت ذات يوم إلا بطرقات تلح على بابها الموصد مستأذنة لجارية من جواري النجاشي وفتحت أم حبيبة الباب الموصد فدخلت الجارية وأدت إليها رسالة النجاشي، (إن الملك يقول لك : وكلي من يزوجك من نبي العرب فقد أرسل إليه ليخطبك له.)، واستعادت السيدة رملة حديث الجارية مرة ومرتين وثلاثاً، حتى استيقنت البشرى، نزعت سوارين لها من فضة فقدمتهما إليه حلوة البشرى، ثم أرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس — كبير المهاجرين من قومها بني أمية — فوكلته في زواجها، فزوجها النجاشي بالرسول ﷺ وأصدقها عنه أربعمئة دينار مع هدايا أخرى ثمينة.

وبانت بنت أبي سفيان بن حرب في مهاجرها بالحبشة وهي أم المؤمنين... ونعود للنبي ﷺ وقد تم له النصر بفتح خيبر وقد تزوج عقيلة بني النضير وسيقت بين يديه غنائم اليهود وتأهبت المدينة للقاء الجيش العائد، وقد أعدت لرسول الله ﷺ أسعد مفاجأة ترضيه، فهناك في المدينة والرسول ﷺ غائب في خيبر، كان مهاجروا الحبشة قد جاءوا في صحبة (عمرو بن أمية الضمري) الذي بعثه النبي ﷺ إلى النجاشي ليعود بمن بقى في بلاده من المهاجرين الأوليين، وحملهم عمرو في سفينتين، فبلغ بهم المدينة حيث الأهل والأنصار ومعركة خيبر في ذروة احتدامها.

وأعقب وصولهم إعلان فتح خيبر والنصر المبين على يهودها، وخرج أهل المدينة لاستقبال الجند المنتصر، فضاقت بهم إرجاء الوادي وقد بُحت أصواتهم من هتاف ودعاء.

وأهل عليهم رسول الله ﷺ فلمح من بينهم أصحابه الذين هاجروا من مكة في محنة الاضطهاد والعذاب، أولئك الذين كان آخر عهده بهم يوم أن تسللوا من أم القرى، خارجين من ديارهم وأموالهم في سبيل الله وأقصى ما يتمناه أحدهم أن يموت على الإسلام غريباً مهاجراً...

وكانوا قد تواعدوا على اللقاء في الدار الآخرة، وهامهم أولاء يلتقون في أرض الوطن في يوم الاحتفال بفتح خيبر وقد صارت للإسلام الكلمة العليا في جزيرة العرب، ووثب المصطفى ﷺ من فوق راحلته فالتزم ابن عمه جعفر بن أبي طالب معانقاً وهو يقول: " ما أدري بأيهما أنا أسر، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر.."، والتفت ﷺ بعد ذلك يلتمس بقية أصحابه المهاجرين وقد

كانوا ستة عشر رجلاً .. وهناك بين المهاجرات العائدات، كانت السيدة أم حبيبة رَمَلَةً بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ تَتَنَظَّرُ الْمُصْطَفَى ﷺ لِيَحْمِلَهَا إِلَى بَيْتِهِ، فَلَقْدَ تَزَوَّجَهَا ﷺ وَهِيَ فِي هَجْرَتِهَا كَمَا تَقْدَمُ ، وَكَانَ عَمْرُهَا حِينَئِذٍ سَبْعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً، وَلَمَّا عَلِمَ أَبُو سُفْيَانَ بِهَذَا الزَّوْجِ أَقْرَهُ وَقَالَ: "هُوَ الْفَحْلُ لَا يَقْدَعُ أَنْفَهُ".

وبهذا الزواج اتضحت الحكمة البالغة فقد كان سبباً في تأليف قلب أبي سفيان وقومه الأمر الذي أدى إلى تخفيف الأذى عن المسلمين في مكة المكرمة وأصبح أكثر ميلاً إلى الصلح، فنراه قادماً إلى المدينة المنورة لتجديد الصلح ويزور ابنته في بيت الرسول ﷺ والابنة تقنعه أنه لا كرامة لأي إنسان إلا بالإسلام وإن كان والدها، فمن الواقع أن أبا سفيان ما جاء غازياً ضد أهل المدينة بعد هذا الزواج.

ماتت رضي الله تعالى عنها سنة أربع وأربعين من الهجرة في عهد أخيها معاوية بن أبي سفيان، رضي الله تعالى عنهم جميعاً.

١١- السيدة مارية بنت شمعون القبطية

المقوقس حاكم مصر

كان أهل الكتاب ينتظرون نبياً " يبعث من جزيرة العرب . وكان بعض من الرهبان يقيمون داخل مكة وحولها وعلى الجبال التي تربط بينها وبين الشام. وكانوا يتحسسون أخبار هذا النبي من التجار الذين يخرجون من مكة أو الذين يقصدونها. ولم تقف دائرة الانتظار وتتبع الأخبار عند هذا الحيز الذي يحيط بمكة . وإنما اتسع ليصل إلى بلاد اليمن وبلاد الحبشة ومصر .

وكان بمصر في هذه الآونة مكتبة عامرة بالإسكندرية ، وكانت الإسكندرية لا تخلو من الباحثين عن الحقيقة ، نظراً " لأن عقيدة إلهية المسيح عقيدة غير مفهومة لم يقرأها المسيح ولا يعلم عنها شيئاً " ، وإنما هي من اختراع الذين جاؤا من بعده ولم يروه ولم يسمعوا منه ، ولما كانت عقيدة التثليث عقيدة مستعصية عن الفهم ولا يفهمها حتى القائمين عليها . فإن دائرة الخاصة بالإسكندرية بحثت عن الحقيقة كما بحث عنها دائرة الخاصة في الحبشة وعلى رأسهم النجاشي ، وكما بحث عنها دائرة الخاصة في خيبر وعلى رأسهم صفية بنت حيى . وكما اهتم النجاشي ملك الحبشة بالدعوة الخاتمة . اهتم مقوقس الإسكندرية أيضاً " بهذه الدعوة .

ومن الثابت أن مصر كانت ترتبط بالحبشة يومئذ بروابط اقتصادية وسياسية وكانت الكنيسة الحبشية ترتبط بالكنيسة القبطية المصرية الأرثوذكسية.

ولما كانت سنة ست من مهاجر رسول الله ﷺ ورجع من الحديبية بعث إلى الملوك فبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس.

هدية المقوقس

ولا يخفى أن مكتبات القصور لا تخلو من الكتب العتيقة والنادرة التي تختصر الطريق للوصول إلى الحق ولقد قال بعض علماء الآثار : إن عقيدة التوحيد التي اعتنقها (أخناتون) وصلت إليه من بقايا تراث الأسرة الفرعونية الثانية عشرة .

وهذا التراث كان ينتقل من قصر إلى قصر . وأجمع علماء الآثار على أن نزول إبراهيم ﷺ إلى مصر كان في عهد الأسرة الثانية عشرة .

ولقد أهدى فرعون مصر إلى إبراهيم ﷺ السيدة هاجر أم إسماعيل ، وذكر ابن كثير في البداية والنهاية إن هاجر كانت جارية من بنات الملوك [البداية والنهاية. 309 / 5].

و لا تخفى المقارنة بين السيدة ماريّا رضي الله عنها و السيدة هاجر التي كانت أيضا هبة لإبراهيم ﷺ فأكرمها الله تعالى بأمومتها لإسماعيل عليه السلام كانت السيدة هاجر رضي الله تعالى عنها عند المقدمة الأولى من بنات الملوك. وسارت في القافلة الإبراهيمية ، ثم كانت السيدة مارية القبطية عند الدعوة الخاتمة من الملوك وسارت نحو المدينة لتكون ضمن أمهات المؤمنين ، وكأن التاريخ يحدثنا أن سنة إبراهيم سنة جارية استقرت في نهاية المطاف عند النبي الخاتم ﷺ ، أو كأنه يقول إن حركة المقدمة يستقيم مع حركة الخاتمة .

إن هدية المقوقس تفيد أن الحجة قد قامت على الخاصة من قبل أن يبعثوا بالهدية، وعندما بعثوا بهذه الهدية فإن هذا يعني أن الحجة دامغة على دائرة أوسع من دائرة الخاصة، وتحت هذا السقف يمكن أن نفهم بكل يسر ما روي عن كعب بن مالك . قال: قال رسول الله ﷺ استوصوا بالقبط خيرا " فإن لهم ذمة ورحما " . قال: ورحمهم أن أم إسماعيل بن إبراهيم منهم. وأم إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم منهم) [الطبقات الكبرى. 215 / 7].

و ذكر أن المقوقس لما أتاه الكتاب ضمه إلى صدره وقال هذا زمان يخرج فيه النبي الذي نجد نفعه في كتاب الله وإنا نجد من نعمته أنه لا يجمع بين أختين وأنه يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة وأن جلساءه المساكين ثم دعا رجلا عاقلا فلم يجد بمصر أحسن ولا أجمل من مارية وأختها فبعث بهما إلى رسول الله ﷺ وبعث بغلة شهباء وحمرا أشهب وثيابا من قباطى مصر وعسلا من عسل بنها وبعث إليه بمال وصدقة و خصي يقال له : مأبور وهو شيخ كبير كان ابن عم مارية.

وبعث بذلك كله مع حاطب بن أبي بلتعة فعرض حاطب بن أبي بلتعة على مارية الإسلام ورغبها فيه فأسلمت وأسلمت أختها سيرين و لما وصل المدينة قدم الأختين والدايتين والعسل والثياب وأعلمه أن ذلك كله هدية فقبل رسول الله ﷺ الهدية ولما نظر إلى مارية وأختها أعجبته فأمسك بمارية لنفسه ووهب أختها سيرين لحسان بن ثابت، فولدت له عبد الرحمن بن حسان.

وروى ابن كثير وغيره: أن النبي ﷺ كان يركب في المدينة البغلة التي أهداها إليه المقوقس . وأنه ركبها يوم حنين، وقد تأخرت هذه البغلة وطالت مدتها، وكانت عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان يركبها يوم الجمل، ثم صارت إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وكبرت حتى كان يحش لها الشعير لتأكله.

أم إبراهيم

وكانت السيدة ماريّا رضي الله عنها تسكن في منطقة العالية بضواحي المدينة حيث الخضرة احترما لكونها جاءت من بلاد النيل حتى لا تشعر بوحشة. وتوجهت ماريّا إلى الله، بالدعاء أن يجعلها ذات مكرمة مثل هاجر المصرية فتلد لرسول الله ابناً. واستجاب لها السماء، وتحركت أحشاؤها بالجنين، الذي سعد به رسول الله، وكان ﷺ يسهر عليها يرعاها في حملها.

وفي السنة الثامنة من الهجرة في شهر ذي الحجة ولد إبراهيم ابن رسول الله ﷺ من ماريّة القبطية رضي الله عنها، — وكانت قابلتها فيه سلمى مولاة رسول الله ﷺ. — فانطلق رسول الله ﷺ لها واحتضن ابنه ثم خرج للمسلمين و قال لهم : إن الله رزقني غلاما وقد أسميته على أسم أبي إبراهيم، واختار النبي ﷺ مرضع لولده وجعل في حيازتها قطعة من الماعز كي ترضعه بلبنها إذا شح ثدياها.

وانطلقت الشائعات المغرضة، تشكك في حمل السيدة ماريّا، فالرسول ﷺ وهو في هذا العمر، لا ينجب، ولم ينجب من بعد السيدة خديجة رضي الله تعالى عنها، وهو الذي تزوج البكر، والولود، واتهموا السيدة "ماريا" بآبن عمها "مأبور". ولكن جبريل عليه السلام، حسم الشائعة حيث نادى رسول الله ﷺ بأبي إبراهيم. [الاستيعاب. 4 / 42].

وفاة إبراهيم

و بولادة إبراهيم أصبحت مارية حرة

عن ابن عباس قال: لما ولدت مارية قال رسول الله ﷺ: أعتقها ولدها. وكان النبي ﷺ يرقب ابنه و هو ينمو يوما بعد يوم و لكن إبراهيم عليه السلام مرض و لم يبلغ العامين من عمره فجاء رسول الله ﷺ معتمدا على عبد الرحمن بن عوف لشدة ألمه فحمل صغيره من حجر أمه و هو يجود بنفسه ووضعه في حجره محزون القلب ضائع الحيلة لا يملك إلا أن يقول في أسى و تسليم : إنا يا إبراهيم لا نغنى عنك من الله شيئا ثم ذرفت عيناه وهو يرى ولده يعالج سكرات الموت و يسمع حشرجة احتضاره مختلطة بعويل الأم النكلى والخالة المفجوعة.

و عن انس بن مالك رضي الله عنه قال : دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين و كان ظئرا لإبراهيم عليه السلام فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم فقبله و شمه ثم دخلنا عليه بعد ذلك و إبراهيم يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله ﷺ تدمعان فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : و أنت يا رسول الله ؟ فقال ﷺ : يا بن عوف إنها رحمة ثم اتبعها أخرى فقال ﷺ : أن العين تدمع و القلب يحزن و لا نقول إلا ما يرضي ربنا و إنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون و توفي إبراهيم عليه السلام في العاشر من ربيع الأول سنة عشر من الهجرة ثم نظر إلى ماريّا في عطف و رثاء وقال يواسيها : إن إبراهيم ابني وانه مات في الثدي و إن له لظئرين تكملان رضاعته في الجنة و قبل ابن عمه الفضل بن عباس رضي الله عنه فغسل الصغير وأبوه ﷺ جالس يرنو إليه في حزن و حمل إلى بيت ظئره على سرير صغير و صلى عليه أبوه ﷺ و كبر أربعاً ثم سار وراءه إلى البقيع و أضجعه بيده في قبره ثم سوى عليه التراب و نداه بالماء.

واعتكفت ماريّا في بيتها تحاول أن تتجمل بالصبر حتى لا تتكأ الجرح في صدر رسول الله ﷺ فإذا عز الصبر انطلقت إلى البقيع فاستروحت لقرب فقيدها و التمست الراحة في البكاء و قد صادف يوم وفاته كسوف للشمس فقال الناس : انكسفت الشمس لموت ابن رسول الله ﷺ فخرج معلم البشرية ﷺ فصلّى بالناس صلاة الكسوف و قال : إن الشمس و القمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت احد و لا لحياته فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله و كبروا وصلوا و تصدقوا ، و مات إبراهيم وهو ابن ثمانية عشر شهراً ، " وكانت وفاته يوم الثلاثاء لعشر ليال خلت من ربيع الأول سنة عشر من الهجرة النبوية المباركة ".

وذكر ابن كثير في البداية والنهاية [البداية والنهاية. 309 / 5] : لما توفي إبراهيم بن رسول الله ﷺ بعث علي بن أبي طالب إلى أمه مارية . فحملة علي بن أبي طالب ﷺ وجعله بين يديه على الفرس ، ثم جاء به إلى رسول الله ﷺ . فغسله وكفنه وخرج به وخرج الناس معه . فدفنه في الزقاق الذي يلي دار محمد بن زيد . فدخل علي بن أبي طالب في قبره . حتى سوى عليه ودفنه . ثم خرج ورش على قبره وأدخل رسول الله ﷺ يده في قبره وبكى رسول الله ﷺ ، وبكى المسلمون حوله حتى ارتفع الصوت .

ثم قال رسول الله ﷺ : تدمع العين ويحزن القلب . و لا نقول ما يغضب الرب . و إنا عليك يا إبراهيم لمحزونون.

الإفك الجديد

ما وجد المنافقون رسول الله ﷺ يحب ويكرم إحدى نسائه حتى سارعوا بالتقول عليها ظلما و حقا كما حدث مع أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها فلما وجد المنافقون حب رسول الله ﷺ لأم إبراهيم روجوا لحديث إفك جديد واتهموها ظلما و عدوانا مع العبد الذي أرسله

المقوقس معها في الهدية و كان هذا الحديث شديد الوطأة على رسول الله ﷺ و لم يتخل الله تعالى عن السيدة ماريّا رضي الله عنها بل أتاح لها دليلا قاطعا على براءتها ،وذلك على النحو الوارد تفصيلا:

ورد في صحيح مسلم كتاب التوبة حديث رقم: ٤٩٧٥

: بَابُ بَرَاءَةِ حَرَمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الرِّيْبَةِ
[حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا عَفَّانُ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ أَخْبَرَنَا ثَابِتٌ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يُتَّهَمُ بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ اذْهَبْ فَاضْرِبْ عُنُقَهُ فَإِذَا هُوَ فِي رَكِيٍّ يَنْبَرِدُ فِيهَا فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ اخْرُجْ فَنَاولَهُ يَدَهُ فَأَخْرَجَهُ فَإِذَا هُوَ مَجْبُوبٌ لَيْسَ لَهُ ذَكَرٌ فَكَفَّ عَلِيُّ عَنْهُ ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ لَمَجْبُوبٌ مَا لَهُ ذَكَرٌ] .

قال الإمام النووي

[ذَكَرَ فِي الْبَابِ حَدِيثُ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يُتَّهَمُ بِأَمْرِ وَلَدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَمَرَ عَلِيًّا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنْ يَذْهَبَ يَضْرِبُ عُنُقَهُ ، فَذَهَبَ فَوَجَدَهُ يَغْتَسِلُ فِي رَكِيٍّ ، وَهُوَ الْبُرْ ، فَرَأَاهُ مَجْبُوبًا فَتَرَكَهُ ، قِيلَ : لَعَلَّهُ كَانَ مُنَافِقًا وَمُسْتَحَقًّا لِلْقَتْلِ بِطَرِيقٍ آخَرَ ، وَجَعَلَ هَذَا مُحَرِّكًَا لِقَتْلِهِ بِنِفَاقِهِ وَغَيْرِهِ لَا بِالزَّنا ، وَكَفَّ عَنْهُ عَلِيُّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - اعْتِمَادًا عَلَى أَنَّ الْقَتْلَ بِالزَّنا ، وَقَدْ عُلِمَ انْتِفَاءُ الزَّنا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .]

ترى .. هل تقبل هذه الرواية التي تطعن بطهر بيت النبوة ؟ وكيف يصدر سيدنا محمد ﷺ أمرا بقتل زان دون شهادة شهود ؟ بل دون أن يسمع دفاع المتهم ذاته ؟ وماذا لو لم يكن الرجل مجبوبا ؟.

أسئلة دفعت الفقهاء والمحدثين إلى افتراض إجابات مصطنعة ، ومن ذلك قول ابن حزم (فإن قال قائل كيف يأمر رسول الله ﷺ بقتله دون أن يتحقق عنده ذلك الأمر لا بوحى ولا بعلم صحيح ولا ببينة ولا بإقرار وكيف يأمر ﷺ بقتله في قصة بظن قد ظهر كذبه بعد ذلك وبطلانه وكيف يأمر ﷺ بقتله امرئ قد أظهر الله تعالى براءته بعد ذلك بيقين لا شك فيه وكيف يأمر ﷺ بقتله ولا يأمر بقتلها والأمر بينه وبينها مشترك).

قال أبو محمد رحمه الله وهذه سوالات لا يسألها إلا كافرا أو إنسان جاهل يريد معرفة المخرج من كل هذه الاعتراضات المذكورة.

قال أبو محمد رحمه الله الوجه في هذه السؤالات بين واضح لا خفاء به والحمد لله رب العالمين ومعاذ الله أن يأمر رسول الله ﷺ بقتل أحد بظن بغير إقرار أو بينة أو علم مشاهدة أو وحي أو أن يأمر بقتله دونها لكن رسول الله ﷺ قد علم يقينا أنه بريء وأن القول كذب فأراد ﷺ أن يوقف على ذلك مشاهدة فأمر بقتله لو فعل ذلك الذي قيل عنه فكان هذا حكما صحيحا

فيمن آذى رسول الله ﷺ وقد علم ﷺ أن القتل لا ينفذ عليه لما يظهر الله تعالى من براءته (المحلى ، ج ١١ ص ٤١٣ .

١- أول ما يستوقفنا في كلام ابن حزم السابق قوله : (وهذه سؤالات لا يسألها إلا كافرا أو إنسان جاهل يريد معرفة المخرج من كل هذه الاعتراضات المذكورة). ترى هل التصريح بالشكوك والتساؤلات من عمل الزنادقة؟؟؟.

ألا يمكن أن تثور في عقل الإنسان شكوك؟؟؟.

أليس من حق المرء أن يسأل ويستفسر عما يجول في ذهنه وخاطره؟؟؟.

هل كل من يستشكل نصا أو يستفسر عن مضمونه يكون كافرا أو جاهلا؟؟؟.

الم يسأل إبراهيم ﷺ ربه قائلا : (ربي ارني كيف تحيي الموتى)؟؟؟؟.

٢ - من الواضح أن كلام ابن حزم هو مجرد تأويل من قدح خياله ولا يستند إلى دليل أو حتى شبه دليل !! ، كما أنه لا يعبر بالضرورة عن الحقيقة ، إذ نجد النووي يقترح تأويلا مختلفا لذات الحديث ، إذ يقول : (قِيلَ : لَعَلَّهُ كَانَ مُنَافِقًا وَمُسْتَحَقًّا لِلْقَتْلِ بِطَرِيقٍ آخَرَ ، وَجَعَلَ هَذَا مُحَرِّكًا لِقَتْلِهِ بِنِفَاقِهِ وَغَيْرِهِ لَا بِالزَّنا ، وَكَفَّ عَنْهُ عَلِيٌّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - اعْتِمَادًا عَلَى أَنَّ الْقَتْلَ بِالزَّنا ، وَقَدْ عُلِمَ انْتِفَاءُ الزَّنا) (شرح لنووي على صحيح مسلم : ١١٩/١٧) ، وحتى نتمكن من مناقشة هذه الرواية لا بد أولا من أن نعرف سياقها التاريخي بدقة.

بطلة هذه الرواية هي السيدة مارية القبطية سرية الرسول ﷺ ، والمتهم هو (مأبور) ومأبور هذا رجل مخصي، هذا ما تجمع عليه كافة المصادر : [المستدرک على الصحيحين : ٤/٤١ - الطبقات الكبرى : ٨/٢١٢ - الإصابة : ٥/٧٠٠ - الطبري : ٢/٢١٧] .

ومن نافلة القول أن الخصي يحول دون الاتصال الجنسي .

فإذا سلمنا بأن مأبور هذا كان مخصيا منذ أن وطئت قدمه أرض الجزيرة العربية ، وقد عرف القاصي والداني خبر خصيه جاز لنا أن نتساءل :

ترى الم يكن الرسول ﷺ أو علي ﷺ أو عمر ﷺ (هناك رواية تقول أن عمر لا علي هو الذي أرسل لمهمة قتل مأبور) أو احد الصحابة يعرف بحقيقة خصيه؟؟.

أو ليس الخصي كالجذب دليل على البراءة وفق منطق هذه الرواية؟؟؟؟.

٣ - واجه الرسول ﷺ حادثة مشابهة تماما لهذه الرواية وهي حادثة الإفك ، وعند مقارنة الحادثتين نجد فرقا كبيرا ينفي تأويل ابن حزم :

- في حادثة الإفك وقف الرسول ﷺ مكتوف الأيدي أمام التهمة التي ألصقت بالسيدة عائشة رضي الله تعالى عنها ، ولم يحاول أن يثبت براءتها بل لقد اظهر سياق الأحداث أن الرسول ﷺ لم يكن يعرف حقيقة براءتها !! فراح يقلب الرأي على وجوهه، ويستتجد في ذلك بمشورة أولي الرأي من أصحابه، وفي النهاية فوض الأمر إلى الله بقوله:

(يا عائشة ، فانه قد بلغني عنك كذا وكذا ، فأنت كنت بريئة فسيبرئك الله ، وان كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه) .

وفي ذلك يقول الدكتور محمد عبد الله دراز : (هذا كلامه بوحى ضميره ، وهو كما ترى كلام البشر الذي لا يعلم الغيب) (النبأ العظيم : ١٧) .

أما في رواية مسلم فالأمر مختلف تماما !!!

فالرسول ﷺ — وفق تأويل ابن حزم — يعرف براءة مارية منذ البداية ، ولكنه يريد أن يظهر براءتها بدليل مادي !!! ، ولهذا أرسل علي أو عمر لقتل مأبور

دعنا نتجاوز تأويل ابن حزم

ترى لماذا لم يكلف الرسول ﷺ أحد الصحابة بقتل صفوان بن المعطل المتهم الرئيسي في حادثة الإفك ؟؟؟ .

لماذا اختلفت ردة فعل الرسول في الحادثتين المتشابهتين تماما ؟؟؟؟ .

كيف اطلع الرسول ﷺ على الغيب في رواية مسلم وعرف براءة مارية في حين تصرف في حادثة الإفك بمقتضى طبيعته الإنسانية ؟؟؟ .

— إن براءة السيدة عائشة في حادثة الإفك هي براءة حقيقية ، أما براءة مارية فهي براءة ظاهرية شرعية فقط ، إذ لو عُرِضَت ذات القضية أمام أي محكمة شرعية وتبين أن المتهم محبوب أو مخصي لحكم على الفور بانتفاء جرم الزنا وبراءة المتهمين .

٤ — أما بالنسبة إلى تأويل النووي فمن الواضح انه تأويل متكلف لا يستند إلى دليل ، فسيرة مأبور معروفة ولا يوجد فيها ما يستوجب القتل ، بل إن الرواية ذاتها تنفي هذا التأويل ، إذ عندما اكتشف علي (أو عمر !!) أن مأبور محبوب كف عن قتله !!! أي أن سبب القتل هو تهمة الزنا لا غير ، ولا توجد تهمة أخرى تستوجب القتل ...

٥ — وتبقى بالطبع الإشكالات الشرعية التي تثيرها الرواية :

— هل تقبل هذه الرواية التي تطعن بطهر بيت النبوة ؟ .

— وهل يعقل أن يصدر الرسول ﷺ أمرا بقتل زان دون شهادة شهود ؟ بل دون أن يسمع دفاع المتهم ذاته ؟ .

— وماذا لو لم يكن الرجل محبوبا ؟ .

وقد تكلم العلماء وبينوا معنى هذا الحديث وذلك على النحو الوارد تفصيلاً كالتالي:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد ج: ٥ ص: ١٦

فصل في حكمه بقتل من اتهم بأمر ولده فلما ظهرت براءته أمسك عنه:

روى ابن أبي خيثمة وابن السكن وغيرهما من حديث ثابت عن أنس رضي الله عنه أن ابن عم مارية كان يتهم بها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه

أذهب فإن وجدته فاضرب عنقه فأتاه علي فإذا هو في ركي يتبرد فيها فقال له علي اخرج فناوله يده فأخرجه فإذا هو محبوب ليس له ذكر فكف عنه علي ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله محبوب ماله ذكر وفي لفظ آخر أنه وجدته في نخلة يجمع تمرًا وهو ملفوف بخرقه فلما رأى السيف ارتعد وسقطت الخرقه فإذا هو محبوب لا ذكر له .

وقد أشكل هذا القضاء على كثير من الناس

فطعن بعضهم في الحديث ولكن ليس في إسناده يتعلق عليه وتأوله بعضهم على أنه لم يرد حقيقة القتل إنما أراد تخويفه ليزدجر مجيئه إليها قال وهذا كما قال سليمان للمراتين اللتين اختصمتا إليه في الولد بالسكين حتى أشق الولد بينهما ولم يرد أن يفعل ذلك بل قصد استعلام الأمر من القول ولذلك كان من تراجم الأئمة على هذا الحديث، الحاكم يوهم خلاف الحق ليتوصل به إلى معرفة الحق فأحب رسول الله أن يعرف براءته وبراءة مارية وعلم أنه إذا عاين السيف كشف عن حقيقة حاله فجاء كما قدره رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأحسن من هذا أن يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم أمر عليا رضي الله عنه بقتله تعزيرا لإقدامه على خلوته بأمر ولده فلما تبين لعلي حقيقة الحال وأنه بريء من الريبة كف عنه واستغنى عن القتل بتبيين الحال والتعزير بالقتل ليس بلازم كالحد بل هو تابع دائر معها وجودا وعدما انتهى.

وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله في الصارم المسلول ج: ٢ ص: ١٢٠

[ثم إن من نكح أزواجه أو سراريه فإن عقوبته القتل جزاء له بما انتهك من حرمة فالشاتم له أولى والدليل على ذلك ما روى مسلم في صحيحه عن زهير عن عفان عن حماد عن ثابت عن انس أن رجلا كان يتهم بأمر ولد النبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي اذهب فاضرب عنقه فاتاه علي فإذا هو ركي يتبرد فقال له علي اخرج فناوله يده فأخرجه فإذا هو محبوب ليس له ذكر فكف علي ثم أتى النبي فقال يا رسول الله انه لمحبوب ماله ذكر فهذا الرجل أمر النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب عنقه لما قد استحل من حرمة ولم يأمر بإقامة حد الزنا لأن حد الزنا ليس هو ضرب الرقبة بل إن كان محصنا رجم وإن كان غير محصن جلد ولا يقام عليه الحد إلا بأربعة شهداء أو بالإقرار المعتبر فلما أمر النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب عنقه من غير تفصيل بين أن يكون محصنا أو غير محصن علم أن قتله لما انتهكه من حرمة.

ولعله قد شهد عنده شاهدان أنهما رأياه يياشر هذه المرأة أو شهدا بنحو ذلك فأمر بقتله فلما تبين أنه كان محبوبا علم أن المفسدة مأمونة منه أو أنه بعث عليا ليستبصر القصة فإن كان ما

بلغه عنه حقا قتله ولهذا قال في هذه القصة أو غيرها أكون كالسكة المحممة أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فقال بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب [.

وفي شرح النووي على صحيح مسلم ج: ١٧ ص: ١١٨

[ذكر في الباب حديث أنس أن رجلا كان يتهم بأمر ولده فأمر عليا رضي الله عنه أن يذهب يضرب عنقه فذهب فوجده يغتسل في ركي وهو البئر فرآه محبوبا فتركه قيل لعله كان منافقا ومستحقا للقتل بطريق آخر وجعل هذا محركا لقتله بنفاقه وغيره لا بالزنا وكف عنه على رضي الله عنه اعتمادا على أن القتل بالزنا وقد علم انتفاء الزنا والله أعلم].

وقال الصالح الشامي في سبل الهدى والرشاد ج ١٠ ص ٤٣٢:

[قال الحضيرى : والاستدلال به على ما ادعاه غير مسلم .
فان الحديث قد استشكله جماعة من العلماء ،حتى قال ابن جرير : يجوز أن يكون المذكور من أهل العهد ، وفي عهده أن لا يدخل على مارية ، فقال : ودخل عليها ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله لنقض عهده .

وقال النووي تبعا للقاضي : قيل لعله كان منافقا ومستحقا للقتل بطريق آخر ، وجعل هذا محركا لقتله بنفاقه وغيره لا بالزنا ، وكف عنه علي اعتمادا على أن القتل بالزنا وقد علم انتفاء الزنا ، وفيه نظر أيضا ، لانا نعتبر نفي ظن الزنا من مارية ، فانه لو أمر بقتله بذلك ، لأمر بإقامة الحد عليها أيضا ، ولم يقع ذلك معاذ الله أن يختلج ذلك في خاطره أو يتقوه به .
وأحسن ما يقال في الجواب عن هذا الحديث ، ما أشار إليه أبو محمد بن حزم في (الإيصال إلى فهم كتاب الخصال) ، فانه قال : من ظن أنه صلى الله عليه وسلم أمر بقتله حقيقة بغير بينة ولا إقرار فقد جهل ، وإنما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أنه برئ مما نسب إليه ورمي به ، وان الذي ينسب إليه كذب ، فأراد صلى الله عليه وسلم إظهار الناس على براءته يوقفهم على ذلك مشاهدة ، فبعث عليا ومن معه فشاهدوه محبوبا — أي مقطوع الذكر — فلم يمكنه قتله لبراءته مما نسب إليه ، وجعل هذا نظير قصة سليمان في حكمه بين المرأتين المختلفتين في الولد ، فطلب السكين ليشقه نصفين إلهاما ، ولظهور الحق ، وهذا حسن . انتهى كلام الحضيرى [انتهى.

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب

[حدثنا عبد الوارث بن سفيان قال حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا احمد بن زهير حدثنا أبي ويحيى بن معين قال حدثنا عفان حدثنا حماد ابن سلمه أخبرنا ثابت عن أنس أن رجلا كان يتهم بأمر إبراهيم أم ولد رسول الله فقال لعلي اذهب فاضرب عنقه فأتاه علي رضي الله عنه فإذا هو في ركي يتبرد فيها فقال له علي اخرج فناوله يده فأخرجه فإذا هو محبوب ليس له ذكر فكف علي عنه ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أنه لمحبوب .

وروى الأعمش هذا الحديث فقال فيه قال علي يا رسول الله أكون كالسكة المحماة أو الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فقال بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب.
قال أبو عمر هذا الرجل المتهم كان ابن عم مارية القبطية أهداه معها المقوقس وذلك موجود في حديث سليمان بن أرقم عن الزهري عن عروة عن عائشة وأظنه الخصي المأبور المذكور من حينئذ عرف أنه خصي والله أعلم.].

وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة

مأبور بموحدة خفيفة مضمومة واو ساكنة ثم راء مهملة القبطي الخصي قريب مارية يأتي في ترجمة مارية وصفه بأنه شيخ كبير لأنه أخوها قلت ولا ينافي ذلك نعتة في الروايات بأنه قريبها أو نسبيها أو بن عمها لاحتمال انه أخوها لأمها والله أعلم.
وهو قريب مارية أم ولد رسول الله قدم معها من مصر.

قال حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك أن رجلا كان يتهم بأم ولد رسول الله فقال رسول الله لعلي اذهب فاضرب عنقه فأتاه علي فإذا هو في ركي يتبرد فيها فقال له علي اخرج فنأوله يده فأخرجه فإذا هو محبوب ليس له ذكر فكف عنه علي ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انه لمحبوب ما له ذكر أخرجه مسلم ولم يسمه.
وسماه أبو بكر بن أبي خيثمة عن مصعب الزبيري مأبورا ولفظه ثم ولدت مارية التي أهداها المقوقس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولده إبراهيم وكان أهدى معها أختها سيرين وخصيا يقال له مأبور.

وقد جاء ذكره في عدة أخبار غير مسمى منها ما أخرجه بن عبد الحكم في فتوح مصر بسنده عن عبد الله بن عمرو قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على القبطية أم ولده إبراهيم فوجد عندها نسيبا لها قدم معها من مصر وكان كثيرا ما يدخل عليها فوقع في نفسه شيء فرجع فلقية عمر فعرف ذلك في وجهه فسأله فأخبره فأخذ عمر السيف ثم دخل على مارية وقريبها عندها فأهوى إليه بالسيف فلما رأى ذلك كشف عن نفسه وكان محبوبا ليس بين رجله شيء فلما رآه عمر رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جبرائيل أتاني فأخبرني أن الله تعالى قد برأها وقريبها وان في بطنها غلاما مني وأنه أشبه الناس بي وأنه أمرني أن أسميه إبراهيم وكناني أبا إبراهيم .
وفي سنده بن لهيعة وشك بعض رواته في شيخه.

واخرج بن عبد الحكم أيضا من طريق يزيد بن أبي حبيب عن الزهري عن أنس لبعضه شاهدا بدون قصة الخصي لكن قال في آخره ويقال أن المقوقس كان بعث معها بخصي فكان يأوي إليها ،ثم وجدت الحديث في المعجم الكبير للطبراني من الوجه الذي أخرجه منه بن أبي خيثمة

وفيه من الزيادة بعد قوله أم إبراهيم وهي حامل بإبراهيم فوجد عندها نسيباً لها كان قدم معها من مصر فأسلم وحسن إسلامه وكان يدخل على أم إبراهيم فرضي لمكانه منها أن يجب نفسه فقطع ما بين رجله حتى لم يبق له قليل ولا كثير الحديث.

هذا لا ينافي ما تقدم أنه خصي أهده المقوقس لاحتمال أنه كان فاقد الخصيتين فقط مع بقاء الآلة ثم لما جب ذكره صار ممسوحاً.

ويجمع بين قصتي عمر وعلي باحتمال أن يكون مضى عمر إليها سابقاً عقب خروج النبي فلما رآه محبوباً اطمأن قلبه وتشاغل بأمر ما وإن يكون إرسال علي تراخي قليلاً بعد رجوع النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكانه ولم يسمع بعد بقصة عمر فلما جاء على وجد الخصي قد خرج من عندها إلى النخل يتبرد في الماء فوجده ويكون أخبار عمر وعلي معاً أو أحدهما بعد الآخر ثم نزل جبرائيل بما هو أكد من ذلك.

وأخرج بن شاهين من طريق سليمان بن أرقم عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت أهديت مارية لرسول الله وابن عم لها فذكر الحديث إلى أن قال وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً ليقتله فإذا هو ممسوح وسليمان ضعيف.

وقال الواقدي حدثنا يعقوب بن محمد بن أبي صعصعة عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة قال بعث المقوقس إلى رسول الله بمارية وأختها سيرين وبألف مثقال ذهباً وعشرين ثوباً لنا وبغلته الدلدل وحماره عفير ويقال يعفور ومعهم خصي يقال له مأبور ويقال هابور بهاء بدل الميم وبغير راء في آخره الحديث وفيه فأقام الخصي على دينه إلى أن أسلم بعد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم (انتهى).

لكن هناك رواية أخرى ذكرها ابن حجر الهيثمي في مجمع الزوائد وعزاها للبزار وجاء فيها أن الم محبوب أتى نخلة فرقي ثم رمى بنفسه على قفاه ، والرواية عند مسلم فيها أنه لقيه في ركي يتبرد ، وهذه هي الرواية ص ٦٠٣ :

[وعن علي بن أبي طالب قال: كثر على مارية أم إبراهيم في قبطي ابن عم لها كان يزورها ويختلف إليها فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خذ هذا السيف فانطلق فإن وجدته عندها فاقتله" قال: قلت: يا رسول الله أكون في أمرك إذا أرسلتني كالسكة المحماة لا يثني شيء حتى أمضي لما أمرتني به أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب؟ قال: "بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب" فأقبلت متوشحاً السيف فوجدته عندها فاخترطت السيف فلما رأيته أقبلت نحوه عرف أنني أريده فأتى نخلة فرقي ثم رمى بنفسه على قفاه ثم شغل برجله (رفعها) فإذا هو أجب أمسح ما له قليل ولا كثير فغمدت السيف ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال:

"الحمد لله الذي يصرف عنا أهل البيت."

رواه البزار وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ولكنه ثقة. وبقيّة رجاله ثقات، وقد أخرجه الضياء في أحاديثه المختارة على الصحيح [.... انتهى

يمكن الجمع بين الروايات الوارد بأن رواية مسلم أصح لأنها أقوى سنداً، والرواية الأخرى أقل منها صحة.

ويمكن الجمع بينهما أيضاً بأن الرجل قد ذهب للتبرّد في الركي وهي البئر والمدينة مليئة بالنخيل كما هو معلوم فقد يكون حصل أنه صعد النخلة وراه علي ثم جلس في الركي وطلب منه أن يمد يده .

وأما من ناحية الصناعة الحديثية لحديث علي رضي الله عنه يقول الشيخ العلامة نصير السنة عبد الرحمن بن عمر الفقيه الغامدي :

فقد اختلف في وصل هذا الحديث وإرساله .

ففي علل الدار قطني ج ٤ ص ٥٨ :

(وسئل عن حديث عمر بن علي بن أبي طالب عن علي بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم الشاهد يرى مالا يرى الغائب فقال هو حديث يرويه الثوري عن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب فأرسله يحيى القطان عن الثوري عن محمد بن عمر عن جده علي وأسندته أبو نعيم عن الثوري فقال عن محمد بن عمر بن علي عن أبيه عن علي واختلف عن أبي نعيم والمرسل أصح) انتهى.

ورواه محمد بن إسحاق عن إبراهيم بن محمد بن علي عن أبيه عن جده موصولاً وقد ذكر تصريح ابن إسحاق بالسماع عند البخاري في التاريخ الكبير وعند ابن منده في معرفة الصحابة. وأكثر الذين روه عن يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق لم يذكروا تصريح ابن إسحاق بالسماع.

وقال أبو نعيم بعد إخرجه للحديث مطولاً (3/177-178) (وهذا غريب لا يعرف مسنداً بهذا السياق إلا من حديث محمد بن إسحاق) انتهى.

وقال البزار في مسنده بعد أن رواه (وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجه متصل عنه إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد) انتهى.

فحديث محمد بن إسحاق حديث غريب وسياقه مخالف لما في صحيح مسلم ولذلك استغرب هذا الحديث منه البزار وأبو نعيم.

فحديث مسلم مقدم عليه، والله تعالى أعلم.

فائدة:

وقال الطحاوي في بيان المشكل

حدثنا أبو القاسم هشام بن محمد بن قررة بن حميد بن أبي خليفة قال : حدثنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي قال : حدثنا أحمد بن داود قال : حدثنا عبد الرحمن بن صالح الأزدي الكوفي قال : حدثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، عن إبراهيم بن محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب عليه السلام قال : كان قد تجرؤوا على مارية في قبطي كان يختلف إليها ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : " انطلق ، فإن وجدته عنده فاقتله " ، فقلت : يا رسول الله ، أكون في أمر كالسكة المحماة ، وأمضي لما أمرتني لا يثنيني شيء أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ؟ قال : " الشاهد يرى ما لا يرى الغائب " ، فتوشحت سيفي ، ثم انطلقت ، فوجدته خارجا من عندها على عنقه جرة ، فلما رأيته اخترطت سيفي ، فلما رأيته إياه أريد ، ألقى الجرة ، وانطلق هاربا ، فرقي في نخلة ، فلما كان في نصفها ، وقع مستلقيا على قفاه ، وانكشف ثوبه عنه ، فإذا أنا به أجب أمسح ليس له شيء مما خلق الله عز وجل للرجال ، فغمدت سيفي ، وقلت : مه قال : خيرا ، رجل من القبط وهي امرأة من القبط ، وزوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحتطب لها ، وأستعذب لها ، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته ، فقال : " الحمد لله الذي يصرف عنا السوء أهل البيت " .

فقال قائل : وكيف تقبلون مثل هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمره عليا عليه السلام بقتل من لم يكن منه ما يوجب قتله ، وأنتم تروون عنه صلى الله عليه وسلم قال : فذكر ما قد تقدم ذكرنا له في كتابنا هذا من قوله " : لا يحل دم امرئ إلا بإحدى ثلاث : زنا بعد إحصان ، أو كفر بعد إيمان ، أو نفس بنفس " وها لم يقم عليه حجة بأنه كانت منه واحدة من هذه الثلاث خصال

فكان جوابنا له في ذلك بتوفيق الله عز وجل وعونه:

أن الحديث الذي احتج به يوجب ما قال لو بقيت الأحكام على ما كانت عليه في الوقت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا القول ، ولكنه قد كانت أشياء تحل بها الدماء سوى هذه الثلاثة الأشياء فمنها : من شهر سيفه على رجل ليقنته ، فقد حل له به قتله ومنها : من أريد ماله ، فقد حل له قتل من أراده ، وكانت هذه الأشياء قد يحتمل أن يكون كانت بعد ما في الحديث الذي حذر أن لا تحل نفس إلا بواحدة من الثلاثة الأشياء المذكورة فيه ، فيكون ذلك إذا كان بعده لاحقا بالثلاثة الأشياء المذكورة فيه ، ويكون الحظر في الأنفس مما سواها على حاله وكان في حديث القبطي الذي ذكرنا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا عليه السلام ، إن وجد ذلك القبطي عند مارية ، قتله ، يريد : إن وجدته في بيته ، فلم يجده عندها في بيته ،

فلما لم يجده في بيته ، لم يقتله ، ولو وجده فيه لقتله كما أمره النبي صلى الله عليه وسلم به فكان من الأشياء التي ذكرنا منها الشيعيين الذين ذكرناهما مما في شريعته صلى الله عليه وسلم : أن من وجد رجلا في بيته قد دخله بغير إذنه حلال له قتله ، وكذلك منها : من أدخل عينه في منزل رجل بغير أمره ليرى ما في منزله ، حل له فقء عينه ، وكذلك روي عنه صلى الله عليه وسلم في الذي اطلع في بيته من جحر فيه من قوله له : " لو أعلم أنك تنتظر ، لطعنت به يريد مدري كان في يده في عينك " ومن قوله : " من اطلع على رجل في بيته ، فحذفه ، ففقا عينه ، فلا جناح عليه " ومن قوله : " من اطلع على قوم ففقئوا عينه ، فلا قصاص له ولا دية " وقد ذكرنا ذلك كله فيما تقدم في كتابنا هذا ، وكان مثل ذلك : من دخل ببدنه بيت رجل بغير إذنه ، حل له قتله ، فبان بحمد الله عز وجل ونعمته أن لا تضاد في شيء من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا خروج لبعضها عن بعض ، والله عز وجل نسأله التوفيق].

وقال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد حفظه الله في كتاب الحدود و التعزيرات عند ابن القيم

ص ٤٢٩-٤٩٣ بعد أن ذكر كلام ابن القيم،الترجيح:

والذي يظهر لي والله أعلم هو المسلك الذي ذكره ابن القيم واستحسنه من أن الأمر بقتله كان تعزيرا لأن الأمر مجرد تهمه لكنها في جانب حرم النبي صلى الله عليه وسلم، أما لو كان ثمة بينة أو اعتراف لكان الأمر بقتله حدا لازما — والله أعلم — والحمد لله على براءة حرم نبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم من الشك والريبة). انتهى كلام الشيخ بكر حفظه الله. وأما ما استحسنه الخضير في نقله عنه الصالح من قوله:

[وأحسن ما يقال في الجواب عن هذا الحديث ، ما أشار إليه أبو محمد بن حزم في (الإيصال إلى فهم كتاب الخصال) ، فانه قال : من ظن أنه صلى الله عليه وسلم أمر بقتله حقيقة بغير بينة ولا إقرار فقد جهل ، وإنما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أنه برئ مما نسب إليه ورمي به ، وان الذي ينسب إليه كذب ، فأراد صلى الله عليه وسلم إظهار الناس على براءته يوقفهم على ذلك مشاهدة ، فبعث عليا ومن معه فشاهدوه مجبوبا — أي مقطوع الذكر — فلم يمكنه قتله لبراءته مما نسب إليه ، وجعل هذا نظير قصة سليمان في حكمه بين المرأتين المختلفتين في الولد ، فطلب السكين ليشقه نصفين إلهاما ، ولظهور الحق ، وهذا حسن.] . انتهى كلام الخضير. هذا والله أعلم.

فضلها العظيم رضي الله عنها على شعب مصر

وإكراما للسيدة ماريّا رضي الله عنها و ابنها إبراهيم عليه السلام فقد أوصى رسول الله ﷺ المسلمين خيرا بشعب مصر فقال ﷺ: (إنكم ستفتحون مصر ، وهي أرض يُسمّى فيها القيراط ، فإذا فتحوها فأحسنوا إلى أهلها ، فإن لهم ذمة ورحمًا) ٠٠٠ وقد حفظ الصحابة ذلك ، فهاهو الحسن بن علي - رضي الله عنهما - يكلم معاوية بن أبي سفيان لأهل (حفن) - بلد

مارية- فوضع عنهم خراج الأرض ٠٠٠ كما أن عبادة بن الصامت عندما أتى مصر فاتحاً ، بحث عن قرية مارية ، وسأل عن موضع بيتها ، فبنى به مسجداً ٠٠٠ - صحيح مسلم - باب وصية رسول ﷺ بشعب مصر

وفاتها رضي الله عنها

ما أهل ربيع الأول من العام التالي لوفاة إبراهيم عليه السلام حتى توفي رسول الله ﷺ و عاشت السيدة مارية بعد وفاة رسول الله ﷺ خمس سنوات عاشتها في عزلة عن الناس لا تكاد تلقى غير أختها سيرين و لا تكاد تخرج إلا لكي تزور قبر الحبيب بالمسجد أو قبر ولدها بالقيع.

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يحشد الناس لجنائزتها ثم صلى عليها و دفنت رضي الله عنها بالقيع.

رحم الله ماريًا نعم الأم المؤمنة الصابرة في أصعب المحن و ألحقها رضي الله عنها برسول الله ﷺ بابنها في الجنة وألحقنا بهم جميعاً إن شاء الله .

١٢- السيدة: مَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ حَزْنِ بْنِ بَحِيرِ بْنِ هُرَمَ بْنِ رُوَيْبَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِلَالِ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ رضي الله عنها:

كانت السيدة برة بنت الحارث الهلالية احدي أخوات أربع قال فيهن رسول الله صلى الله عليه وسلم : الأخوات المؤمنات وأمهن هي هند بنت عوف بن زهير بن الحارث والتي قيل في شأنها : " أكرم عجوز في الأرض أصهاراً هند بنت عوف".
أصهارها: رسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق ﷺ وحمزة والعباس ابنا عبد المطلب رضي الله تعالى عنهما.

- ١- رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج من برة.
- ٢- أبو بكر الصديق ﷺ عنه تزوج من أسماء بنت عميس.
- ٣- حمزة بن عبد المطلب ﷺ تزوج من أختها سلمى بنت عميس.
- ٤- العباس بن عبد المطلب ﷺ تزوج من أم الفضل لبابة الكبرى.

الأخوات الأربعة:

- ١- برة بنت الحارث بن حزن الهلالية.
- ٢- أم الفضل، لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزن الهلالية، زوج العباس بن عبد المطلب، وأول امرأة آمنت بعد السيدة خديجة رضي الله تعالى عنها، وهي السيدة التي يذكر لها التاريخ أنها تصدت لأبي لهب عدو الله ورسوله حين دخل بيت أخيه العباس فاحتمل مولاه، أبا رافع فضرب به الأرض ثم برك عليه يضربه لأنه أسلم، فقامت أم الفضل إلى عمود هناك فشجت

رأس أبي لهب شجة منكرة وهي تقول: استضعفته أن غاب عنه سيده؟، فقام مولياً ذليلاً مقهوراً.

والأخريان أختان لبرة من أمها هند بنت عوف.

٣- أسماء بنت عميس الخثعمية.. زوج جعفر بن أبي طالب، وأم ابنه عبد الله، وقد تزوجت من بعده أبا بكر الصديق فولدت له محمداً، ثم خلف عليها الإمام علي بن أبي طالب فولدت له يحيى رضي الله تعالى عنهم جميعاً وأرضاهم.

٤- سلمى بنت عميس الخثعمية زوج حمزة بن أبي طالب أسد الله وشهيد أحد وسيد الشهداء يوم القيامة، رضي الله تعالى عنه.

وكان لهند بنت عوف بن الحارث أم السيدة برة غير هؤلاء الأصهار، أصهاراً آخرون من ذوي المكانة:

١- الوليد بن المغيرة المخزومي، زوج لبابة الصغرى بنت الحارث أم خالد.

٢- أبي بن خلف الجمحي زوج ابنتها عصماء بنت الحارث أم أبان، وزيد بن عبد الله بن مالك الهلالي، زوج عزة بنت الحارث.

فاللبابة وعصماء وعزه وبنات الحارث شقيقات لبره.

مع السيدة برة بنت الحارث الهلالية:

كانت السيدة برة قد تزوجت مرتين قبل زواجها بالنبي ﷺ ومات زوجها الثاني أبي رهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي .

لم يكن هناك ما يشغل المسلمين بعد فتح خيبر وعودة مهاجرة الحبشة مثل التفكير فيما نص عليه " عهد الحديبية " الذي عقد آخر سنة ست للهجرة، أن يعود رسول الله ﷺ وأصحابه إلى مكة في العام الذي يليه فيدخلوها ويقيمون بها ثلاثة أيام ومعهم من السلاح السيوف في أغمادها ولا شيء غيرها.

وفي السنة السابعة من الهجرة، دخل المسلمون مكة آمنين محلقين رعوسهم ومقصرين لا يخافون وقد جلا عنها الكفار فما فيها منهم يومئذ أحد وتلوا آية الوعد الحق في سورة الفتح ٣٧: [لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق] ، وهتف المسلمون في صوت واحد ملبين:

لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك.

وكانت الأيام الثلاثة التي نص عليها عهد الحديبية قد قاربت نهايتها، فوهبت السيدة برة نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم وفيها أنزل الله تعالى قوله الكريم : [وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي [الأحزاب ٥٠، وسماها رسول الله ﷺ (مَيْمُونَةً) أن كان زواجه بها في المناسبة الميمونة الغراء، التي دخل فيها أم القرى، لأول مرة بعد سبع سنين من هجرته ومعها أصحابه آمنين لا يخافون.

ودخلت السيدة ميمونة بيت رسول الله ﷺ مسالمة، فقد اكتفت من دنياها بما من الله عليها من نعمة الإسلام وشرف الزواج من خير البشر .
وماتت رضي الله تعالى عنها بعد منتصف القرن الأول للهجرة .
فسلام على ميمونة بنت الحارث الهلالية آخر نساء النبي ﷺ .

مزاعم أعداء الإسلام ودفعها:

الالتهام الباطل:

قد يحلو لبعض المغرضين و الحاقدين: بأن يتهم الرسول ﷺ بأنه إنما تزوج عدة نساء استجابة لرغبة جنسية جامحة ، كان يعاني منها . و لكننا، إذا درسنا هذه الناحية بعمق ووعي ، فإننا نخرج بنتيجة حاسمة تعطينا : أن هذا الكلام محض خيال زائف ، ليس له منطق يساعد ، و لا دليل يعتمد عليه ، و ذلك بملاحظة ما يلي:

١- إن حب الرجل للمرأة ، و إن كان أمراً طبيعياً ، و لقد كان النبي ﷺ رجلاً إنساناً ، فطبيعي أن يميل إلى المرأة ، و يشعر بالمتعة معها ، و لكن أول ما يطالعنا في هذا المجال في حياته ﷺ ، هو أننا نلاحظ : أن أكثر زوجاته ﷺ كنّ ثيبات : إما مطلقات ، أو ترمّلن من أزواجهن قبله ﷺ . فلو كان ﷺ يهتم بأمور الجنس ، لكان باستطاعته أن يتزوج خيرة الفتيات الأباكر ، و لوجد أولياءهن يفتخرون بمصاهرته لهم ، و هو الذي حتّ و حبّزّ و أتقى على الزواج بالأباكر ، و رغب فيه بشكل واضح و ملموس .

2- إنه ﷺ و هو في مكة بقي ٢٥ سنة مع زوجته السيدة خديجة رضي الله تعالى عنها تلك ، المرأة الوفية ، التي كانت تكبره سنّاً ، و لم يتزوج عليها في حياتها أحداً ، مع أن تعدد الزوجات كان مألوفاً لدى الناس آنئذ .

٣- إننا نجده يرفض عرض قريش عليه التزويج بأي النساء شاء ، في مقابل أن يلين في موقفه ، و يخفف من مواجهته لآلهتهم و عقائدهم .

٤- إن زوجاته ﷺ كنّ على كثرتهنّ من قبائل شتى ، لا تكاد تجد منهم اثنتين من قبيلة واحدة إلا من اللواتي لم يدخل بهن .

٥- إن جميع زوجاته باستثناء السيدة خديجة رضي الله تعالى عنها، إنما دخلن بيت الزوجية عنده حينما كان في المدينة المنورة ، أي بعد تجاوزه سنّ الخمسين ، و بعضهن تزوجهن ﷺ قبل وفاته بمدة قليلة .

٦- إن هذا التعدد لم يشغل ﷺ عن واجباته ، و لا أخرجه عن اتزانه ، و لا طغى على وقته ونشاطه ، و تاريخ حياته ﷺ يشهد : بأنه ﷺ لم يكن يهتم بهذه الأمور ، بل كان مثال العفاف

و الطهر البالغ ، و لم يلوث نفسه بأي عمل قبيح مما كانت الجاهلية تبيحه ، و تشيع في مجتمعه ممارسته ، و لم يستطع أحد من أعدائه أن يصمه بشيء من ذلك.

٧- أنه ﷺ قد خير زوجاته بين الرضا بحياة التقشف معه ، و بين الطلاق والفراق ، فلو كان زواجه بهن بسبب طغيان الغريزة الجنسية لديه ، لكان يجب أن يحتفظ بهن في جميع الأحوال ، و لا يفرط بهن لمجرد حبه لحياة التقشف و الزهد فهل استيقظ فيه ﷺ الشعور الجنسي في المدينة بالذات وبعد شيخوخته ، و في أواخر عمره ؟!

و هل استيقظ هذه الشعور على خصوص النساء اللواتي تزلن ؟ أو طلقهن أزواجهن ؟. أو هل أراد حقاً أن يتذوق نساء القبائل المختلفة في الجزيرة العربية ؟!

ولكنه عاش حياة البساطة والتقشف رغم أن الله تعالى يسر للمسلمين غنائم كثيرة. وأسوق شاهدا لهذا حادثين موجزين فيما يلي:

حادث الإيلاء:

عندما كثرت الفتوحات والغنائم والأموال، طالبت أزواج النبي ﷺ بزيادة يسيرة في نفقات المعيشة حتى ينتقلن من حياة الفقر إلى حياة اليسر والراحة مما أزعج النبي ﷺ وسلم إزعاجاً شديداً، وعندما علم سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر - رضي الله تعالى عنهما - بهذا جاءا إلى بنتيهما أم المؤمنين السيدة عائشة وأم المؤمنين السيدة حفصة ونبهاهما إلى قلق النبي ﷺ إزاء موقفهما، أما الأزواج الأخريات فلم يرق لهن تدخل أبي بكر وعمر وأصررن على المطالبة بزيادة النفقات على أساس أن ما يطلبن يعتبر شيئاً يسيراً بل متوفراً لدى غالبية المسلمين، وجئن بدليل قوي وهو أنهن قد صبرن على آلام الفقر والحرمان والمسكنة في الماضي، أما بعد أن أفاء الله بنعمائه وكثرت الأموال والغنائم والجواري فلم يبق أي مبرر لاستمرار حياة الفقر والمسكنة والجوع والفاقة، فانزعج النبي ﷺ لدرجة أنه هجر أزواجه كلهن لشهر كامل والتزم الصمت معهن حتى شاع بين الناس أنه قد طلقهن.

حادث التخيير:

هذا الحدث تنمة لحدث الإيلاء، فعندما ظلت أزواج النبي ﷺ مصرات على طلب زيادة النفقات، أنزل الله سبحانه آيات التخيير وجعلهن يخترن بين أمرين:

١- إما الحياة مع الرسول ﷺ مع الفقر والمسكنة.

٢- وإما الحياة بدون الرسول ﷺ مع رغد وبخوحة في العيش وأنزل الله سبحانه وتعالى قوله في سورة الأحزاب: ٢٨-٢٩:

يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ

أُمْتَعِكُنَّ وَأَسْرَحِكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآدَارَ

الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾

فخير النبي ﷺ زوجاته بين الأمرين وأسمعهن هذه الآيات. وقال للسيدة عائشة: "تساوري مع والديك ولا تتعجلي في الأمر" فردت على الفور: "هل أتشاور في الله والرسول يا رسول الله؟".

والمعروف أن كل واحدة من نساء النبي ﷺ اختارت الله سبحانه وتعالى والنبي ﷺ والدار الآخرة مع حياة الفقر والفاقة والمسكنة والتقشف والبساطة حتى شهد التاريخ أنه ما كان يوجد زيت للإنارة في بيت النبي ﷺ يوم انتقل إلى رحاب الله.

فهل يمكن هذا لرجل غير النبي ﷺ أن يعيش مثل هذه العيشة ويجبر زوجاته أيضا عليها؟. والشخص الذي يتدبر هذه الأمور ويتعرف على سيرة النبي ﷺ لاسيما حياته العائلية لا يمكن أن يتهم الرسول الكريم ﷺ بالشهوانية والتكالب على الملذات الحسية لو كان لهذا الشخص أدنى وازع من الضمير أو لديه ذرة من الحياء والخجل.

المصالح والغايات وراء تعدد الزوجات:

وهي سبعة أقسام:

أ – المصالح التعليمية.

ب – المصالح التشريعية.

ج – المصالح الاجتماعية.

د – المصالح السياسية.

ه – المصالح الشخصية.

و – تقرير مبدأي العدل والمساواة عند الزواج بأكثر من واحدة.

ز – التبليغ.

ح – دور المرأة المسلمة في المجتمع.

والآن لنتناول بإيجاز كل من هذه المصالح السبعة:

أ – المصالح التعليمية:

المرأة كما هو معروف نصف المجتمع لذلك كان لابد للنبي ﷺ أن يهيئ معلمات ومفتيات لتبصير نساء المسلمين بأمور دينهن. فهذه بعض من الحكم الأساسية وراء تعدد الزوجات،

وقد عرفنا أن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها ظلت تدرس وتبلغ تعاليم الإسلام وتفتي في الكثير من المسائل الهامة ثماني وأربعين سنة بعد وفاة النبي ﷺ وانتقل ربع الأحكام الشرعية إلى الأمة الإسلامية من خلال توجيهاتها ومسايعها، ومن هنا نتضح لنا المصلحة وراء زواجه ﷺ بالسيدة عائشة وهي صغيرة السن، ولما كان النبي ﷺ (أشد حياء من العذراء في خدرها) وهكذا يكون الأنبياء، فما كان يمكنه أن يرد على كل سؤال يوجه إليه من جانب النساء بكل صراحة فكان يجيب بأسلوب الكناية أو يستعين بإحدى أزواجه ﷺ، ومن رواية السيدة عائشة - رضي الله عنها - أن امرأة من الأنصار، سألت النبي ﷺ عن الغسل من الحيض فعلمها النبي ﷺ كيف تغتسل، ثم قال لها: "خذي فرصة مُمَسَّكَةً (أي قطعة من القطن بها أثر الطيب) فتطهري بها"، قالت: "كيف أتطهر بها"، قال: "تطهري بها"، قالت: "كيف يا رسول الله أتطهر بها؟". فقال لها: "سبحان الله تطهري بها"، قالت: السيدة عائشة: "فاجتذبتها من يدها فقلت ضعيها في مكان كذا وكذا، وتتبعي بها أثر الدم". [الحديث متفق عليه من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري في كتاب الحيض برقم (٣١٥) وفي كتاب الاعتصام برقم (٧٣٥٧)، ومسلم في الحيض برقم (٣٣٢)].

وهكذا كان هناك الكثير من الأسئلة المرحجة لاسيما عن أحكام الحيض والنفاس والجنابة فكانت تجيب عنها زوجاته الطاهرات في أكثر الأحيان في حياته وبعد وفاته ﷺ والسنة المطهرة بعد القرآن الكريم هي المصدر الثاني من مصادر التشريع في الإسلام وتشتمل على أقوال الرسول ﷺ وأعماله وتقريره ولا يمكن لأحد أن يعرف ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو عمل أو تقرير إلا أن يكون معه في جميع الأوقات حتى خلال أوقات فراغه متابعا لكافة حالات فرحه وغضبه ويسره وعسره ويصاحبه في كل أمور حياته مهما كانت هامة أو بسيطة، عامة أو شخصية. وهذا الشرف لم يقدره الله سبحانه وتعالى إلا لزوجاته ﷺ اللاتي ظلن يصحبنه طوال حياته إلى لحظة انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

وفي هذا قال سبحانه وتعالى مخاطبا إياهن في سورة الأحزاب آية ٣٤:

وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾

فلهذا نرى أن كبار الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا يستفتون أمهات المؤمنين - رضي الله تعالى عليهن أجمعين - فيما يعن من أمور هامة في حياة المسلمين العامة والخاصة.

ويقول الإمام الزهري التابعي: "كانت عائشة أعلم الناس يسألها الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ". (طبقات ابن سعد: ج ٢: قسم ٢: ص ٢٦).

ب — المصالح التشريعية:

كما تزوج رسول الله ﷺ لتحقيق بعض الغايات التشريعية ومنها إبطال بعض العادات التي سادت زمن الجاهلية مثل التبني والتأخي، حيث كان بعض الناس من العرب يقول للآخر: "أنت ابني" فكان يتخذه ابناً حقيقياً فكان له حكم الأبناء من النسب في جميع الأحوال، في الزواج والطلاق ومحرمات النكاح ومحرمات المصاهرة والميراث.

وكذلك كان بعض الناس يقول للآخر: "أنت أخي" فكان يتخذه أخاً حقيقياً بنفس الطريقة وكان يحل له كل ما يحل للأخ الحقيقي ويحرم عليه كل ما يحرم على الأخ الحقيقي أيضاً، فأبطل الله سبحانه وتعالى عادة التبني بتزويجه رسول الله ﷺ من مطلقة متبناه زيد وهي أم المؤمنين السيدة زينب بنت جحش.

وبالمثل فقد أبطل النبي ﷺ عادة التأخي بزواجه بأم المؤمنين السيدة عائشة لأنها ابنة أخيه في الإسلام سيدنا أبي بكر الصديق، وقال رسول الله ﷺ في حق الصديق ﷺ عنه: لقد اتخذ الله إبراهيم خليلاً ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر ولكنها الصحبة.

ففرق رسول الله ﷺ بين التأخي في الإسلام والأخوة على أساس النسب.

وقد مر بك عند الحديث عن السيدة مارية القبطية سرية رسول الله ﷺ لما ولدت لرسول الله ﷺ الولد قال رسول الله ﷺ: **أعتقها ولدها وهذا تشريع جديد آخر لتجفيف منابع الرق، فمن المعروف أن تجارة الرقيق وأسرى الحروب كانت عملة اقتصادية معقدة مثلها مثل الإتجار في الخمور والتعامل بالربا، فإذا عرفنا أن آيات تحريم الخمر نزلت بالتدريج على مدى أربع سنوات من الهجرة وأن آيات تحريم الربا والتي نزلت على مراحل أربعة انتهت في سنة تسع للهجرة أي أنها أخذت عمراً طويلاً من الدعوة، إذا علمت ذلك فكيف بنظام معقد مثل الرقيق، لا يوجد في القرآن الكريم آيات قاطعة جازمة بتحريم الرق، ولكننا رأينا الإسلام يلجأ إلى أسلوب تجفيف منابع فيجعل تحرير الرقبة مربوطاً أولاً بالكفارات، وكان من **ضمن تحرير الرقيق نظام المكاتب** مثل ما حدث مع السيدة جويرية بنت الحارث بن ضرار، حينما قال لها المصطفى ﷺ: **أقضي عنك كتابك** وأتزوجك..**

والرق كما بينا عند الحديث عن زواج السيدة زينب رضي الله تعالى عنها، كان موجوداً قبل الإسلام والعبيد يباعون مع الأرض ولا سبيل للحرية إلا بإرادة السيد، وحينما جاء الإسلام أبطل كل منابع الرق ولم يبق إلا منبعاً واحداً وهو الحرب المشروعة، والتي فيها معاملة المثل بالمثل، كتبادل الأسرى، والإسلام جاء ليفرض في الفتح الإسلامي حرية الاختيار بدليل دفع الجزية، أما الذين اشتركوا في الحرب من الرجال، نجد أن منهج الإسلام واضح جداً حيث أنه يتمثل في إنشاء العتق وليس في إيجاد الرق.. فالرجل الذي أسرته قدرت عليه فإذا قتلتاه لا مقابل له.. وإذا أبقيت عليه أصبح له مقابل.. وبناء عليه فالإسلام جاء لينشئ عتق وليس

لينشئ رق، فلا تقارن بين رق وحرية ، ولكن بين رق وقتل، وجاءت مشروعية الرق في الحرب لتحقق دماً مسفوفاً تقدر عليه، وحقن الدماء للانتفاع بالحياة، لا لتذله وإنما تطعمه مما تُطعم وتلبسه مما تلبس ولا تكلفه مالا يطيق ثم جعل له مخرجاً في الحرية وذلك في الذنوب التي بين العبد وربّه، وبالنسبة للمرأة فلقد حقن دمها فلم تقتل، وتصبح أمةً وتتال حرّيتها بمجرد الإنجاب.

بمعنى أنه كان من ضمن تجارة الرقيق أن السيد إذا وطأ أمة فإن أولادها يصبحون عبيداً عند سيدهم الأمر الذي كان يتيح له وطئ الإماء حتى يتسنى له الإنجاب والاتجار في الرقيق. فلما جاء الإسلام جعل صورة من صور تجفيف المنابع أن الأمة إذا انجبت من سيدها وولدت له فإنها تصبح بهذا الولد حرة، أي أنها تتال حرّيتها بمجرد الإنجاب ويصبح ابنها ابناً لسيدها له كافة حقوق البنوة من أصالة النسب والمصاهرة والميراث وتنتقل أمه إلى بيت الحرائر من النساء.

لذلك قال رسول الله ﷺ عن السيدة مارية فور أن أنجبت ابنه إبراهيم: **أعتقها ولدها.**

ج — المصالح الاجتماعية (البيت النبوي)

إن اتجاه الرسول ﷺ إلى مصاهرة أبي بكر وعمر بزواجه من عائشة وحفصة — وكذلك تزويجه ابنته فاطمة لعلي بن أبي طالب ؓ ، وتزويجه ابنته رقية ثم أم كلثوم بعثمان بن عفان ؓ — يشير إلى أنه ينبغي من وراء ذلك توثيق الصلات بالرجال الأربعة الذين عرف فدائهم للإسلام في الأزمات التي مرت به ، وشاء الله أن يجتازها بسلام . وكان من تقاليد العرب احترام المصاهرة فقد كان الصهر عندهم باباً من أبواب التقرب بين القبائل والبطون المختلفة وكانوا يرون أن محاربة الأصهار سبة وعارا على أنفسهم ، فأراد رسولنا الكريم ﷺ بزواج عدة من أمهات المؤمنين أن يكسر حدة عداة القبائل للإسلام وذلك على النحو التالي :—

السيدة أم سلمة : من بني مخزوم — حي أبي جهل وخالد بن الوليد — فلما تزوجها رسول الله ﷺ لم يقف خالد من المسلمين موقفه الشديد بأحد ، بل اسلم بعد مدة غير طويلة طائعاً راغباً. السيدة أم حبيبه : بنت أبي سفيان عندما تزوجها رسول الله ﷺ لم يواجهه أبو سفيان بأي محاربة .

السيدة جويرية : من قبيلة بني المصطلق فبعد زواج رسول الله ﷺ منها لم يواجهه منهم بأي استقزاز وعداء بل كانت السيدة جويرية أعظم النساء بركة على قومها ، فقد أطلق الصحابة أسر مائة بيت من قومها حين تزوجها رسول الله ﷺ وقالوا : أصهار رسول الله ﷺ.

السيدة صفية: كانت من بني النضير وبعد زواجها من رسول الله ﷺ لم يواجه الإسلام بأي عدا من قومها .

وهكذا حاول رسول الله ﷺ أن يربط أهم وأبرز أعضاء الأمة الإسلامية ببعضهم ببعض عن طريق المصاهرة.

وهكذا صار سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر وسيدنا عثمان وسيدنا علي من أعظم الرجال وأنقاهم وأقربهم إلى قلب النبي ﷺ.

د - المصالح السياسية:

ونرى الكثير من المصالح السياسية التي تحققت من وراء زيجات النبي ﷺ فمثلاً زواجه بالسيدة جويرية بنت سيد بني المصطلق، وعثق أسرى بني المصطلق فأسلموا وتخلوا عن أعمال قطع الطريق وغاراتهم التي كانوا يشنونها ضد المسلمين ولا نرى أية مؤامرة يحيكها بنو المصطلق ضد المسلمين بعد هذا الزواج.

وهكذا كان زواجه بالسيدة صفية بنت حيي بن أخطب سيد بني قريظة قد خفف بل قضى على موقف العداء الذي وقفه اليهود ضد الإسلام ووضع حداً لمؤامرتهم ضد النبي ﷺ بعد هذا الزواج.

ونفس الحال كان زواجه بالسيدة أم حبيبة بنت أبي سفيان سيد قريش، فنرى أبا سفيان الذي كان ألد أعداء الإسلام قبل إسلامه، خفيفاً غير معن في عداوته ضد الإسلام حتى جاء إلى المدينة المنورة يلتبس تجديد عقد صلح الحديبية ولا نراه يأتي غازياً إلى المدينة المنورة بأحزابه بعد هذا الزواج.

هـ - المصالح الإنسانية:

وهناك المصالح الإنسانية أيضاً وراء بعض زيجاته ﷺ ، فقد تزوج النبي صلى الله عليه وسلم بعض النساء رافةً بهن بسبب ظروفهن الخاصة، وكانت هناك بعض النساء العجائز اللاتي مات عنهن أزواجهن فلم يبق لهن سند أو معين في الحياة أو هناك الأمهات اللاتي افتقدن الكفيل لهن ولأطفالهن، وكانت هناك بعض الأرامل اللاتي لو رجعن إلى أهلهن لعذبن عذاباً شديداً ولفتن فتونا كبيراً، فتزوجهن رسول الله ﷺ صيانة لهن ورعاية لإنسانيتهن فمنهن السيدة سودة — رضي الله عنها — (عمرها ٥٥ سنة وقت الزواج). والسيدة زينب بنت خزيمة (كان عمرها ٦٥ سنة حينئذ). والسيدة أم سلمة — رضي الله عنها — (كان عمرها حوالي ٦٠ سنة حينئذ).

فما رأي الأفاكين والمغرضين من المستشرقين في زواج الرسول ﷺ بهؤلاء النسوة؟، هل تمت هذه الزيجات بدافع الأنانية كما يزعمون أو هو منتهى الإيثار والتضحية وتكريم الإنسانية؟.

و — تقرير مبدئي العدل والمساواة عند الزواج بأكثر من واحدة

بقي الدافع الخامس لزواج رسول الله من نساء كثيرات والجمع بينهن. ومن وراء هذا الدافع ، تظهر الحكمة الكامنة في معاملة رسول الله لمجموعة كبيرة من النساء بالعدل ، والحكمة الكاملة والإحسان النادر، مع اختلاف طباعهن ، وأساليب حياتهن ، ومواطن إقامتهن ، وطريقة تربيتهن : فإنه عليه الصلاة والسلام ، صورة واضحة للأسلوب العالي ، الذي ينبغي أن يعامل به أهل بيت الرجل ، ومن في حوزته من النساء ولو كانت الزوجة مكروهة فقدت الحظوة عند زوجها كما في قوله تعالى في سورة النساء، آية ١٩ :

﴿وَعَايَشُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَتَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ

خَيْرًا كَثِيرًا ۖ﴾

كما أخبر رسول الله لأُمته: أن خيار المسلمين خيارهم لنسائهم، فقال: " أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً. وخياركم خياركم لنسائهم). [رواه الترمذي وابن حبان باسناد صحيح شرح الجامع ج ١ ص ٢٩٥ .]

فأي عقل راجح هذا الذي استطاع أن يسوي نساء تسعا في عصمته ! وأي عدل هذا الذي أمكن رسول الله أن يطبقه في بيت به هذا العدد من النساء ! فهذه تجربة تعلن أن رسول الله كان أرجح عقلاً، وأحسن الأزواج معاملة، وأكرم الناس خلقاً، لأنه رسول الله ، ومثال الإنسانية الكاملة .

بقي أن نعرض موقفاً لرسول الله مع نسائه جميعاً ، حين طمحت نفوسهن إلى حياة مترفة وعيش ناعم ، تتحقق في ظله شهوة المرأة إلى زينتها ومتاعها . فقد حدث أن اتفق أزواجه جميعاً ، على إعلان الشكوى من قلة النفقة ، والحرمان من الزينة . وفي مواجهة رسول الله أعلن نساؤه استياءهن من خشونة العيش، وقسوة الحرمان. وفوجئ النبي بهذه الشكوى الجماعية، فوجم وهم بتسريحهن ، أو تخييرهن بين الصبر على تلك المعيشة الخسنة، وبين المفارقة لهذا الزواج .

ثم اعتزلهن شهراً ، حتى نزلت الآية التي تقرر مصير هؤلاء الزوجات ، وتوحي إليه بالعلاج الحاسم بينه وبين زوجاته . فقال الله تعالى له في سورة الأحزاب: ٢٨-٢٩ :

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ .

أُمْتَعِكُنَّ وَأُסَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۖ﴾ وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ

الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ۖ﴾

وهنا بدأ رسول الله ﷺ بالسيدة عائشة رضي الله تعالى عنها ، فقال لها : " يا عائشة، إنني أريد أن أعرض عليك أمرا أحب ألا تعجلي فيه حتى تستشيرني أبويك ، قالت : وما هو يا رسول الله ؟ فتلا عليها الآية، قالت أفيك يا رسول الله أستشير أبوي ؟ بل أختار الله ورسوله ، والدار الآخرة [تفسير الألوسي ج ٣١ ص ١٨١] .

ثم خير نساءه كلهن فأجبن كما أجابت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها، وقنعن بما هن فيه من معيشة خشنة كان كثير من نساء المسلمين، يظفرون بما هو أنعم منها وأرغد .
علام يدل هذا؟

لهذه القصة إشارات واضحة إلى معان كريمة، غفل عنها الذين وصفوه بجموح العاطفة ، وشهوة الغريزة ، وغلبة الجنس .

نساء محمد ﷺ يتذمرن من شظف العيش ، وقلة النفقة، وهن في عصمة رجل قد ساد قومه ، وبوأه ربه مكان العظمة . فلو شاء لأغدق على نسائه كل أسباب النعمة ، ووسائل الترف ، وأغرقهن في الحرير والذهب، ومع ذلك كله ، عاش معهن في ظل الحرمان من الترف ، راضيا بقسوة العيش ، وخشونته :
فأين هي لذاته ، ونوازع غريزته ؟

أما كان من السهل عليه ﷺ — لو أراد — أن يعطي لنفسه هواها؟ أن يفرض لنفسه ولأهله من الأنفال والغنائم ما يرضي نساءه ولا يغضب المسلمين ؟.

إن الرجل الذي يقهر شهواته في طعامه، وفي معيشته، وفي ميله إلى نسائه، يستطيع أن يسيطر على كل نزعة تخرجه عن الجد في حياته أو تجعله أسير لشهوة النفس، أو لجموح العاطفة كما يقولون .

رجل كان يستطيع أن يعيش عيشة الملوك، ولكنه، مع هذا، يقنع بمعيشة الفقراء، ثم يقال فيه إنه رجل غلبته لذات الجنس و جموح العاطفة! . [عبرية محمد للعقاد ص ١٩٦]
رجل تألب عليه نساؤه لأنه لا يعطيهم الزينة التي يتحلين بها لعينيته. ثم يقال : إنه رجل غلبته شهوة الحس وقادته الغريزة؟

هذا الرجل ، وهذا النبي : كان معروفا — من صباه إلى كهولته — أنه لم تحمله صولة الشباب ولا ميعة الصبا على الاستسلام مرة واحدة للذات الحس ، ولم يسمع عنه أنه عكف على اللهو كها يلهو الفتيان من أقرانه في مجالس اللهو التي كانت منتشرة — إذ ذاك — في نواحي مكة ، وفي أوساطها المختلفة . بل إن اللهو البريء لم يتخذ طريقه إلى نفس محمد ﷺ ومن هذا المسلك الكريم عرف بالطهر والأمانة، واشتهر بالجد والرصانة ، وسداد الرأي، فلما قام بالدعوة لم يقل أحد من أعدائه المتربصين به ، الذين يتصيدون له كل نقیصة، لم يقل أحد من

هؤلاء إن ذا الفتى الذي يدعوكم إلى نبذ الشهوات ، يحتكم على الطهارة والعفة، كان من شأنه حب الشهوات ، والرغبة العارمة في النساء !!
 لم يقل أحد من خصومه والحاقدين عليه شيئاً من هذا أبداً.
 ولو كان هناك موضع لقول في هذا الاتجاه، لانتشر على كل لسان.
 أبعد هذا البيان ، يبقى هناك وجه من وجوه الطعن ، يوجه إلى رسول الله ﷺ من ناحية زواجه بكل واحدة من أمهات المؤمنين؟؟.

ز- الثقافات المختلفة

ومن ضمن حكم تعدد زوجات الرسول ﷺ انه كان مأموراً بتركية وتنقيف قوم لم يكونوا يعرفون شيئاً عن آداب الثقافة والحضارة والمبادئ التي كانت أسساً لبناء المجتمع الإسلامي لم تكن تسمح للرجال أن يختلطوا بالنساء فلم يكن تنقيفهم مباشرة مع المراعاة لهذه المبادئ مع انه كانت هناك حاجة قوية لتنقيفهم ، لذلك فلم يكن للنبي ﷺ إلا أن يختار من النساء المختلفة الأعمار والمواهب ما يكفى لهذا الغرض فيزيكيهن ويربيهن ويعلمهن الشرائع ، والأحكام ويتقنهن بثقافة الإسلام حتى يعدهن لتربية البدويات العجائز منهم والشابات ، فيكفيهن مؤنة التبليغ في النساء .

وقد كان لأمهات المؤمنين فضل كبير في نقل أحواله ﷺ المنزلية للناس خصوصاً من طالت حياته منهن كعائشة فإنها روت الكثير من أفعاله وأقواله .
 أنهم يمثلون ثقافات مختلفة، وقدرات متفاوتة، في فهم ما يصدر عن رسول الله ﷺ من الأمور التي لم يطلع عليها سوى نسائه . فكانت الحكمة أن تبلغ كل واحدة منهن ما سمعت عن رسول الله ، وما رأت من تصرفاته. بأسلوبها وطريقته، قياماً بواجب التبليغ للرسالة المحمدية، مصداقاً لقوله تعالى في سورة الأحزاب آية ٣٤:

﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾

ح - دور المرأة المسلمة في المجتمع

قضية المرأة

قضية المرأة ودورها في حياة الرجل والأسرة والمجتمع.. وفي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.. مختلف عليه بين الإسلاميين. فريق يرى أن رسالتها العظمى تكمن في حسن التبعل.. وإدارة البيت.. وتربية الأبناء وإعدادهم للحياة.. وفريق يرى أن للمرأة حقوقاً تتجاوز هذا الحد.. وهي تكافئ حقوق الرجل.. إن لم تكن بالنوع (في بعض الأحيان).. ففي عموم الموضوع.

فمن يحسم هذا الخلاف..؟

تحسمه النصوص الصحيحة.. وسيرة أمهات المؤمنين.. اللواتي نزلت النصوص في بيوتهن، وكن التطبيق العملي لهذه التعاليم.. طبقن ذلك تحت سمع وبصر النبي ﷺ فسددهن وعلمهن.. وأطلقهن معلمات لنساء ذلك الجيل.. ومرشدات لأجيال النساء فيما بعد..

وحينما نبحث عن الحقيقة في سيرتهن.. وعن العظيمة التي اكتسبناها في بيت النبوة.. فأصبح المثل الرائد.. والقوة المتفردة.. عبر العصور.. فإننا نجد أن هذا الأمر قد وضح جليا في الدور الذي لعبته أمهات المؤمنين في توعية النساء ورفع مستواه.. وحثهن على المطالبة بحقوقهن.. فكنّ بحق زعيمات الإصلاح الاجتماعي في المجتمع المسلم.

كان الناس يترسمون في معاملة أزواجهم ما يفعله النبي، وكان ﷺ معهن لين الجانب حلو العشرة سهل المقادة، كن يراجعنه في كثير من أموره، ويرددن عليه حتى صرن قدوة يقتدي بها بقية النساء، فإذا أنكر زوج حق زوجته في مراجعته احتجت عليه بعمل الرسول ﷺ فأسكتته، وما أطرف حديث عمر بن الخطاب يقص فيه ما جرى له معهن، ويصف هزيمته وكيف انكسر لهن، على رغم شدته، قال:

والله إن كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمرا حتى أنزل الله فيهن ما أنزل، وقسم لهن ما قسم، فبينما أنا في أمر أثمره إذ قالت لي امرأتي: لو صنعت كذا وكذا. فقلت لها: ومالك أنت ولما هنا؟ وما تكلفك في أمر أريده؟

فقلت لي: عجا لك يا ابن الخطاب، ما تريد أن تراجع أنت وإن ابنتك لتراجع رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان، فأخذت ردائي ثم خرجت من مكاني حتى دخلت على حفصة، فقلت لها: يا بنية إنك لتراجعين رسول الله حتى يظل يومه غضبان؟.

فقلت حفصة: والله إنا لنراجعه، فقلت: تعلمين أنني أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله ﷺ ثم خرجت حتى دخلت على أم المؤمنين أم سلمة لقرابتي منها فكلمتها فقالت لي:

عجا لك يا ابن الخطاب: قد دخلت في كل شيء حتى تبتغي أن تدخل بين رسول الله وأزواجه؟ فأخذتني أخذًا كسرتني به عن بعض ما كنت أجد، فخرجت من عندها..

لقد ارتفعت مكانة المرأة في المجتمع الإسلامي.. وكانت أمهات المؤمنين رائدات التغيير في ذلك المجتمع قريب العهد من الجاهلية.

كانت السيدة عائشة رضي الله عنها زعيمة الأخذ بناصر المرأة، والمنافحين عنها بلا منازع، وإليها وحدها تتطلع أبصار المستضعفات، لما تمّ لها من المكانة الكبيرة في العلم والأدب والدين، حتى تقطعت دون مقامها الأعناق، وكانت أستاذة لمشيخة الصحابة الأجلاء في كثير من أمور العلم والدين.

ولبث الخلفاء الراشدون يرفعون منزلتها ويشاورونها ويسألونها المسائل ويرجعون إلى رأيها، وهي واقفة بالمرصاد لكبارهم، تصحح لهم كلما رأَتْ خطأ في حديث يحدثون به أو حكم يصدر عنه.

وإلى السيدة عائشة رضي الله عنها يرجع الفضل الأكبر بعد رسول الله ﷺ في إعظام الناس المرأة الإعظام اللائق، حتى ظهر في كثير من اللائي طمحن إلى اقتفاء أثرها في الشجاعة الأدبية والجرأة.

ولقد أثمرت هذه السياسة في رفع شأن المرأة حتى آتت أكلها، ورأى النساء أنفسهن والرجال سواسية، حتى اعتددن بأنفسهن الاعتداد كله، وحتى قالت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها: (إنما النساء شقائق الرجال).

ولم يأل الرسول ﷺ في بث حكمه الغالية في قلوب الأصحاب وصية بالنساء، كلما آنس داعياً إلى القول.

واستفاضت الأحاديث استفاضة شافية توصي بالمرأة أما، وتوصي بها زوجها، وتوصي بها بنتاً، وتوصي بها جنساً.

بعد كل ما تبين لك من أحوال زوجات النبي ﷺ نسأل أهل الكتاب وكل المتشككين : ماذا تعيرون على نبينا ؟ هل تعيرون عليه التعدد ؟ أم تعيرون عليه المعدادات ؟.. فإن كنتم تعيرون عليه التعدد فكل أنبياء العهد القديم عددوا زوجاتهم وما فعله النبي ﷺ كان بوحى من الله تعالى جرياً على سنة الأنبياء قبله، وإن كنتم تعيرون عليه المعدادات ؟.. فلقد تبين لك من أمرهن ما يدرأ الشبهات ويزيل اللبس والأوهام.

وماذا بعد

نستطيع أن نخلص مما سبق إلي أن مراحل حياة النبي مرت بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: من بدء حياته إلى الخامس والعشرين كان وردة في الصحراء، وقد عصمه الله تعالى شاباً، والشباب صورة للإنسان تكشف معدنه.

المرحلة الثانية: من الخامس والعشرين حتى الثالث والخمسين، وكان فيها النبي ﷺ زوجاً لامرأة واحدة ، كانت تكبره بخمسة عشر عاماً، وتزوجها ثيباً، ومع ذلك لم يتزوج عليها، ولما ماتت ظل سنتان بدون زواج وانتهت مرحلة الشباب والكهولة والرجولة.

المرحلة الثالثة: من الثالثة والخمسين إلى الثانية والستين... هاجر إلى المدينة ... وفيها فرض الجهاد المقدس ... وأضيفت إلى أعباء حملاً ثقيلاً، إنه قيادة جيش ومستقبل دعوة، ليله صلاة وعباده، ونهاره صيام وجهاد ودعوة وتسيير شؤون الدولة الداخلية والخارجية فيعقد المعاهدات ويؤمن مستقبل الدعوة بالجهاد في سبيل الله.

في هذه المرحلة فرض الله ﷻ عليه الجهاد المقدس وتعدد الزوجات، وذلك ليكون العمل السياسي والعسكري ليس بمعزل عن العمل الاجتماعي، فلما وضعت الحرب أوزارها أو كادت منع الله تعالى النبي ﷺ من إنشاء زواج جديد ، لقد كان الزواج لرسالة، فلما تحققت، معه قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَٰكِنْ أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ ، إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ . (الأحزاب: ٥٢).

وكان جميع ما غزا رسول الله ﷺ بنفسه سبعا وعشرين غزوة . قاتل في تسعة منها: منها غزوة ودان ، وهي غزوة الأبواء ، ثم غزوة بواط ، من ناحية رضوى ، ثم غزوة العشيرة ، من بطن ينبع ، ثم غزوة بدر الأولى ، يطلب كرز بن جابر ، ثم غزوة بدر الكبرى ، التي قتل الله فيها صناديد قريش ، ثم غزوة بني سليم ، حتى بلغ الكدر ، ثم غزوة السويق ، يطلب أبا سفيان بن حرب ثم غزوة غطفان ، وهي غزوة ذي أمر ، ثم غزوة بحران معدن بالحجاز ثم غزوة أحد ، ثم غزوة حمراء الأسد ، ثم غزوة بني النضير ، ثم غزوة ذات الرقاع من نخل ، ثم غزوة بدر الآخرة ، ثم غزوة دومة الجندل ، ثم غزوة الخندق ، ثم غزوة بني قريظة ، ثم غزوة بني لحيان ، من هذيل ، ثم غزوة ذي قرد ، ثم غزوة بني المصطلق من خزاعة ، ثم غزوة الحديبية ، لا يريد قتالا ، فصدته المشركون ثم غزوة خيبر ، ثم عمرة القضاء ثم غزوة الفتح ، ثم غزوة حنين ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة تبوك .

قاتل منها في تسع غزوات بدر وأحد والخندق ، وقريظة والمصطلق وخيبر ، والفتح وحنين، والطائف .

ذكر جملة السرايا والبعوث

وكانت بعوثه صلى الله عليه وسلم وسراياه ثمانيا وثلاثين ، من بين بعث وسرية غزوة عبيدة بن الحارث أسفل من ثنية ذي المروة ، ثم غزوة حمزة بن عبد المطلب ساحل البحر من ناحية العيص ؛ وبعض الناس يقدم غزوة حمزة قبل غزوة عبيدة وغزوة سعد بن أبي وقاص الخرار ، وغزوة عبد الله بن جحش نخلة ، وغزوة زيد بن حارثة القردة وغزوة محمد بن مسلمة كعب بن الأشرف وغزوة مرثد بن أبي مرثد الغنوي الرجيع ، وغزوة المنذر بن عمرو بئر معونة ، وغزوة أبي عبيدة بن الجراح ذا القصة من طريق العراق ، وغزوة عمر بن الخطاب تربة من أرض بني عامر ، وغزوة علي بن أبي طالب اليمن ، وغزوة غالب بن عبد الله الكلبي ، كلب ليث الكديد ، فأصاب بني الملوح.

الخاتمة

إذا كان ذهن ومستوى فكر بعض الناس أضيق من أن يتصور حقيقة الكرامة والشرف للإنسان فما هو ذنب أهل الكرامة والشرف؟. وما على هؤلاء الناس إلا أن يعالجوا أذهانهم ومستوى فكرهم ويوسعوا أفق تصورهم، إنما الحق أن زيجات الرسول ﷺ كلها تدل على نبوته

ورسالته وهي دلائل قاطعة وبراهين ساطعة على أنه لم يأت رجل مثل النبي ﷺ الذي ضحى بكل ما يملك مرضاة لله سبحانه ثم حباً للإنسانية، إن الرجل هو في الحقيقة أنقى وأظهر الناس في العالم بدليل أنه لا يختار لنفسه إلا الأرامل والعجائز والوحيديات اللاتي فقدن كل سند ومعين في الحياة، والسيدة عائشة هي الوحيدة بين كل أمهات المؤمنين التي كانت بكرة، وأن زواجه منها إنما كان لبعد سياسي كبير يتعلق بالخلافة من بعده وهو ما لم نشر إليه في بحثنا ويكفي أن نحيلك إلى كتاب عبقرية الصديق للعلامة عباس محمود العقاد حيث تناول هذا الأمر بالتفصيل والاقتدار، وأما الأخريات فهن كلهن كن أرامل ومسنات، هل هذه شهوانية وأنانية أم هذه قمة الإنسانية؟.

والأمر الهام بالنسبة للدعوة، فإننا إذا نظرنا إلى هذه الزيجات في إطار الظروف والملابسات التي أحاطت بالرسول الداعي إلى الإسلام وإمام الإنسانية، يثور سؤال: ما الذي كان يناسبه ﷺ لنشر دعوته إلى الناس جميعاً، فمنهم الرجال والنساء، ومنهم أصحابه وأعداؤه، ومنهم قبائل العرب ودول العجم، وقد أرسله الله رسولا إلى الناس كافة، فكان عليه أن يؤم الحركة الإسلامية ويبلغ الدعوة الإسلامية إلى الناس كافة، ويعطيها نفوذاً وقوة في كل مجال وفي كل ناحية.

فإذا نظرنا إلى زيجات الرسول ﷺ من هذه الناحية نرى أنها أمر لا بد منه وهكذا سنة النبيين جميعاً.

وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا
إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم وعلى آله وأصحابه أجمعين....